يَقينُ النَّبضاتْ

رواية

ياسمين يوسف

By: Asmaa Silver

روايـــة

يــقــيــن الــنــبــضــات

بقلم : ياسمين يوسف

قنابل كلام روايات

وما هي الرواية إلا رحلة خضتها أنا

لأكــتــشف فــي نــفــسي
مــا اخــتــبــأ فــيّ
لــســنــيــن
فــهــل حــان وقــت
الــظــهــور؟

الاهداء

إلى أختي في القراءة
ومن ثم الكتابة
لكِ الحب من كل قلبي.
إلى معلمتي التي زرعت
بذور الثقة في قلبي
رويدًا
الشكر لن يكفي.
إلى عوضي من الله وتوأمي
التي ليست من أمي
أيامكما نعم لا تحصى.

وإلى كل بسمة وكل كلمة حلوة إلى أمي، أهلي وأصدقائي جميعًا

لن أنساكم ما حييت.

الفصل الأول

في بيتٍ يبدو عليه الثراء، كثير الغرف، مليء التحف، خاوٍ بخواء قلوب أصحابه .

في غرفةٍ تميزت عن أخواتها .. ليس

بجمالها ولا وسعها، بل بأنينها .

جلست صاحبتها تتألم .

أصواتٌ وصور تطوف وتمر ..

شعر كالليل وعينان كالسحب ..

ليل لا ينتهي وأمطار لا تقف ..

عاشت في الليل والتحفت بالظلام ..

غرقت في المطر وتبللت، حتى باشت وانتهت.

فزعت وقد ظنته بابًا لا يُطرق، قامت تجر همومها، فتحت لصاحب الطرقات.

- كم عليّ أن أنتظر حتى تفتحي الباب؟!

قالها بحنق فالتزمت بالصمت

- لماذا لم تنزلي؟، بَرِد الطعام.

- لستُ جائعة.

قالتها بصوت مختنق لكنه لم يكترث، قال سائلًا:

- إذن أين أختكِ؟

كادت تضحك ساخرة تلقي عليه السؤال، لِمَ أتعبت نفسك في السؤال عني؟

- لا أعرف، أظنها خرجت، ابحث عنها إن شئت.

قالتها باقتضاب وتراجعت خطوة لتغلق

الباب ولكنه فتحه بعنف قائلًا بغضب :

- خرجتْ! منذ متى وهي تخرج وحدها! كيف تتركيها من الأساس، أولست الكبيـ...

لم يكمل كلمته فقد قاطعته سريعًا تلومه بألم، تنتظر فرصة تفرغ فيها شيئًا مما تحمله في نفسها :

- أليست ابنتك المدللة؟ ألست أنت من

دللتها؟ إذن لا تلمني على أخطائك فقد اكتفيت.

قالتها وهي تهتز وأسرعت تمسح دمعة هاربة بين خصلاتها الناعمة، ثم استأذنت منه بصوتٍ خفيض وأغلقت الباب.

استندت عليه بظهرها وتساقطت جالسة متكورة علي نفسها تبكي كما اعتادت، تتذكر كلمات

حفرت في قلبها، كلمات لاذعة، خرجت من أفواه كريهة تفسد عليها فرحتها.

ولكنها في ذلك الوقت كانت بين يدي أمها تلاعبها، تحتضنها، تقيها شر تلك الكلمات..

ولكن الأم رحلت، الحضن رحل، الحب رحل

ولم تبقَ سوى الكلمات، تلازمها وتعكر عليها أيامها.

لملمت همومها وآلامها ونهضت لتبصر واقعها المرير، وقفت أمام مرآتها تزيح خصلاتها الناعمة لتطلع على بشرة بنية كالأرض خصبة تتكاثر فيها البثور، شفاه صغيرة فقدت الحياة وعيون ذابلة بلون الليل تحيطها

جفون متورمة أثر بكاء سنين.

جف حلقها وأحست بالعطش، بحثت حولها فلم تجد ماءً..

خرجت بهدوء ذاهبة للثلاجة في الطابق السفلي، جلبت ماء وبعض الفاكهة من المطبخ ثم دارت على أعقابها وسارت متجهة للسُلم ومع أول درج تخطه سمعت طرقات على باب البيت

فصعدت متخفية بالدرج، وقفت تراقب من بعيد ..

فأبصرت أختها تدخل يستقبلها الحب واللهفة في عيون أبيها، وقفت "يقين" تنغمس في الألم بينما "شوُق" ترقد في حضن أبيها..

هرولت لغرفتها باكية واغلقت الباب.

******

وعلى بُعد أميال ..

دوى صوت تحطم باب آخر ليقفز صاحب البيت هلعًا من النافذة، تحامل على قدمه الملتوية، وأخذ يركض ويركض، وأصواتهم تتبعه من خلفه، لم يشعر بالمسافة التي قطعها، وقف عند السور لحظة يلتقط أنفاسه الهائجة، وعندما شعر بقربهم قفز وأكمل

الركض، ثم أخذ يسبح بين سُنبلات القمح بصعوبة، تخطاها ووقف ينظر حوله ليجد مجموعة من الشجرات الليمون العالية، هرول حتى توغل فيها مختبئًا ..

ظن أنه بأمان لبعض الوقت ولكنه عندما أحس بالخطر، أخرج شيئًا ما مُخبأ في چيبه، قلّبه بين يديه المرتجفة بسرعة ثم فتح إحدى

الصفحات الفارغة، كسر أحد الفروع الرفيعة، بلل طرفها بدمائه النازفة، كاد يكتب ولكنه أحس بقربهم.. خطّ حرف وعلامة، خبئها بين الشجر جيدًا، ثم حاول الهرب مجددًا ولكنه تسمّر فجأة واتسعت حدقتا عينيه، طُعن في ظهره وانفجرت الدماء من صدره، لمسها بيده لتتلون بالأحمر، حدق فيها لثواني محاولًا

الاستيعاب، غمامة مرت أمام عينه، سقط على ركبتيه بقوة واضعًا كفيه على مكان الدم، أغمض عينيه بشده ينازع الألم، وفي لحظة كان قد انفصل عن العالم حوله، لم يسمع من طعنه وهو يطلق ضحكات يقطُر منها حقدًا، يشاهد دمائه وهي تتصفى، ثم وقع متمددًا على الأرض ولم يقم ثانيةً.

******

انسحب القمر تاركًا وراءه دماء تنزف ودموع تتساقط، لتمر الأيام وتشرق الأرض بنور ربها، لتشهد هي الأخرى على بكاء من نوع آخر ..

فقد غادر "عبد الخالق خلف" سيارته واتجه إلى مكتبه للمحاماة، يفكر في قضيته الحالية، كم تهمه هذه القضية ..

لا، ليس لأنها سهلة أو بسيطة ..
بل لأنها تبدو من أصعب القضايا التي واجهها خلال عشرين عامًا من النجاح، يملأه الحماس، يشعر كأنه رجع إلى شبابه، يغزوه التحدي لاجتياز هذه العقبة التي على يديها إما نجاح باهر وقفزة في عالم المحاماة أو فشل ذريع.

دخل ثم ألقى السلام على سكرتيرته "شذى"، سألها عن أي جديد، اتجه إلى مكتبه وجلس على كرسيه الكبير الفخم الذي تميزه النقوش المذهبة خلف مكتب كبير مزين بنقوش مشابهة، ذي أدراج كثيرة تحوي كثير من الأوراق والملفات الهامة، طفق ينظر لمن تبتسم في الصورة الصغيرة أمامه كأنها أجمل امرأة في العالم

بوجهها الأبيض الناعم وعينيها الخضراوين الرقيقتين فقال في نفسه يلهفه الحنين :

- ليتكِ كنتِ بجانبي يا "أروى" .

أخذ ينظر في الأوراق أمامه يسترجع كل تفاصيل الحادث والتحقيقات الجارية حتى الآن، لا ينسى كلمات الأم الجريحة ولا عبراتها التي يحتلها

الألم وهي تبكي فلذة
كبدها وولدها الوحيد
"عمر توفيق" وترجوه أن
يُرجع حق دماء ابنها
التي هُدرت ظلمًا
وفسادًا، ولا مشهد الجثة
المشوهة التي بالكاد
تم التعرف عليها
بصعوبة بالغة، ولا
انهيار صديقه "محسن"
بعد أن علم ورأى منظر
صديق عمره حتى أنه لم
ينطق بكلمة في

التحقيقات بسبب انهياره العصبي الحاد.

لم تكُف الصور والأصوات عن الدوران في عقله

فأقسم "عبد الخالق خلف" ألا يدع المجرم يفر بفعلته مهما كان.

*****

الـفـصـل الـثـانـي

كـان عَطاءً بـلا مـلـل ..
كـان هِدا ءً بـلا كـلـل ..
فـهـي قـطـعـة مـن نـفـسٍ هـوى ..
فـهـي إربـة مـن حـبٍ جـنـى ..
فـهـي بـيـن طـيـات قـلـبِـهِ وقـى ..

هي كل ما يملك وما بقى
..
فهل السابق واقع سليم،
أم هو مجرد كلام غريب
..
أقر به العقل وارتضى،
وأخفى به كل مريب ..
غشاه الظلام فنام
والتهى ..
وأسقط منه الوعد، ولم
يخف وعيد.

عندما عادت "شوْق" من الخارج، شعر أن جزءً مفقودًا من قلبه قد عاد أخيرًا ..

لا يقدر على فقده ولا بُعده، ولو أبت الحياة بمشاغلها ..

يتذكر أول يوم ذهبت فيه للمدرسة، حينها لم يهون عليه أن ينتظر طوال ساعات الدراسة حتى خروجها ليأخذها في حضنه ويرجعا معًا للبيت

قبل أن يكون لها سائقها الخاص الذي يأخذها ويجلبها كل يوم ..

ولكنه وقتها لم يرَ عينين شاهدتين وشفتين دقيقتين تغالبان البكاء ..

عندما كان يضم جزءً منه، لم يلحظ الجزء الآخر يتهشم ..

جلسا معًا يتحاكيان في مختلف المواضيع، تقص

عليه يومها بتفاصيله ليستمع هو وكله أذانٌ صاغية، يحاول أن يعوضها عن كل الأوقات التي يغيب فيها ويبتعد، أن يشبع منها ولو مؤقتًا حتى ينتهي من أحد أعماله التي يبدو أنها ستطول..

أخبرها أنه سينشغل الأيام الآتية، ومنعها برفق من الخروج من البيت إلا بإذن، وأن

تجعل صديقاتها اللاتي تثق فيهن يأتينّ لها في البيت كما تريد بدلًا من التأخر في الخارج، فهو يخاف عليها أكثر من أي شيء، ويخشى عليها من أي مكروه.

وها هي قد فعلت ما أراد، وجاءت لها صديقتها التي لا تملك غيرها، كنزها الغالي، ورفيقه أيامها، لتقضيا معًا بعض الوقت.

وبعد كثير من الثرثرة التي لا تنتهي قالت "رقية" مشجعة :

- هيا يا "شوْق" أخرجي، واذهبي لـ "يقين" اطمأني عليها، لا يجب عليكِ التأخير أكثر من ذلك ..

أخذت "شوق" تقلب كلمات "رقية" في عقلها قليلًا، ثم قالت راجية :

- تعالي معي، لا اطمأن إلا وأنتِ معي .

ابتسمت "رقية" ثم قالت والحماس يلمع في عينيها البندقيتين :

- أريد أن أذهب معكِ ولكني أخاف أن تتضايق "يقين" .. لا تقلقي، سأنتظرك هنا .

لم يبدو على "شوْق" الاقتناع فأمسكت يديها بحنان، ولكن "شوْق" أخذت تجادلها وهي تنظر لليدين المتلاحمتين بحزن :

- لا أعلم يا "رقية"، لا أعلم حقًا، لِمَ تعاملني دائمًا بجفاء وتتحاشاني .. تتحاشى النظر في وجهي، نعيش في بيت واحد ولا نجتمع أو نتقابل إلا نادرًا ..

صمتت برهة ثم أكملت قبل أن تفتح "رقية" فمها لتتحدث :

- أتعلمين .. قبل أن نتقابل، كنت دائمًا ما أحتاج إليها، أحتاج

أذن تسمعني، يد تربت عليّ، فقد كان أبي كثيرًا ما يترك المنزل لأيام، أو يبيت في المكتب، وماما "نادية" كانت مشغولة بالطعام وتنظيف البيت.

كنتُ أنام وحدي في هذه الغرفة وأنا أخشى الظلام، أصحو على الكوابيس التي لا تتركني، أبكي وحدي حتى أنام مجددًا، وعندما

طلبت منها يومًا أن تبيت معي أو أبات معها، كانت ترفض .. لا أعلم لِمَ، ما ذنبي أنا؟!

منذ ذلك الوقت لم أحاول أن أطلب منها شيئًا آخر وحاولت تناسي احتياجي لها.

هربت دمعة متأثرة من عينها فشدت "رقية" على يد صديقتها أكثر وابتسمت قائلة بعطف:

- أعلم يا "شوْق"،
أعلم .. أعلم أن ليس لكِ ذنب في كل ذلك،
ولكن حاولي أن تضعِ لها كل الحُجج، فأنتِ تعلمين كم تأثرت بما حدث، هي فقدت الأم والأب في نفس الوقت ..
أعلم أنها مخطئة وتُحمّلك كل ما مرّت به،
ولكنها مهما كان فهي أختكِ يا "شوْق" ..

تنهدت "شوْق" ثم نهضت بتردد ولكنها جلست مرة أخرى متراجعة، ولكن "رقية " لم تدعها وشجعتها أكثر وقامت تودعها على الباب ..

خرجت من غرفتها متجهة لغرفة "يقين"، كم تمنت وقتها أن تطول المسافة أو لا تصل أبدًا.

كان ممرًا قصيرًا يفصل بين غرفتين، بين أختين، ولكن في

الحقيقة لم يكن الفاصل مجرد ممر أو بضع خطوات بل كان ثقبًا أسودًا ابتلع كل ما تجرأ واقترب ..

ولأن الذكريات عالقة به، فكلما خطت خطوة اخترقتها نظرات "يقين" منذ طفولتها وكأنها ترمقها بالكره الآن، تجعلها تعيش بذنب لا تعرفُهُ ومن الممكن أنها لم تقترفُه.

وعندما وصلت، مدّت يدها للباب المغلق، تعلق ذراعها في الهواء للحظات ثم توكلت على الله وقرعت الباب..

ظلّت تقرع مرة بعد مرة، وما من إجابة..

توترت أكثر وفكرت أن "يقين" قد تكون نائمة أو ليست بالغرفة ولكن نفى ظنونها تسلل بعض الضوء من أسفل الباب.

طرقت الباب عدة مرات أخرى ثم نادت بصوت خافت :

- "يقين" .. أنا "شوْق" افتحي لي.

مرت بضع ثوانٍ ثم رفعت نبرة صوتها وقالت بتردد :

- "يقين"، يكفي جفاءً أنا أختكِ .. أختكِ يا "يقين" ..

لم يأتها أي رد فقالت بنفاذ صبر :

- إن لم تفتحي سأدخل يا "يقين" .

طرقت الباب مرة أخري بحنق

- سأدخل، ها أنا أخبرك لكي لا يكون لكِ حُجة .

لم تصلها أي إجابة فأمسكت بقبضة الباب وعدّت لثلاثة في نفسها ثم فتحت الباب ودفعته لتشهق فجأة لهول ما

رأت، ويدوي صوت سقوط هاتفها على الأرض ..

******

طرقات خافتة على الباب انتزعته من أفكاره،
دخلت "شذى" بعد أن أذن لها "خلف" لتسلمه الأوراق التي طُبع عليها كلٌ من شهاده السيد "وائل الريحاني" عضو مجلس إدارة أحد شركات التصدير والاستيراد، وشهادة الحاج "رجب

الطيب" صاحب الفدان الذي وجدت به الجثة وشهادات بعض الجيران أصحاب الفدادين والمزارع المجاورة، بدأ بالنظر في شهادة الحاج "رجب" الذي يعتبر في موقف جيد من التهمة حيث تم إثبات غيابه لأسبوع وهو الأسبوع الذي وقعت فيه الجريمة، فقد سافر لبلدٍ مجاورة بسبب مرض أخيه المفاجئ وقد كان

اشتري من "عمر" فدانًا منذ فترة ليست بطويلة ولكنه لا يعلم أي سبب لبيع "عمر" فدان من أصل فدادينه الخمس، وقد كان العمل لايزال قائمًا لوضع سور يفصل بين الفدان الذي اشتراه وباقي الفدادين، حتى وُجِد جسمان "عمر" مشوهًا ملقيًا على أطرافه!

أما الأستاذ "وائل" فوُجِد في شهادته بعض الإثارة، فقد ذهب "عمر" إلى الشركة لأول مرة قبل بيع الفدان بأسبوع تقريبًا لمعرفة النظام والاستفسار عن بعض الأشياء والاتفاقات المبدئية على الحساب المادي وغيره، ثم ذهب مرة أخري بعدها بأسبوعين لأحضار المال الذي اتفقا عليه، وهو المال اللازم لجلب شحنة

بذور من إحدى الدول الأوروبية، أنواع عالية الجودة بنسبة نجاح مرتفعة في الإنبات، وبعض الأنواع الهجينة، وأخرى مقاومة للأمراض والآفات الزراعية.

كان "عمر" حينها يَعُد الأيام والليالي، فلم يخطر بباله يومًا أنه قد يصل به الحال ليستورد البذور بنفسه من الخارج، ولكنه لا

يقبل الفشل، لا يرضخ للاستسلام، اليقين اتخذ من قلبه سكنًا ونبض نبضات، يقين بأن لكل مشكلة حل، بأن من خلق الداء خلق معه الدواء، يقين منعه من ترك نفسه للحياة تحركه كيفما تشاء دون أن يسعَ، أو يحاول، أو يفعل أي شيء..

وبعد وصول الشحنة للشركة اتصلوا على

"عمر" الذي ظهر في صوته البُشرة وتم تحديد موعد الاستلام وسار كل شيء على خير ..

ثم جاء يوم الاستلام، لكنه مر وانقضى بدون حضور "عمر"، حاولت الشركة التواصل معه ولكن بدون رد، ومرّ يومان آخران على نفس الحال، حتى وصل الأمر بأن تدخل شحنة البذور المخازن، حاولوا مرات

أخرى التواصل مع "عمر" حتي جاء الرد المفجع:

- البقاء لله .. تُوفيّ صاحب الخط! ..

استمر تفحص "خلف" للأقوال حتى قطعه طرقات "شذى" على الباب مرة أخرى تخبره بحضور "محسن".

******

وفي مكان التقى فيه الأحمر بالأبيض، كانت أصوات الأمواج تمتزج

بصفير السفن التي جاءت من الأحمر، لتُنبئ عن مكانها الذي لا يُخطئه شخص ..

ليأتي صوت يعكر المزيج ويفسده، صوت تلونت يد صاحبه بالأحمر ولكن من نوع آخر ..

- أعتذر يا ريس، كنت أريد فقط .. فقط أن..

قاطعه مزمجرًا :

- أن يأخذوا روحك يا غبيّ، ألم أقل لك أن

تدفنه وتخفيه، ها هم وجدوه وتعرفوا عليه، أرني كيف ستنجو بكبريائك!

طرده ثم أغلق الباب في وجهه وأمسك هاتفه ينقر بعجل على المربعات المرصوصة بانتظام

« لا تقلق، أخفينا الآثار كلها، ولدينا خططنا الأخرى »

******

قنا بل كلام روايات

الـفـصـل الــثــالــث

كل مـرة، وعلـى حيـن غَرة،
بــالــوحدة ارتــوت،
وبــالــملل اكتــست، فــلِسُلم
الــماضي دنــت ..

خطوة وراء خطوة ويــشتــد
الأسى

تُــراجِعُ الــمآسي وتــكره
الــحيــا

خذلان وألم، ومن ورائِهِ ألم

كلمات اختفت ولكنها حيت

في ذكراها حيت وليتها انمحت

همسات آفاعي بالكره تُچاني

ولِسُم أثر، أمات بالبطيء

سُمٌ بعد طعن ومن ثمّ غرق

فهل من نجاة، أم النفسُ أبت؟

مدّت قامتها على سريرها تمارس عادتها اليومية! اليوم عندها يشبه الأمس، والأمس يشبه ما قبله، ويمكنها أن تجزم أيضًا أن الغد سيكون بالمثل.

تشرد، تفكر، تقلب على نفسها المواجع بإرادتها الحرة؛ تفتح

سجلات الخذلان ودفاتر الخيانة وكأنها اختارت أن تظل عالقة في ظلمات ذكراها القريبة .. والبعيدة كذلك.

تتخبط بزنازين ماضي رحل، فهل يأتي يوم تحاول فيه الفرار؟!

أمسكت كتاب الألم تقلب صفحة وراء أخرى، ظلت شارده وقتًا في كلمات إحدى زميلاتها في الجامعة، تتذكر اليوم

كأنه الأمس، وتتذكر أيضًا عندما مرضت لأيام وتغيبت عن الجامعة ..

لم يشعر بها أحد وكانت تظن أنها مهمة ولو قليلًا، فهي لم تبخل يومًا على أي زميلة بمعلومة عندما كانت من أوائل دفعتها، وظلت في النسيان واكتشفت أنها ليست سوى للمصلحة حتى اضطرت أن تتصل بإحداهن لتبعث لها المحاضرات

الفائتة، وياللشفقة فقد لاحظت تغير صوتها وعرفت أنها مريضة، فقامت بزيارتها هي وبعض الزميلات الأخريات لتقضيه الواجب وحسب، لا، ليس لخوفهن عليها مثلًا، فإذا وُجِد خوف من الأساس، قد يكون على الفائدة!

كانت دائمًا منذ صغرها ما تتعرض للسخرية والكلمات اللاذعة على

شكلها ولون بشرتها والنمش الداكن المتكاثر على وجهها بكثرة، حتى تزاحم النمش مع بثور الشباب التي مازالت مُصرة على عدم تركها حتى الآن ..

وزادت الطين بلة عندما رأت إحداهنّ شعرها الحريري الأخّاذ الذي يغطي خصرها وقالت بدون أن تضع لكلامها حساب :

- "يقين" ما أجمل شعرك .. أولئك المخبولات، لو رأوا ذلك الجمال لمَا تفوهوا بنصف كلمة ..

كادت تسأل .. ماذا، ماذا قالوا، هل يتحدثون في ظهرها، ألسنْ هن أصدقائها ويعرفونها، أمازالوا ينظرون لها نفس النظرة ؟!

ولـكـنـهـا حبست الـكـثـيـر فـي جوفـهـا حين انـتـبـهـت إحدا هن لـغـبـا ء ا لأخرى و أخذنْ يـثـرثـرنْ فـي مـو اضيع مـخـتـلـفـة، ونـسـو ا مـا قـا لـو ا لـكـنـهـا لـم تـنـس، وطفـقـت تـغـلـق عـلـى نـفـسـهـا أكـثـر وتـنـطـوي أكـثـر، لا تـثـق فـي شخص فـلـن يـرى أحـد نـفـسـهـا و لا روحـهـا ، بـل ستـظـل الـقـبـيـحـة الـمـهـمـلـة بـنـفـسـهـا ..

نظراتهم لها تعذبها، تجعلها تريد الاختباء للأبد تدفعها لكره نفسها.

سقطت دمعة في انتظار أخواتِها ..

فبعد أن اطلعت على صفحات التنمر، وصلت لصفحات الفقد!

فقد عاشت الفقد، والفقد صعب ..

فقدت حبيبتها الوحيدة، الأولى ويبدوا أنها

ستكون الأخيرة، فقدت من أحبتها بصدق، من كان بإمكانها أن تُضحي بكل ما تملكه لأجلها ..

فقدتها، وفقدت الأذن المصغية لكل حكاياها وقِصصها، فقدت كل الحب، ليس منها فقط، بل ممن كان أباها أيضًا!

وشعرت وقتها أنها عصفور فقد أهله وعُشه، لا يملك الطعام ولا يقوى علي الطيْران ..

حينها شعرت بشيءٍ ما كان متصل بقلبها يتمزق
.. تمزق مخلفًا ورائه ثغرًا، وما أنفك ينمو وينمو، ومع كل يوم كان جزءً منها يتفتت ..
ليَحين دور ذلك الثغر، يقع فيه فتاتها ويُحدث عبئًا، تعيش به مثقلة القلب والروح.

تهاوت دمعة أخرى تنذر عن سيولٍ قد تنهمر.

نهضت تدور حول نفسها
تبحث في الرفوف،
الدواليب، والدرج ..
ستتخلص من الحِمل،
ستتخلص من الألم،
ستتخلص من نفسها،
لترتاح ويرتاح العالم
من شقائها.
عثرت على مقص!
امسكته بيد مرتعشة،
عند الذبح يجب أن يكون
النصل حاميًا، إذن
فلتتأكد لكيلا تتعذب ..

مررت أحد طرفيه على إبهامها فانجرح طوليًا وسالت منه الدماء ..

وقفت أمام المرآة تُلقي على أشلائها النظرة الأخيرة، أمسكت المقص تضغط عليه بعنف تجعل مقدمته الحادة في اتجاه حلقها، بضربة واحدة سينتهي كل شيء *،
يا للسخرية جاءت دراستها لتنفعها الآن!

*تعد منطقة الحلق المصدر الرئيس للتنفس، لذا فإن تلقي ضربات في هذه

المنطقة يمكن أن يؤدي إلى خلل في دخول الهواء للجسم والاختناق، ومن ثم الموت. (موقع الكونسلتو)

شهيق زفير .. شهيق زفير .. للوراء ثم للأمام .. للوراء ثم للأمام، ظلت تُهَيِّء نفسها حتى جاءت اللحظة، حرّكت يداها للوراء بسرعة لا يفصلها سوى سنتيمترات، اندفعت للأمام، ولكن أطرافها تجمدت فجأة، سقط المقص من بين يديها، لم يرتكب سوى خدش وقطرات دم!

لم تقدر .. لم تقدر

لم تقدر على فعلها

هي أضعف من ذلك

حمقاء لا تستطيع سوى

تعذيب نفسها

طفقت تبكي على ضعفها،

وقد تقلبت ورقات الضعف

وتفتحت ..

هدأت قليلًا ثم انحنت

تُمسك المِقص مرة أخرى،

قد فشلت في المهمة،

فشلت في تخليص نفسها،

لذلك عزمت أن تتخلص من كل ذرة جمال!

حررت شعرها الحريري الطويل من قيوده،
وأخذت تسحب حفنة حفنة، وتقص وتقص، خصلة وراء خصلة، دمعة وبيدها الأخرى، امتلأت الأرض بالشعر، كانت تعذب نفسها وهي تعلم..
كأنها شجرة حكمت على زهورها بالبتر.

لم تنتبه للطرقات ولا النداءات، كانت منفصلة عن العالم أجمع، تراقب فقط السواد وهو يتساقط ..

فُتح الباب فجأة لترَ "شوْق" الدمعات والآهات، فزعت من منظرها، الشعر والدم ولم تعبأ بهاتفها الذي سقط، اندفعت تجاهها تنزع المِقص من يدها بين صرخاتها الهستيرية ..

- ابتعدي عني ..
ابتعدي عني يا "شوْق"، دعيني وشأني.

ولكن "شوْق" تجاهلتها واستطاعت أن تأخذ منها المقص بعد منازعات عنيفة ..

- ما هذا الذي تفعلينه في نفسك يا غبية .. هل جننتِ أم ماذا حل بعقلك ؟!!

هتفت ثم وقفت تلتقط أنفاسها، لم تعرف ماذا

عليها أن تفعل بعد، ولكنها وجدت نفسها تقترب، تقترب أكثر، تحتضنها، تضمها رغم المقاومة حتى هدأت "يقين" واستسلمت ثم انفجرت باكية بشدة بين حضن أختها لأول مرة .. بكتا معًا وكأن للبكاء عدوى ..

******

- أدخليه حالًا ...

هتف بها "خلف" بعد أن أخبرته "شذى" أن "محسن" صديق "عمر" قد وصل أخيرًا ..

جلس ينتظر دخوله على أمل أن يعرف أي معلومة جديدة تُوصله للحقيقة، القضية معقدة، لم يتم إجاد أي أدلة، و"عمر" ليس شخصية مهمة لكي تبذل الدولة له جهدًا، ويخاف أن تُغلق في أي وقت ضد مجهول!

دخل "محسن" ولايزال الحزن قابعًا على وجهه الأبيض، والصدمة تأكل من عسل عيونه ..

قام "خلف" يسلم عليه ويعزيه في فقد صديق عمره، ولكنه لا يعلم أنه أكثر من صديق، أو حتى رفيق، ليتمتم بكلمات بائسة خافتة غير مفهومة.

جلسا ثم نظر "خلف" في عينيه المحمرة المنكسرة قائلًا بلين :

- أعلم يا بنيّ أنك في حالة يُصعب فيها الكلام أو الحديث عن أي شيء، ولكن يا "محسن" علينا أن نحاول لأجل صديقك رحمة الله عليه.

أومأ "محسن" فأضاف "خلف" متأثرًا :

- وبالتأكيد لكي لا ندع المجرم ينام مرتاح

البال وغيره لا تكف عن البكاء على وحيدها يا "محسن".

بدأ "محسن" الكلام شاخص البصر يتذكر أُم "عمر" وهي تحتضنه باكية كأنها تبحث فيه عن ولدها الراحل، لطالما كان "عمر" صديقه الوحيد وجاره العزيز ورفيق دربه، فقد نشئا معًا، كبرا معًا، زرعا معًا وحصدًا

معا، التحقا بنفس المدرسة الابتدائية ثم الإعدادية فالثانوية، لم يفترقا سوى في الجامعة حيث أحب "عمر" الأرض بشدة وكأنها جزء منه، لم يقدر على فراقها ولا تركها، فدخل كلية الزراعة وغدا مهندسًا زراعيًا، أما "محسن" فلم يعشق الأرض مثل رفيقه فالتحق بكلية الصيدلة ليبيع نصيبه من الأرض ويفتتح

صيدليته الصغيرة بالقرب من فدادين "عمر" والمزارع المجاورة، ورغم افتراق الطرق لم ينس أحدهما الآخر، وظلا معًا ينهيان أيامها في بيت أحدهما يتقاسمان الهم قبل الفرج..

قطع "خلف" سيل الذكري سائلاً برفق :

- أخبرني يا "محسن" هل جد أي جديد في حياة

"عمر" أو في عمله؟ شيء مختلف يثير الريبة، أو حدث غير طبيعي ..

أخذ "محسن" يقص عليه طبيعة عمل "عمر" كمهندس زراعي صاحب فدادين خمس، لم يبخل أبدًا على أرضه الصغيرة بأي جهد ليجعلها جنته المليئة بمختلف أنواع الفاكهة والخضروات التي تكفيه هو وعائلته، وإن بقى من

محصوله شيء أهداه لمحتاج أو باعه لأحد الجيران، لم يهمه البيع فقد كفاه المال الذي يأتي به مقابل عمله في تصليح وتركيب شبكات الري والتصريف في المزارع المجاورة أو تعليمهم كيفيه زراعه أرضهم بالأنواع المختلفة وطرق الاهتمام بها ..

ظلت الحياة على ما هي عليه بسيطة وهادئة حتى جاء اليوم الذي تغير فيه كل شيء، فقد قامت شركة "القمحة" للبذور والأعلاف برفع أسعار منتجاتها إلى الضعف، قفزت في الأسعار بمبالغة شديدة، لا يهمهم ظروف زبائنهم من الفلاحين وأصحاب الأراضي والذي كان منهم "عمر" ...

لم يرضَ "عمر" بهذه المبالغة فأخذ يبحث عن مكان آخر لشراء البذور لزراعة أرضه، وللأسف لم يجد، حتى ذهب إليه يومًا ليحملا معا ثقل همه ويفكران لعلهما يجدان مخرجًا ..

******

مازالت الخصلات تتساقط، ومازال المقص يقوم بعمله، ولكن هذه المرة بيد "شوْق" التي أجلست

"يقين" الشاردة أمام المرآة وأخذت منها المقص بعد أن هدأت في أحضانها ..

بدأت تسوي الخصلات ثم قصتها بطريقة تعلمتها من على الإنترنت لتجعلها متدرجة في الطول حتى منتصف كتفها، ثم بدأت تقص مقدمة شعرها لتغطي جزء فقط من جبتها برقة.

و بعد أن انتهت قالت بطريقة استعراضية مرحة :

- ما رأيكِ، أصلُح لأفتتح صالون تجميل أليس كذلك؟

أجابها الصمت المُطبق، مرت بضع ثوان ثم قامت "يقين" لتتمدد على سريرها مرة أخرى ..

لم تعرف "شوْق" ماذا تفعل بالمقص الذي بين يديها، تخاف أن تتهور

"يقين" مرة أخرى، ظلت تفكر قليلًا حتى جاءتها فكرة تُقدرها على أخذه دون أن تنزعج "يقين"، كادت تفتح فمها لتنفذ فكرتها ولكن أخرستها نظرات "يقين" الدامعة إلى خصلاتها السوداء المبعثرة.

تركت المقص وهرولت تجلس بجانبها تربت عليها بلين

- سيطول مرة أخرى ويصبح أجمل لا تقلقي.

قالتها بعطف فزادت الدموع لتضمها وتربت عليها لبعض الوقت ..

تذكرت "شوق" تلك القابعة في الغرفة الأُخرى فتململت قليلًا تحاول ترتيب كلماتها

-"يقين" ..

خرج الاسم بصعوبة، أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت راجية :

-"رقية" بالخارج ولعلها قلقة لتأخري عليها، لا نريد أن نزعجك، فهل تسمحين أن تأتي لتجلس معنا؟

ظلت "يقين" لثواني على حالتها حتى خرجت من شرودها تحرك رأسها بالإيجاب..

ابتسمت "شوْق" بسعادة ثم أمسكت هاتفها تتأكد من عمله بعد السقوط ثم قالت بارتياح:

- حمدًا لله إنه بخير .

ثم أضافت بمرح طفولي وهي تضيق عينيها :

- كنت لأقتلك لو حدث له شيء، فبه أرقام كثير من الشخصيات ..

قالتها باستعلاء ثم صمتت هنية واردفت :

- لا لا، ليست مهمة إطلاقًا، لا تقلقي بل تافهة جدًا .

أخذت تضحك وهي تحاول أن تخرج "يقين" من

حالتها، لتغالب الابتسام حتى فشلت وزين وجهها بسمة جميلة وكأن الشمس أشرقت أخيرًا ..

فرحت "شوْق" لنجاح نكتتها ثم وضعت الهاتف على أذنها قائلة :

- "رقية" .. نحن بخير .. لا، لا تقلقي .. نعم فلتأتي .. حسنًا أنتظرك .

انتظرتا بضع دقائق حتى دخلت "رقية" لتسلم على "يقين" قائلة بصدق :

- ما شاء الله، كم أنتِ جميلة يا "يقين"، متى قصصتِ شعرك، يليق بكِ الشعر القصير كثيرًا ..

نظرت لها "يقين" بشبح ابتسامة، فجلست "رقية" بجانبها تقول بابتسامتها المعهودة :

- أتعلمين ؟ .. لطالما تمنيت أن نصبح أصدقاء،

لأعرفك جيدًا، ونتقرب من بعضنا ..

ابتسمت "يقين" بامتنان ولكن سرعان ما اختفت هذه البسمة وتعكرت ..

لا يتركها الشيطان بحالها أبدًا، يحاول أن يزرع الحقد بداخلها لأختها ويجدها فريسة سهلة لوسوساته، يريد أن ينمو الحقد بداخلها والغيرة كذلك ..

ليبدأ الجزء المظلم فيها يقنعها بأن أختها حصلت على كل شيء .. كل الحب، كل الجمال، كل الصداقة، بينما هي معدمة لا تملك شيئًا على الإطلاق .

ظلت "شوْق" و"رقية" يتمازحان قليلًا حتى قطع صخبهما رنين هاتف، لتقع ثلاث أزواج من العيون على اسم المتصل ..

زوج حل به الذعر، وآخر احتله الألم، والثالث مُلِئ بالخيبة

فقالت إحداهنّ بخفوت :

- ي.. يكفي .. أخرجي من هنا يا "شوْق"..

******

<< منذ بضعة أسابيع ليست بالقليلة >>

سارت الشمس بتأني ساحبة ورائها ردائها البرتقاليّ الخلّاب ..

ومعها سار "عمر" يجر وراءه عجزه متجهًا لصيدلية صديقه، المكان هادئ، لا بيوت كثيرة ولا عمائر، بعض المحال البسيطة وكثير من الفدادين والمزارع ..

عندما رآه "محسن" وقف يرحب به قائلًا باندهاش:

- "عمر" يا مرحب لقد أنارت الصيدلية بحضورك ..

كاد يسئله عن سبب مجيئه وعدم انتظاره غدًا كما اتفقا ..

ولكن السؤال اختفى وتبدل بقلق عندما رأي وجه صاحبه المهموم

- ما بك يا "عمر"، لمَ كل هذا البؤس، أخبرني ماذا حدث ..

جلس "عمر" فأضاف "محسن" :

- لحظة ، سأغلق وآتي ..

- لالا، لعل أحدًا يأتي ويحتاج شيئًا ..

- لا تقلق، إذا جاء أحدهم سنراه أو سيرانا ..

أومأ له "عمر"، فأغلق الصيدلية، وجلس مقابلًا له فبدأ "عمر" الكلام قائلاً ببوادر يأس :

- لقد تعبت من البحث يا "محسن"، قطعت البلد كلها، شبرًا شبرًا، بلا نتيجة، خلال الأيام

المقبلة سوف أحصد محصول آخِر بذور أمتلكُها وبهذا الحال لن أجد ما أزرعه ..

قال له "محسن" مطمئنًا وهو يربت على ساقه :

- قبل أي شيء .. لا أريد أن أسمع نبرة اليأس هذه، أليس أنتَ من قلت (لا تيأس يا "محسن" طالما الله معنا، ومهما ضاقت ستفرج، وإن أُخُوْتنا لا تعرف اليأس)

فأنا أقولها الآن لك، وهيا دعنا نفكر ..

سمع "عمر" ثم أضاف :

- أعلم، وثقتي بالله أكبر من أي شيء، لكنني أشعر بالعجز، قبل أن ترتفع الأسعار كما تعلم كنت أشتري البذور من جزء من راتبي وبمحصولها كان يعتمد طعامنا بجانب لبن ولحم بقرتي أمي وصغارهما، كان كل شيء على ما

يـرام، حتـى أنـني ادخّرت جزءً من راتـبي لـلزمن .. والآن اضطررت أن أنـفقـه كـلـه ..

أكـمل "مـحسن" عنـه بـضيـق :

- لأن الـشركـة الـتي تـحتكر جلب الـبذور من الـخارج وبـيـعهـا قـامت بـرفـع الأسعـار بـصورة مـبالـغة بـدون سـبب، والأسعـار مـازالـت مستـمرة فـي الارتـفـاع..

أومأ له "عمر" بأسف ووضع رأسه التي يغطيها شعره المجعد بين يكفيه يحاول التفكير في أي حل ..

أخذ "محسن" يفكر يحاول أن يخفف عن صديقه ولو قليلاً، ثم أتت له فكره فصاح قائلا :

- ولماذا لا تذهب لهم وتسألهم عن سبب رفع الأسعار يا "عمر" ..

نظر له عمر بعدم اقتناع :

- وماذا اقل لهم! أأتوسل إليهم أم أشحذ؟! ما هذا الذي تقوله يا "محسن".

أجابه محسن بسرعة :

- لا هذا ولا ذاك، لتتحدث معهم أنت وأُناس آخرون متضررون مثلك نيابة عن كل الفلاحين وتطلب منهم خفض الأسعار

المبالغة وإلا قاطعناهم ..

أخذ "عمر" يقلب الفكرة في رأسه ليكمل "محسن" قائلًا بنبرةٍ حاول أن يكسوها الأمل :

- حاول يا "عمر" وتوكل على الله، لنفعل ما بوسعنا ثم يأتي التوفيق من عند الله.

نظر له "عمر" بعينيه البنيتين

-لازلت غير مقتنع ولكن سأفكر، سأعود الآن إلى البيت ألن تأتي؟

فرد ذراعيه يشير للمكان:

- ومن يجلس هنا .. من المفترض أن تظل الصيدلية مفتوحة أربعة وعشرون ساعة!

- كيف ؟ وأنت وحدك هنا لا يوجد من يناوبك.

- أبحث عن أحدهم وسأكتب على المواقع

الإلكترونية غدًا، سأجد بالتأكيد، الكثيرين يبحثون عن عمل.

- بإذن الله.

قالها ثم وقف يودعه وخرج وهو يدعوا الله أن يفرج همه.

******

وقفت مدهشة وهي تري باب البيت يغلق .. ليست الدهشة هنا بل الدهشة في من خرج لتوه صعدت سريعًا من الباب،

للشرفة ممسكة بهاتفها تستدعي نمرةً ما .

لتهتف بعد ثوانٍ من الانتظار :

- لن تصدقي ما رأيته منذ لحظات!

******

الفصل الرابع

هل تذكرين، حين كنتُ في جُبِّ الضلال غارقة

على أول الطريق، دعوتُ ربي بحرقة خاشعة ..

وحيدة، وحيدة أنا يا ربي تائهة ..

خُذني إليك إلهي، أو أرسل لي منقذة ..

هل تعلمين، لم أدرك وقتها أنكِ بهذه السرعة مقبلة..

أما الآن .. فافتحي باب قلبك واسمعي

لا، لا أريدُ مجرد أذان صاغية

فها أنا أقر وأعترف

لا لستُ بفراقك حبي قادرة

لا لـستُ بـبعدك قـلـبي
هـانـئـة

فلا تـتركـيـني وحدي تـائـهـة
كـيف و أنـتِ بـيـدي ممسكة
بـك تـعلقت وبـدونـك خـاسرة
بـلـى أنـتِ خيـر صـاحـبة
لا تـتركـي كـفـوفـي شـاغرة
لا تـخذلـيـنـي لا تـخـونـيـني
لا تـتركـيـني لـلـحنـين
مـرافـقـة

"لماذا تُغلق الأبواب دائمًا في وجهي؟ .. أو لعلي أنا الغالقة!"

سؤال تردد في عقلها ولكنها سرعان ما طردته ورسمت البسمة على وجهها وهي تودع "رقية" ..

فمزاجها رائق هذه الأيام ولا داعي لتعكره، ألا يكفي عليها وجود

الصديقة لأن تتبني الفرحة ..

لو ظلت تتحدث عنها طوال العمر لَمَا انتهت الكلمات أبدًا ..

لم يلتقا إلا منذ سنة، ولكنها تشعر الآن أنهما تعرفان بعضهما منذ الأزل.

لا تنسى أول يوم عندما رأتها في فِناء المدرسة الثانوية، نظرة واحدة كانت كافية ليمتزج

مكتبة رواية

الأخضر بالبنيّ، ويرتبط قلبين، وتتآلف روحين، ويشاء الله أن تجتمعا في نفس الفصل وتجلسا على المقعد ذاته!

ابتسمت بحب وهي تتذكر بعض أيامهما معًا ثم وقفت تمشط شعرها البنيّ الذي تتخلله بعض الخصلات الذهبية، تسدله على ظهرها كالعادة.. يعشق أبوها تلك الخصلات فقد كان يقول لها

عندما كان يمشط لها شعرها وهي صغيرة أنها ميراث أمها لها، بالإضافة إلى بشرتها البيضاء المنمشة برقة وعينيها الخضراوتين الساحرتين، قال لها أيضًا أنه أسماها "شوْق" لشوقه اللامتناهي لوالدتها..

أبوها هو حبها الأول والأخير، عالمها كله وبطلها الأوحد، فقد

شهدت كيف تعب عليها
وعلى تربيتها
وتعليمها، كيف كان لها
كل شيء، أغرقها في حبه
ودلاله وخوفه عليها، هي
تفتقد لأمها كثيرًا
وطالما تمنت أن تحيا
معها ولو لدقيقة ..
ولكن حنانه عليها
واهتمامه عوضها عن
الكثير .. الأيام موحشة
للغاية بدونه ..

بعدًا لتلك الأشغال التي تبعده عنها ..

هذا هو جانب الأول من أيامها فيه الحياة هانئة والعيش مُريح، ليأتي الجانب الآخر فيتلاشى الهناء وتختفي الراحة عندما تفكر فقط في أختها التي لم تجرب أن تكون لها أختًا!

لا تعلم حقًا لماذا الود متدني بينهما هكذا،

ليس متدني وحسب، بل لا ود من الأساس.

بعض الأوقات لا يعجبها تعامل أبيها معها وإهماله ولكن "يقين" تغلق على نفسها دائمًا وتبتعد عنهم جميعًا، هي لا تحاول الاقتراب أو البر، لذلك أبوها لا يهتم.. أليس تلك قسمة عادلة؟!

نعم ضاقت بالأمس لأنه أفسد كل شيء حين

هاتفها وهي جالسة مع "يقين"، تشفق على أختها أحيانًا ثم تراها مُخطئة أحايين أخرى، تجعل التساؤلات تحوم في عقلها دومًا..

«هل يُهم حقًا اهتمام الآخرين بنا لنحيا؟! وإذا فقدت الاهتمام فجأة فهل سأتأثر؟، هل علينا أن نبحث عن الحب؟ هل نطلب الاهتمام؟ أم نستطيع أن

نخلقه لأنفسنا؟ "
ولكنها لم تجد الإجابة حتى الآن .. »

******

بعض الأحيان نجد كل ما يحيطنا يُكسينا ضيقًا، مجرد وقوع النظر يخنق انفاسنا ويُكبل قلوبنا ..

كرهت "يقين" هذا الملل القابع بجوارها، تستطيع أن وتخيل هيأته المملة بحد ذاتها

وحركاته الأكثر مللًا، يُمَّكن الذكريات من التسلل لمتاهات عقلها، تُؤلم معظم الوقت، ولكن هذه المرة أثارت الندم!

لا تعلم كيف لم تستغل شهادتها التي كانت ناصعة، كيف تركتها مركونة في أحد الإدراج يُغلفها التراب، كثيرًا ما يحدث أن تشعر بحقبة من عمرها فارغة، لا

تتذكر فيها شيء مثير أو حدث مهم..

حدث هذا في سنتها الأخيرة فمنذ أن أصبحت خريجة وهي تمكث في البيت مع رفاق الذكرى، الحزن، والألم.

كانت طالبة علم دؤوبة تغوص في دراستها وتُنّحي باقي حياتها جانبًا، فلا مجال للإلهاء ولا فقدان الدرجات، حتى تحقق الحلم وتخرجت بامتياز

من كلية الصيدلة، فجلست في البيت أخيرًا بعد جهد وعناء سنين، تستريح قبل أن تواصل حياتها العلمية والعملية وليتها ما فعلت..

ضاقت مرة أخرى ولكن هذه المرة من قرارها .. أليس هذا الغباء بعينه، الضغط لا يبدو سيئًا لهذه الدرجة، بل

لعله حل لمعضله حياتها.

تقلبت في فراشها تغالب خوفها، تحايل نفسها أن تلملم شتاتها ولا تستلم لذكراها، عليها أن تجازف، عليها أن تستعيد بقايا حياتها ..

ولكن مهلًا! من أين أتي هذا الصوت، من قال هذه الكلمات ؟!

ظنته مات منذ شهور، نعم هذا الصوت في عقلها، الصوت الذي يحثُها على النهوض ولو قليلًا..

قالت تحدث نفسها:

- كيف تركتني لهم هكذا، أين اختفيت منذ زمن، ظلوا يستنزفونني ويسلمونني لواقعي المُر .. وأنا مستسلمة أسير خلفهم كالسُكارى ..

فأسرعت باقي الأصوات تعاركه لتسكته، أصوات فقدت الثقة بالنفس،
أصوات كرهت نفسها وحرضتها عليها، أصوات تُعيد المآسي يوم وراء يوم ..
ولكن فجأة دوي صوت أعظم وأعلي يغلف المكان (الله أكبر) لتختفي الأصوات وتموت المشاحنات.

شردت قليلًا والكلمات تخترق قلبها، والصوت يخبرها الله أكبر، الله أكبر يا "يقين"، أكبر من حزنك وآلامك .. أكبر من كل شيء.

جال بخاطرها فكرة أرعبتها، أيكون هذا حسابها على غفلتها، أيكون غضبه؟

قامت ينهشها الخجل، هي لا تتذكر آخر مره قد صلّت فيها الفجر!

لـيست جاحدة ولـكنها مقصرة، تـلـتزم أيـام وتـنقطع أخرى، تـصلي فـرض وتُـفلت الـتالـي..

تـوضأت ثـم وقـفت تـصلي مـثقلة بـالـذنوب والـهموم.

أخذت تـدعو الله بـاكية أن يـهديها، يـغفر لـها، يـلهمها الاختيار ويـخلصها مما هي فـيه، فـهو طوق نـجاتـها الأول والأخير.

انتهت ثم تمددت على فراشها وهي تشعر بأنها أخف وأهدأ وقد سكنت الأصوات أخيرًا، لتنام هانئة مطمئنة لقرارها الأخير وهي عاقدة العزم على المحاولة ولو لمرة.

******

طال الجلوس وتعددت الحكايات ..

تارة في ماضٍ بعيد

وتارة في أخر قريب ..

أحيانا يغلفها الحزن وأحايين يشتد الألم، حتى وصلت الحكاية إلى نهايتها المفتوحة!

قال "خلف" يحث محسن على الاسترسال :

- أكمل، ماذا حدث؟ .. هل ذهب "عمر" للشركة أم ماذا؟!

أجابه "محسن" بنبرة مقتضبة يكسوها بعض الضيق :

- نعم، لقد أخبرني أنه ذهب ولكنه عاد يغلفه الوجوم ولم يحك لي شيئًا على الإطلاق.

قاطعهم طرق الباب ودخول بعض المشاريب للمرة الثانية بعد مرور وقت طويل لم يُفتح فيه..

أرتشف "خلف" القليل من قهوته الداكنة ثم نظر لـ "محسن" قائلًا:

- ألم تعرف أي شيء عن الذي حدث!.

أجابه بالنفي فطرح "خلف" سؤالاً آخر:

- وهل من الطبيعي أن يحدث ما لا يخبرك به "عمر"؟!

شرد "محسن" متذكرًا قبل أن يُكمل "خلف" يساوره الشك:

- فحسب كلامك، أنكما أكثر من مجرد أصدقاء، كيف لا يحكِ لك!

- نعم، نحن أخوة وأنا أقرب المقربين إليه .. لا شك في ذلك سيد "خلف"..

قالها باندفاع يدافع عن أثمن ما ملك ثم هدأ وأردف :

- "عمر" كان كتومًا نوعًا ما..

- أُصدقك .. ولكن دعنا نضع بعض الافتراضات، إذا ذهب، ماذا تظنه فعل!

أطرق "محسن" قليلًا ثم قال مستنتجًا :

- الفكرة فشلت .. مؤكد فشلت، لأنه لم يجلب أي بذور، ثم جاء بعد أسبوع آخر يسألني عن إذا كنت أعرف أي شركة قريبة للاستراد ...

أكمل عنه "خلف" :

- أراد "عمر" إذن أن يجلب البذور من الخارج مباشرةً دون وسيط.

أومأ "محسن" يتذكر حزن صديقه على فدانه ولكنه اضطر .. ثم قال:

- نعم، فباع أحد فدادينه الغالية على قلبه ليستطيع شراءها.

ذلك اليوم كان ثقيلًا عليه بشدة عندما ذهب لـ "محسن" يخبره بتمام البيع، كان الدمع مترقرقًا في عينه وفي ذات الوقت يزين وجهه بسمة أمل مُهتزة..

كان يتذكر لتنموا في صدره الغصة ويترقرق الدمع مرة أخرى ولكن ببسمة ألم :

- وبعد أن وصلت الشحنة وظننا أن كل شيء سيسير على خير، ولكن .. "عمر"، لقد مات .. مات "عُ ...." ..

لم يستطع أن يكمل اسم صديقٍ قد قُتل فانقطعت الكلمات وسالت الدمعات ثم أجهش باكيًا..

******

نهضت بنشاط يغمرها الحماس لتبدأ في تنفيذ خطتها .. لتبحث إذن عن عمل!

جاء على بالها حقيقة بائسة، فتبدد الحماس قليلًا لتبتسم باستنكار قائلة :

- آخ، وهل إيجاد عمل بالشيء السهل يا "يقين" ؟! وخصيصًا في القاهرة!

جلست مرة أخرى مفكرة، لقد قررت، إذن فلتحاول حتى لو كان الأمر مستحيلًا..

فالوقت مبكر جداً على الخضوع.

طفقت تتفكر من أين تبدأ، وللحظة تذكرت أبيها ونفوذه وثرائه.. مؤكد أن من السهل عليه تشغيلها وفي أكبر شركات الأدوية، فهو واسطة ضخمة متحركة!

ولكن، لالا .. لن تستعين به ولا بشهرته ولا باسمه حتى، هي "يقين عبد الخالق".. "عبد الخالق" وفقط!

ثم ومضت أمام عينها فكرة، عندما وقع نظرها على حاسوبها الحديث (اللاب توب)..

هرولت تفتحه ومنه لعديد من الصفحات على الإنترنت، تبحث عن أي

وظائف شاغرة أو طلبات توظيف ..

وبعد ساعات من البحث في الصفحات ومجموعات التوظيف بدون أي نتيجة، بدأ اليأس يزحف لعقلها، وكادت تغلقه، لكنها تراجعت عندما وجدت منشور في إحدى المجموعات، بدأت تقرأ ما تم تدوينه بلهفه بصوت مسموع :

- السلام عليكم، مطلوب خريج/ة صيدلة للتدريب والعمل في صيدلية "الحسيني" والتي على مقربه من ....

سكتت فجأة وتحولت اللهفة إلى خيبة، ضربت بقبضتها على المكتب تلعن حظها وهي تقول بضيق ساخرة :

- مزارع الإسماعيلية .. ألا يوجد مكان أبعد من ذلك .. آااه يا غيظي،

كيف لي أن اذهب للإسماعلية !!

صمتت ثم دونت رقم الهاتف الملحق بالطلب ثم أغلقت الحاسوب بعد أن دونت فوق الرقم اسم "محسن الحسيني"، تعجله آخر الخيارات..

نهضت عاقدة العزم على أن تبحث مجددًا قبل أن تقرر.

******

وقفت "شوْق" مدهشة وهي ترى باب البيت يغلق .. ليست الدهشة هنا بل الدهشة في من خرجت لتوها من الباب ..

صعدت سريعًا للشرفة ممسكة بهاتفها تستدعي نمرة صديقتها، لتهتف بعد ثواني من الانتظار :

- "رقية"، لن تصدقي ما رأيته من لحظات!

أجابت "رقية" تحثها علي الإفصاح :

- ماذا رأيتِ، أخبريني ..

قالت "شوْق" لتشاركها الدهشة :

- "يقين" يا "رقية"، خرجت من المنزل، أتصدقين؟!

تركت "رقية" ما بيديها لتجيبها باسمة :

- حقًا!، رائع يا "شوْق"، أخيرًا تتخلص من عزلتها.

فركت "شوق" رأسها وهي تقول باستغراب:

- نعم، ولكن كيف ولماذا، وبدون سابق إنذار، لم تخبر أي أحد أو تطلب أن يأتي السائق!

- من الممكن أنها أرادت أن تتمشى أو تشُم

بعض الهواء أو حتى أن تذهب لصديقة.

ضحكت "شوق" باستنكار:

- صديقة! أضحكتني يا "رقية"، لا أتذكر وجود صديقة لـ "يقين" ولا حتى أيام دراستها، ثم ألا تكفيها حديقة المنزل لشم بعض الهواء! لم أرها تخرج منذ زمن!

نهتها "رقية" قائلة قبل أن تُنهي المكالمة :

- لا تسخري من أختكِ يا "شوْق" وعلى كل حال فهي بشرة خير إن شاء الله، الأهم أن تطمئنيني عندما تعود من الخارج، والآن سأغلق لأن أمي تناديني.. وداعاً.

أنهت "شوْق" المكالمة ثم جلست والأفكار تعصف برأسها.

******

الفصل الخامس

يا نجمتي لمَ تلمعين، تزرعين فينا أملًا بالحياة.

ألم تسمعين، أو حتى ترين، طريقًا مُفخخ بالعقبات.

أسير كسيرة، بالخوف مليئة، ولا مجال للالتفات.

أملي أمامي يضوي، ينادي، يَجُرني لطريق الكفاح.

رُحتُ مهتزة، رجعتُ ببسمة، وأنا بالكاد أجبتُ النداء.

غفلتُ، أمنتُ، سهوتُ، خطوتُ بتجاهِ الخداع.

مددتُ يدي، أُنازع خوفي، يأسي، حزني وألمي قد عاد.

اضعتُ أملي، عزمي، فجهلي قد تركني فُتات.

وما هي إلا غمامة، غيمة خدّاعة أخفت فرجًا في النهايةِ قد ساد.

فأين يقيني، من الوهم يقيني، أم سأغدو كالرماد ..

شجاعة .. أو تهور

لا تعلم بمَ تصف ما تفعله الآن، فها هي خارج مسكنها - لا يمكنها أن تطلق عليه بيتها - تجوب الشوارع تحت أنظار الناس.

شعور يخيفها ولكنها صامدة، أصبحت لا تفهم نفسها، فهي تعيش في تناقض، تأتي أوقات تشتعل فيها شجاعة وتمردًا فتقنع نفسها بألا شأن لأحد في شكلها

وأمرها، ولكن سرعان ما تنطفئ وتتحطم أسوار قناعتها، تذبل فجأة وتمكث أيامًا متكورة على سريرها تبكي وقد زاد وجهها شحوبًا وطُليَّ تحت جفونها بالأسود.

انطلقت اليوم بعد أن صلّت الظهر الذي كان مصدر طاقتها وحماسها، ولكنها الآن تتحمل نتائج شجاعتها اللحظية تلك..

الطقس حار اليوم أكثر من أي يوم، الشمس في كبد السماء تراقبها بتحدي وتخرج لها لسان الاستفزاز..

حتى الغيم قد هرب فجأة، وكأنه عقد مع كُرة النار هدنة بألا ازعاج اليوم .. اليوم بالذات!

زفرت مختنقة من الحر وهي تهمس بضجر :

- أكره الصيف، الحر، والعرق!

لم تسلم من بعض النظرات السخيفة والكلمات الأكثر سُخفًا، ولكن لا يهم الآن، بعض الكلاب تنبح، لتجد ذلك العمل ثم تبكي كما تشاء.

مرّت عدة ساعات وهي تفتح الأبواب تدخل ثم تخرج خائبة..

فتشت صيدليات المنطقة واحدة واحدة، لم تترك إحداهن إلا سألت فيها عن فرصة للتدريب والعمل، ولكن الصيدليات مكتظة على آخرها بالدكاترة الصيدليين وآخرين متدربين ..

وبعدما فقدت الأمل في الصيدليات أخذت سيارة أجرة لإحدى شركات الأدوية البعيدة -

نسبيًا - التي قرأت في صفحتها على (الفيس بوك) أمس منشور تُعلن فيه عن بعض الوظائف الشاغرة، لكنها لم تكتفِ بإرسال سيرتها الذاتية فقط التي كانت قد أعدتها بعد تخرجها ولم تستخدمها، فقررت أن تذهب للشركة بنفسها.

ترجلت ثم اتجهت للباب، دلفت بتردد، استقبلتها

السكرتيرة تسألها بآلية :

- أهلا بكِ، كيف يمكنني مساعدتك.

تنحنحت "يقين" قليلًا ثم قالت :

- أنا خريجة كلية الصيدلة وأبحث عن عمل.

أخرجت السكرتيرة دفتر لتسجيل بياناتها ورقم هاتفها ثم قالت:

- حسنًا سوف يطّلع مسئول التوظيفات على طلبك

وسيرتك التي أرسلتها وإذا قُبِل سوف نقوم بالتواصل معكِ لأخبارك بموعد حضورك لمقابلة العمل.

همست برجاء :

- إن شاء الله ..

ثم شكرتها وخرجت من الشركة متجهة للمنزل مبتسمة تضيق عينيها كما كانت تفعل في صغرها تشتت الأضواء

حولها، ترسم شعاع من الأمل .

******

انبثقت الشمس أخيراً من مخبئها لتبصر أحوالًا قد تبدلت .. اليأس حل مكانه أمل والفرحة ما انفكت تتلاشى بمهل يحل محلها الضيق.

ملّت "شوق" من الفراغ الذي يملأ البيت، أبوها مشغول في عمله ويبيت في مكتبه، رقية سافرت

لبلدتها كعادتها في الإجازات مع أهلها، وهي لا تكتفي المحادثات الالكترونية التي تفتقر للإحساس والروح.

وبالطبع "يقين" مازالت في غرفتها، ظنت أنها ستتغير عندما رأتها تخرج من البيت ولكن ظنها بات خاطئًا..

أما ماما "نادية" - كما تناديها - التي كانت تؤنسها رغم

أعمالها في المنزل، هي الآن في إجازتها الشهرية.

السكون حولها في كل مكان بينما هي وحيدة وتتضور جوعًا، وسئمت من الطعام الجاهز (الدليفري) الذي تلجأ إليه دائماً عندما تكون ماما "نادية" غائبة..

فكرت أن تقوم لتطهي بعض الطعام، لكنها لا

تفقه شيء في المطبخ، أتسأل "يقين"، ولِمَ لا.

بعد أن اقتربا من بعضهما عند بكائها في المرة السابقة معا، ألا يسمح ذلك لها بأن تجلس معها وتتسامران قليلًا مثل أي أختين في هذا الكون .. عجبًا لما تقرأه من حكايات عن ترابط الأخوات!

وما تراه أيضًا في زميلاتُها وأخواتهن كبيرات وصغيرات!

رُزقت بالأخت وحُرمت منها في آنٍ.

اتجهت لغرفه "يقين" تقرع على الباب بطريقتها المرحة وكأنه (طبلة)، تجاهلتها "يقين" بعض الوقت ثم أذنت على مضض..

تركت الحاسوب الذي مازالت تبحث عليه

احتياطيًا ودارت بكرسي مكتبها لتنظر لها قائلة بجمود :

- ماذا تريدين؟

تحسست بطنها وهتفت كطفلة متذمرة :

- جاااائعة يا "يقيييين"، أموت جوعًا، لا أريد بيتزا ولا شاورما ولا كريب .. سئمت من هذا الطعام.

نظرت لها بعدم اكتراث ثم قالت بنبرة لاذعة :

- أتريني الطبّاخة هنا! عندك مدام "نادية" اذهبي إليها واتركيني وشأني ..

أجابتها مسرعة وهي تفرك عينيها وتتصنع البكاء:

- ماما "نادية" في إجازة.

- إذن ماذا تريدين مني! أنا مشغولة الآن.

قالتها بقسوة ثم التفت مرة أخرى بكرسيها تنظر في حاسوبها منتظرة خروج "شوْق" ...

ولكن "شوْق" لم تخرج ونسيْت الطعام في لحظة ودنت بفضول تنظر في الحاسوب إلى ما تنظر إليه "يقين"..

و سرعان ما لاحظت "يقين" اقترابها فأبعدتها هاتفة بغضب وقد تخلت عن هدوئها :

- ابتعدي عني يا "شوْق"، يكفيكِ تطفلًا.

ابتعدت بعد أن عرفت ما أرادت ثم خرجت بعدما قالت بخبث ضاحكة :

- لقد فهمت الآن لماذا خرجتِ أول أمس، بحث مُوفق يا "يقين".

لم تجبها "يقين" فخرجت ثم عادت سريعًا وقد تذكرت شيئاً، قالت بتحدي :

- سأطهو بعض الطعام، إذا أردت المشاركة.

ضحكت "يقين" باستنكار :

- أضحكتني .. مَن يصنع الطعام، أنتِ يا مدللة أبيكِ!

أجابت بحزم :

- نعم ولستُ مدللة ..

ثم أغلقت الباب على "يقين" التي تسلل لها بعض الضيق لتفشِ سرها .

******

طفقت التساؤلات تحوم في عقل "خلف" بعد أن ودعه "محسن" ليذهب ليُعيد الحكاية ولكن على أسماع النيابة هذه المرة..

لكنه لا يضع الأمل الكبير عليهم، فحتى الآن لا يوجد أي دليل مادي، وهم لا يسيرون وراء الظنون ..

ولكن الظنون هي من تلعب بثنايا عقله الآن.

فأكثر ما يشغله الذي حدث عندما ذهب "عمر" لشركة (القمحة)، إذا ذهب من الأساس!

علي كل حال فإن التأكيد آتٍ في الطريق.

يريد أن يمسك طرف خيط فقط يمكنه من رفع قضية تجاههم، يتمني شجارًا قد حدث، لا يمكنه أن

يذهب للمحكمة خالٍ الوفاض.

يراوده الشك في هذه الشركة "محتكرة البذور في مصر"

ولكن كيف ؟!

أليس في البلد شركة أخرى قادرة على بيع بعض البذور!

أو أن نفوذهم عالية للغاية ..

فنحن ببلد النفوذ والأسماء فيها هي

المتحكم والمالك الأول للأرض والخير ..

و أخيرًا دخلت "شذى " ومعها أوراق قد طلبها من أحد معارفه بالنيابة بها كل المعلومات عن شركة (القمحة)، وملفات أخرى ينتظرها على نار، بها أرقام هواتف أصحاب المزارع الكبرى ستُأكد ظنونه وقد يستعين بها

كثيرًا في الأيام المقبلة ..

بدأ أولًا بحكاية (القمحة) ..

كانت مجرد شركة بمنافذ بيع صغيرة بأحد مدن الدلتا منذ بضع سنين، ثم تضاخمت بسرعة هائلة خلال السنوات القليلة الماضية، حتى أصبح لها فرع أو أكثر في كل مدنية بالدلتا والوادي

وشمال سيناء والواحات..

فأينما وجد النشاط الزراعي وجدت (القمحة)..

واستولى أصحابها على أي منافذ أخرى لبيع أو شراء البذور والأعلاف، لتصبح هي المستوردة من الخارج والبائعة لجميع المزارع والمشاريع، والغريب أنها هي من تبيع بنفسها بمنافذها

الخاصة، فلا تنشر منتجاتها لأي منافذ أو محال ثانية، لتكون المصدر الأوحد والمتحكم الوحيد بالأسعار، تتلاعب بها كما تشاء.

والمدهش أن فروعها الخمس والعشرين تحت تحكم عائلة واحدة، عائلة واحدة تتحكم بالبذور، عائلة واحدة تتحكم بالأعلاف، عائلة

واحدة تتحكم في زراعة بلد بأكملها ..

" عائلة الجبلاوي " !

******

الانتظار ثم الانتظار ثم الانتظار مرة أخرى

مرّ أسبوع منذ أن ذهبت لشركة الأدوية للبحث عن العمل..

أسبوع ظلت فيه كل ليلة تتأمل نجمتها الجميلة من نافذة غرفتها..

"أمل" كما سمتها أمها "أروى" وحثتها على أن تنظر إليها كلما احتاجت لبعض الأمل، نجمة متألقة هي، تسترق الأنظار من كل النجوم حولها، فهي أكثرهم جمالًا ووضوحًا.

تتذكر قول أمها لها دائمًا وهي تتطلع إلى سماء الليل الحالك وتنظر في عيونها

مبتسمة ابتسامتها الرقيقة تلك :

- كُلما أشتد الضيق يا صغيرتي الجميلة ، انظري فوقك، فوقك يا "يقين" ستجدين ضوء " أمل" يجعل السواد الدامس لوحة بديعة .

صمتت برهة وهي تشير بأناملها الناعمة إلى أكثر النجوم وميضًا ثم أضافت :

-أترينْ؟ .. كلما زاد السواد والظلمة زادت بريقًا، وحتى لو أتت بعض الغيوم تخبأها فالغيوم لا تدوم وسرعان ما تتشتت يا"يقين" ..

سكنت هنية ثم استطردت بهدوء:

- النظر إلى النجوم يا حُلوتي يُرينا كيف يجعل الله وسط ما نظنه شرًا أسودًا خيرًا مضيئًا .. بدون هذا السواد

لَمَا عرفنا قيمة النور، لولا الضيق لَمَا عرفنا الفرج يا جميلتي، لولا الحزن يا "يقيني" لَمَا عرفنا الفرحة ..

شردت لثواني في كلام أمها والدمع يترقرق، نظرت بحزن إلى الغيوم التي اشتدت هذه الأيام وإلى البريق الذي يقل يوم عن يوم.

كم أرادت أن تشتت هذا السحاب وتفتته فهو

يحجب جزء من ذكراها البعيدة.

لا تعلم، لمَ لمْ تتمسك بكلام أمها، أهذا هو اليقين! فلماذا لم تكتسبه منها، لا تملك ولا حفنة، هل أخذت "أروى" اليقين كله ورحلت، أم عليها أن تصنعه بنفسها وبعرق جبينها؟!..

شردت قليلًا ثم نظرت للمرة الألف هذا اليوم

في هاتفها تنتظر اتصالًا وترجو رسالة ولكن السجل خاوٍ من أي مكالمات أو اتصالات.

لا تعلم ما ينقُصها ليقبلوا بها في الوظيفة، ليعطوها فرصة فقط، وهي ستثبت جدارتها، أم هو شكلها .. لا، لا يستحيل فهي لم تذهب لمقابلة عمل ولم تجلس مع إحداهم. ولكن لحظة! أيكون رآها أحد

هناك من المسؤولين عن التوظيف، ولكن ما علاقة عملها بالشكل أصلًا! كُفِّي عن هذا العبث يا "يقين"..

ورغم ذلك أخذت تجادل نفسها في أفكار ليس لها منطق ولكن الشيطان يريدها أن تتشكك في نفسها وتيأس أكثر وأن تستلم لواقع مُر رسمه لها بمساعدة نفسها

الضعيفة، سحقًا لهذا التذبذب الذي هي فيه..
كسمكة بلهاء كلما تعلمت السباحة في بحر الثقة لا تبرح حتى تلتقف الطُعم، لتضحى مسكينة عالقة في شباك الشك..
تتلوى..
يحيطها الندم.

******

كان الأخضر في كل مكان الشمس حارقة والعراك

مشتعلًا بينها وبين ظل الأشجار فيا تُرى من المنتصر ..
و بينما تدوي من بعيد أصوات ثرثرة النساء ومشاغبات الأولاد، جاءت أصوات عقلها تغطي عليهم، لا تستطيع التوقف عن التفكير في القتيل الذي وجدوه في الحقل المجاور، كل ما تتذكره أنها رأته مرتين أو ثلاث فهي لا

تأتي هنا إلا مرة في السنة في إجازة نهاية العام الدراسي، تقضي ثلاثة أشهر في بيتهم الكبير الذي يضم جدها وبناته وأزواجهم وبالتأكيد أطفالهم، أما هذه المرة فاستقبلهم الخبر الفظيع، والمنظر الدمويّ ..

لقد وقع عليهم الخبر كالصاعقة، فدائمًا ما

يعم الهدوء والسلام في المكان حتى أصبح "عمر" حديث الكبير والصغير في البلد، خاصة المنطقة الزراعية هنا، فمزرعتهم وسط مزرعتين فدادين القتيل ومزرعة من وجده!

قطع شرودها دخول أحد الأشواك في إصبعها فقفزت متأوهة تاركة حقيبتها القماشية

الـمـلـيـئـة بـالـلـيـمـون لـتـسقـط عـلـى الأرض.

الـتـفـت عمـتـهـا سـريـعًـا بـوجـل :

- مـا بـكِ يـا "رقـيـة" لـمـاذا تـصرخـين هـكـذا ؟!

قـرّبـت مـنهـا إصبـعهـا قـائـلـة بـألـم :

- تـشـوكـت يـا عمـتـي، يـؤلـمـني بـشدة.

أجـابـتـهـا تـلـومـهـا :

- يجب أن تُركزي يا بنت، ثم إنها مجرد شوكة، انظري إلى يداي لتعلمي أنكِ مرفهة.

اتبعت كلماتها تمد لها يدين تغزوهما الجروح والتجاعيد، قد شهدت جهد سنين في الأرض والزرع.

ثم أضافت وهي تعود لقطف الليمون :

- هيا لملمي ما سقط منكِ وأكملي جمع

الليمون قبل أن تغرب الشمس.

لم تجبها "رقية" وجلست على ركبتيها لتجمع ما سقط منها ببطء وهي تتأوه من ألم إصبعها.

مرت بضع دقائق وهي تلملم الليمون لتجد شيئًا ما مربع غريب تمرمغ بالطين.

تركت الحقيبة بجانبها وأخذت تحفر بمهل تحاول استخراجه، لم تنتبه

لعمتها وهي تستعد للمغادرة إلى البيت.

نبهتها قائلة :

- هيا يا بطيئة لقد أوشك المغرب.

- حاضر يا عمتي، اسبقيني وأنا آتية .

أجابتها مودعة :

- كما تشائين ولكن لا تتأخري.

اومأت لها "رقية" ثم أمسكت بكفيها شيء يبدو

ككتاب صغير أو ما شابه ثم أخرجته بمهل من بين الشجيرات والورق والغصون ..

أزاحت من فوقه الطين لتجد مذكرة صغيرة ولكن ورقها تبلل وبعضه تقطع.

ظلّت تقلبه بين يديها متسائلة عن سبب وجوده هنا، وجدت آثار كلمات في معظم صفحاته ولكنها لم تقدر على فهم شيء

بسبب البلل والطين، عادت للنظر إلى غلافه الجلدي البنيّ لتقع عيناها على كلمات حفرت عليه بوضوح، لتنتفض وكأن إبرة وخزتها، شحب وجهها وتسارعت دقات قلبها ثم نطقت بخفوت :

...... « إليكِ يا "رقية" « ......

******

وضع سماعة الهاتف بعد اتصالات دامت دقائق وساعات..

زفر بضيق، النتيجة سلبية للغاية..

لا يعلم كم حوارًا أجراه حتى الآن بنفس الصيغة مع أصحاب المزارع والفدادين .. والإجابة واحدة..

منهم لا يعرفون "عمر" من الأساس إلا بعد انتشار خبر مقتله،

ومنهم من كان يعرفه عن قريب أو بعيد.

زفر مرة أخرى ثم رفع هاتفه لأخر مرة هذا اليوم قائلًا دون مقدمات:

- "عمر" لم يذهب للشركة من الأساس!

******

الفصل السادس

أنتِ حنيني، أنتِ شوق دهري وأيامي

أنتِ ألمي ودائي، ولا أبحثُ عمن يداويني

حروفي مبعثرة ولكنها تثير شجوني

أكتبُ، لأن لا ملك لي سوى كلماتي

إلـيكِ يـا رقـيـة أفـيض بـحبٍ أراق جفـونـي

أهمس إلـيكِ - وإن طال الـبُعد - بـحبرٍ فـي وريـقـاتـي

اشتقت بل زاد الـحنين يـا آسرة فـؤادي

إلـيكِ يـا رقـيـة، حتـى يـأذن الله أن تـقـع عيـنـاكِ عليـهـا وأنـتِ حبـي الأول وحـلالـي.

إلـيكِ يـا رقـيـة كـل قـصصي وحكـايـاتـي.

أغلقت المذكرة بغضب
يشوبه بعض الخجل بعد
أن قرأت تلك الكلمات،
يكفيها هذا لليوم
ليست متأكدة كم مرّ من
الوقت وهي تقرأ كلماته
بل تلتهمها « هل تجني
في حق قلبها؟ » سؤال
بات في عقلها الليلة.
ولكنها أقنعت نفسها
بأنه بعض الفضول
وسيذهب لحاله، أو

لتعتبرها مجرد رواية رسائلية ستقرأها، تمزقها وينتهي الأمر.

بدأت تُراجع ما قرأته وتتذكر عندما أصبحت المذكِّرة بين يديها وقرأت ما خُط على غلافها الجلدي، وقتها استنكرت، وأخذت تتساءل متعجبة..

من هذا ليكتب لها، ولماذا، أين رآها، أيريد أن يلهو أم

يلعب، كيف يضعها هنا، وأين عقله، ألم يخشَ أن تقع بين يدي أحد من أهلها وإن حدث كيف سيظنون بها تلك الفتاة القاهرية!

كادت ترميها ولكن الفضول أبى، تريد أن تعرف من هو فقط، وقتها ستريه جزاء اللعب بقلب فتاة أيًا كانت.

وبعد ذلك أخذت تنظفها من الطين وتجففها من

الماء، وبعد أن كانت تحب صخبة وجود الأهل والسند أصبحت تنتظر الهدوء وغلق الجفون، لتقرأ كلمات غلب الظن بأنها سُطرت لها، وكيف تكون لغيرها أليست هي الـ"رقية" الوحيدة هنا؟!

تأكدت من نوم بنتي عمتها اللتين يشاركنْها الغرفة، فهي لا تريد لأحد أن يعرف أي شيء أو

يظن حتى، كما قالت بعض الفضول وسينتهي.

بدأت في أول صفحة سليمة نوعًا ما بعد بعض الصفحات التي تخلت عن كلماتها، والأخرى التي تقطعت.

في البداية لم تكن تعلم هو أم هي صاحب المذكِّرة، ولكن الخط واللون البني يوحيان بأنه شاب أو رجل.. أمر بديهي..

مع بداية السطور استنتجت أنه شاب، شاب أعزي، بار بأمه التي تحبه بشدة فهو كل ما تملك وتدعو دائما بأن يملأ لها البيت عيالًا، كان يتحدث عن بعض ذكرياته الجميلة مع أمه وأبيه الذي مات من سنين ثم يحكي لها كم تألم وكم شعر بظهره ينحني حتى كاد أن ينكسر، وكم عاش أيامًا عصيبة وجد فيها نفسه

يتحمل كل شيء وأي شيء، كم تعب وسهر في عمله بالساعات ليجني بعض الجنيهات، وكيف ذاق الألم والبؤس والحرمان ..

قطع قرأتها فجأة دمعة متأثرة متمردة لمعت على خدها الأيمن طفقت تزحف وتزحف حتى بللت كلمة قد تبللت من قبل بدمعة كاتبها ..

أسرعت تمسح أثرها بهلع وكأن جريمة قد ارتُكبت، وتساءلت لماذا يجعلها تخوض في حياته، أو لماذا هي تسمح لنفسها بأن تخوض بها..

أكملت حتى عرفت كيف فاض الله عليه برحمته، بعد أن تخرج وعرف أخيرًا كيف يستفيد من الأرض

« أحياناً نملك الكثير ولكننا نعمى ونظل نشكي

أين رزق الله إلينا، وفي الحقيقة هو بين أيدينا ولكننا نجهل كيفية استعماله »

ثم وقعت عيناها على عنوان يُزيل بداية أحد الصفحات بخط عريض (رسالتي الثانية إليكِ يا رقية).

ضحكت ساخرة بخفوت، تتلبس رداء الرفض!

« كانت أمي تدعو لي دائماً برفيقة الدرب ..

فأقول لها ادعي لي بـ"رقية"، كان تشد بيدي لخطبة الفتيات، فأقول لا إني أنتظر "رقية"، وها أنا أكتب كل ما في قلبي، أُصبر نفسي، حتى تقرئينها وأنتِ جانبي وبداخلي يا "رقية" . »

أغلقت المذكرة وقد زينت كلماته وجهها ببسمة خجل ولكنها تمالكت نفسها بسرعة،

كانت مشاعرها غريبة عليها، لأول مرة تتعرض لموقف كهذا، لا تعلم أهذا غضب أم خجل .. أم أنه فرحة! أو لعله مزيج من كل ذلك.

- آه! أرجعي لصوابك يا "رقية"، ألم نتخلص من تلك المراهقة الساذجة، فليسامحك الله يا من لا أعرف له اسمًا. عاشق ولهان إذن، ولكن أين أنت فأنا لا أراك، ها

أنا أقرأ ولستُ بجانبك، أم هو مجرد كلام! .
سأكمل يا سيد أنت، ليس لشيء، بل لأعرف من أنت لأُريك أنني لست من يُلعب بها.

******

فكرت "شوْق" أنه ليس من العقل أن تجلس لتتكلم الجدران وأختها بالداخل!

أصبحت تتجرأ كل مرة وتذهب لتتفقدها أو تزعجها حتى..
ترفض دخولها في أول الأمر ومع تكرار الزيارات بدأت تقبل دخولها وإن لم تشاركها الثرثرة .. تستمتع أو تتجاهل لا يهم، المهم أنها بقربها، بقرب أختها التي لم تعرفها ..

لم تعبأ بتلك النظرات
التي كانت ترمقها بها،
فهي مازالت تفخر
بإنجازها الباهر عندما
تشاركا معًا الفطور
لأول مرة بعد أن أغرتها
بقهوة البندق تلك -
التي لا تعلم في
الحقيقة لماذا تعشقها
هي وأبوها لهذه الدرجة
- وبعض الكعك الشهي،
كتمت ضحكاتها بالكاد
وهي تراها تمُد يدها
لتسترق بعض القطع ثم

تحتضن كوب القهوة، ولكن "يقين" هي من ضحكت على نفسها بالفعل، كانت كطفلة شرهة!

لقد ضحكا معًا..

لم تكن تعرف أن "معًا" دافئة بهذا القدر..

والآن، فقد حان وقت الزيارة اليومية..

مرّت على غرفة أختها التي تكبرها بسبعة أعوام لتسمع نشيجًا

وآلام، حلّ بها القلق فقد كانت على ما يرام الأيام الماضية.

طرقت الباب لتختفي الأصوات وتمر بضع ثوانٍ حتى فتحت "يقين" بعيون ذابلة وبملابس الخارج

- ما بكِ يا "يقين"؟ أين كنتِ؟

قالتها "شوق" بقلق صادق لتجيب "يقين" باقتضاب :

- أنا بخير لا تقلقي.

ثم أدخلتها لتحايلها "شوْق" قائلة :

- لا لستِ بخير يا "يقين" .. ألا ترينّ نفسكِ؟! أخبريني أين كنتِ وماذا حدث؟

لم تجب "يقين" فأضافت بصدق :

- ليس فضولاً ولا تطفلاً .. أنا قلقة عليكِ، أحكي لي .. أولست أختكِ ؟

سالت دمعات على وجنتيها وأخذت تبكي بحرقة بعد أن جال بخاطرها الذي حدث ..

فتأثرت "شوْق" ببكائها وأخذتها بين ذراعيها تربت عليها ..

- اهدئي، يكفي بكاءً، صدقيني لن ينفع البكاء .. هو يهلككِ فقط.

حاولت "يقين" أن تتكلم ولكن الكلمات أبت الخروج..

وكيف تحكي أو تشكي ..
وهي لا تعلم سببًا،
أتشكي قهراً أم ظلمًا،
أتشكي ضعفًا أم تعبًا،
وليت الكلام يكفي..

وإن حكت، أتحكي عن
فراق كسرها أم إهمال
حرقها؟

وإن شكت، أتشكو كلمات
كالسُم، أم أبًا لا يصلح
أب، أم أختًا أخذت منها
كل شيء؟

قالت بأنفاس متقطعة يخنقها البكاء وهي تحرك رأسها بمرارة :

- لا .. لن يف.. يفيد .. الكلا..م

فتحت "شوق" فيها لتتحدث ولكن هربت الكلمات، لا تعلم كيف تواسيها، هي حتى لا تعلم ما يؤلمها، شعرت بأنها غريبة عنها، ربتت عليها قليلًا ثم

لـملمت تـساؤلاتـها وانـسحبت خـائـبة.

سارت مـتخبطة حـتي وصلت لـغرفـتها، جلست على الأرض مُـثقـلة بـحقـيقـة حـاولـت كـثيراً أن تـنكرها، طفقت تـحدث نـفسها :

- نـحن أخوه نـعم، لـكنـنا غربـاء أشد غربـة، ألـيس من حقـي أن أطمئن، ألـيس من واجبـي أن اسمع، وإذ

أبت الحديث، أهو ذنبي أنا؟!

صمتت تتفكر ثم جاء على بالها سؤال أرعبها.. أهم سبب تعاستها؟!

******

استيقظ "محسن" فَزِعًا لِمَا رآه في منامه، نظر بين يديه وهو يحبس أنفاسه هلعًا يتأكد من عدم تلونهما بالأحمر،

ثم غطى بهما وجهه ودخل في بكاءٍ مرير...

لم تتركه الكوابيس المتوالية في حاله تزوره في اليقظة ومن ثمّ الحلم، يرى بين يديه رأس "عمر" المشوه وعلى ساقه يتمدد جسده المتهالك، يعيد المشهد نفسه كل يومٍ وليلة، عندما استيقظ يومًا مُنقبض القلب، ويمر اليوم بدون سلامٍ ولا

كلام، يستغرب، فهذا لم يحدث منذ سنين، يرن ويرن وما من إجابة، يغلق صيدليته ويهرول قاصدًا بيت صديقه، يطرق الباب ليتفاجأ، فالباب مفتوح!

يدخل والقلق ينهشه، الفوضة تستقبله، يجول البيت ويفتش عن أي أحد فلم يجد، يذكر الله يحاول أن يُهدأ نفسه ويمسك هاتفه ليرن للمرة

الأخيرة ليسمع صدى صوت الهاتف بالقرب منه ولكن بدون صاحب، يقلبه سريعًا .. السجلات، الرسائل كله محذوف، لا يذكر أن صديقه كان مُلمًا بتنظيف هاتفه أول بأول.

يقف قليلًا وأفكار وظنون كثيرة تتصارع في عقله ثم يخرج سريعًا ليسأل الجيران أو أي أحد عنه ولكنه يعود خائبًا،

ويبدأ في البحث عنه بنفسه ..

بحث حول المنزل، سأل عنه في المحلات القريبة، أطفال الشوارع ..

اتجه نحو فدادينه الأربعة، مسحها شبرًا شبرًا، نادى ونادى، حتى وصل مع وصول أول أضواء النهار للسور حديث البناء الذي يفصل بين فدادينه الأربعة

والفدان الخامس الذي باعه منذ بضعة أسابيع، كاد يعود أرجائه، ولكنه لَحَظ أجزاء من ملابس متقطعة عليها بقع دم!

هلع، فقفز وعبر السور راكضًا وطبول الفزع تقرع، كاد قلبه ينفطر، أو ينخلع أيهما أقرب.. عندها رأي منظر، وقف مشدوهًا ثم انهار

ولم يصحوا إلا في المشفى.

منذ وقتها لم ينم ليلة هنيئة ولم يعش يومًا طبيعيًا..

قطع سيل الألم صوت المُنبه، فقد قرر أن يرجع لفتح صيدليته.

فمنذ وفاة "عمر" وهو منعزل للحياة، أو هي من اعتزلته..

قام، أخذ حمامًا فشل في غسل آثار دمٍ لازالت

تلوث عقله، ثم اتجه لعمله، كاد اليوم أن ينقضي حتى رنّ هاتفه ليرد بصوت كاد أن ينساه:

- نعم .. من معي ؟

قالها بصوت مختنق لترد عليه بصوت أكثر اختناقًا:

- "يقين" .. أبحث عن عمل ..

******

أنهى حديثه مع "محسن" يُلقي عليه الصاعقة، بعد أن صُدم بعدم وجود من شارك أو شهد ذهاب "عمر" للشركة، كان الأمر مطروحًا لديه من الأساس، بعد أن قرأ في شهادات الشركة أنها لا تعرف من هذا الـ "عمر، ولكنه كان يُكذِّب الأمر، لقد أراد بعض الإثارة، وعند هذه النقطة انطفئت الشعلة إلا من وجود كاذب ..

"عمر" أو "محسن" ..
ولن يُخرج "القمحة"
أيضًا من الحُسبان ..

دقّات خافتة على الباب
اتبعها دخولها، هرولت
ناحيته، توسدت صدره
واتخذت من حضنه ملجئًا
..

كانت مُثقلة بسؤال يزيح
راحة أيامها، سؤال لا
تستطيع ترتيب كلماته،
كل ما بقى في ذهنها هي

علامة استفهامه، قوسها حزن ونقطتها كرة هم ..

- اشتقتك يا أبي ..

قالتها بصوت مخنوق، تتعلق برقبته كغريقة، حتى لو كان هو سبب غرقها الأول ..

ابتعدت عنه قليلًا، جلست على المقعد المقابل، استعارت بعض الهواء من الغرفة ..

- كم عددنا في البيت يا أبي ؟

قالت وهي تشيح بأنظارها عنه، لا تعلم هل تحقق مع مذنب، أم تتهم بريء ؟!

اقترب برأسه ينظر لها مستفهمًا

اصطنعت المرح وأضافت وهي تتحرك في كرسيها :

- فلنعد معًا .. أنا وأنتَ ..

صمتت تحثه على الإكمال وهي تضم أصابعها كلها إلا إصبعين قد تحررا ..

- مدام "نادية" و...

- و... أكمِل ..

- "يقين" .

قالها بنبرة غضب حاول اخفائه

- نعم، "يقين" ..

صمت، فلوحت أمامه بأربعة أصابع وقد فهم مبتغاها، ثم تهدل

كتفيها وتساقط ذراعيها بجانبها، نظرت إلى الفراغ قائلة :

- لماذا أشعر دائمًا أن فردًا منّا مفقودًا، قد سقط من الحسبة، لا أعلم بما يمكنني أن أصف الوضع ولكني مستاءة ... أريد أن أفهم يا أبي ..

انعقدت قسماته، زفر ثم نظر متوغلًا في حقل

عيونها قائلًا بصوته الأجش :

- إذا وجدتِ نفسكِ يومًا قد وقعتِ فجأة في حفرة أعمق مما تتخيلين، ويوجد من يردم عليكِ التراب، ومع ذلك أنتِ تجاهدين وتحاولين الفرار، تحتاجين فقط صبرًا وعون ..

سكت مستذكرًا أسوء أيام حياته - أو هكذا ظن - ثم استرسل الحديث :

- الضغوط حولكِ في كل مكان، تشعرين بالانهيار، الضعف يغزوكِ .. ومع ذلك، يأتي من يكون لكِ عبئًا لا تستطيعين تحمله، والمطلوب هو النجاة به! .. ماذا ستفعلين ؟

- ماذا فعلت أنتَ؟

- اسقطت الحِمل ونجوت، مرّت الأيام وتجاهلت وأعلم أنني مخطأ في ذلك، وعندما جاء اليوم الذي مددت فيه يدي لها، رفضتها وابتعدت عنها كل البعد .. بقيت العبء الذي لا أستطيع تحمله .. وها أنتِ تُحمِّليه لنفسك، لن تصمدي طويلًا .. ليس لأنه ثقيلًا، بل لأنه يعرقل نفسه ومن يحمله، ولا

يحاول المساعدة للنجاة!

أنهى كلماته الغاضبة ليعم السكون للحظات ثم تهتف "شوْق" في مزيج من التحدي والأمل:

- لا، بل سأصمد يا أبي، سأنقذها وأُخرجها من الحفرة ..

فتر ثغره عن بسمة لم تفهم معناها، فنهضت واقفة وهمّت بالخروج ولكنها دارت فجأة

وألقت نظرة على الصورة المعلقة وهمست بشجن :

- لأجل أمي، لا أظنها سعيدة بحالنا، لأجلي ولأجلك .. ولأجل "يقين" ..

خطت تجاه الباب مرة أخرى، فتحته ثم وقفت للحظة ..

- أختي ..

نطقت بها تشد على كل حرف خاتمة لجملتها، ولكن في الحقيقة كان

الختام بحوزة دمعة متأثرة ..

******

بعض الأحيان يبدو من بعيد أن الأمر صغيراً ولكن كلما اقتربنا كبر وكلما توغلنا تضاخم حتى نصل لحقيقة لم نظن أنها بهذا الكِبر.

في منزل يغلفه الهدوء جلس "خلف" بعقل تملأه الصخبة، الحقيقة عنده كالشمس واضحة ولكن

الغموض هو الستار الثخين الذي يحجبها .. فتأتي أيادِ البحث والتقصي ترفع الستار بمهل، لتبدأ أشعة الحقيقة تتسلل رويدًا رويدًا حتى تنير البصيرة وتزيد اليقين ...

لم يعلم أن محصول العالم بأكمل يتحكم به ثلة من الشركات، لم يكن يتصور أن للبذور

احتكارًا، أخذ يقلب كلمات "آمن" في عقله ويحاول ربطها بقضيته، شاب عشريني مثقف هو، ولكن ثقافته مختلفة، فهو يقرأ في قضايا عالمية ولكنها ليست على بال الكثيرين.. فعندما استقبله "خلف" في مكتبه أمس ليسأله عن شركة "القمحة"، تركها ولم يتحدث عنها ولكنه روى له قصة

مأساوية وللأسف واقعية ..

بدأ "خلف" الحديث - بعد الترحاب وتقديم المشروبات - سائلاً وكأن شلالًا قد انفجر :

- أخبرني يا "آمن" ما رأيك بـ "القمحة" ؟ وكيف لشركة التضاخم بهذا الشكل؟ وكيف لهم أن يحتكروا تجارة البذور؟

ابتسم "آمن" ونظر لأسفل يرتب كلماته ثم قال بأدب بالغ :

- شركة "القمحة" يا سيدي ليست إلا نسخة مصغرة عما يحدث في الخارج ..

أطرق ثم شرب قليلًا من الماء تحت أنظار "خلف" ثم أكمل قائلًا :

-عالميًا يا سيدي للبذور والتقاوي احتكار، وعدد قليل

للغاية من الشركات هي من تحتكر البذور وتلعب بها وبأسعارها كما تشاء، بدأت القصة في فرانسا عندما تفجرت قضية جمع ومصادرة البذور والتقاوي في مايو عام ٢٠١٤م، لتنفرط بعدها حبات العقد يا سيدي وتبدأ المنازعات بين الشركات الغربية لوضع يدها على بذور العالم بأكمل ..

صمت قليلاً ثم نظر لـ"خلف" قائلاً بنبرة منفعلة ترن قهراً :

- يدخلون في حروب ضد الإنسانية يا سيدي، يريدون إخضاع الشعوب واستعبادها يرفعون الأسعار كما يشاؤون لأن كل همهم هو تحقيق أرباح مادية هائلة تقدر بالمليارات، لا يلتفتون للفلاح البسيط ولا الدول الفقيرة ..

سكت يلتقط أنفاسه المنفعلة ثم أخذ يعد على أصابعه قائلًا :

- شركتين في الولايات المتحدة وأخرى في فرنسا واثنتين أحدهما في سويسرا والثانية في ألمانيا ..

استوقفه "خلف" مستفسرًا :

-ولكن يا "آمن" كيف يحتكرون البذور .. أُعذرني على جهلي بهذا

الموضوع ولكن أوليس من السهل استخراج البذور من الثمار وإعادة زراعتها ؟

استحضر "آمن" الإجابة ثم قال :

- تقوم تلك الشركات يا سيدي بتخليق بذور معدلة جينيًا، هذه البذور غير قابلة للزراعة إلا مرة واحدة وبالتالي يصبح اقتطاع جزء من المحصول لإعادة

زراعته ضربًا من الخيال، وبالإضافة إلى ذلك، فإن لتلك الشركات نفوذًا كبيرًا ونشاطًا خفيًا تمكنت من خلاله إلزام بعض الدول خاصة في آسيا وأفريقيا إصدار قوانين تُكرس لاحتكار هذه البذور

توقف "آمن" لارتشاف بعض من شايه الذي برد ثم أكمل مستنكرًا :

- تخيل يا سيد "خلف" أن تلك الشركات تسيطر على اكثر من ٥٠٪ من بذور العالم، وليس فحسب بل خرجت بعض التقارير الفرنسية هندية تتحدث عن امتلاكهم ل ٧٥ ٪ من البذور في العالم، وطبعًا ذلك بعد سرقة الأصول الوراثية من دول العالم وخاصة افريقيا، وعلى وجه الخصوص مصر والوطن العربي.. (*)

أنهى "آمن" كلماته ناظرًا في ساعته ثم قال مستأذنا :

- والآن عليّ أن أرحل فمعملي يناديني، لا يكفي أن نقرأ عن المشكلة وإن كانت ضخمة، بل علينا أن نحاول حلها ولو فشلنا.

وقف "خلف" يودعه مرتبا علي كتفه :

- وفقك الله يا بنيّ، في أمان الله .

ابتسم "آمن" ممتنًا ثم تركه والخيوط تترابط في عقله ..

(*) مصدر المعلومات الواردة : مقال : 5 شركات كبرى للبذور والتقاوي تستعبد مزارعي العالم موقع : مجموعة شبكات بشاير الزراعية الرقمية

******

بعد أن خرجت "شوق" من الغرفة مثقلة بواقع مرير، مرّ على "يقين"

عده أيام بين بكاءٍ وشرود.

ندمت أنها وضعت كل آمالها على هذا الطلب، فقد مرت الأسابيع دون اتصال ولا رسالة .. فقررت عدم الانتظار دقيقة أخرى والذهاب بنفسها لتعرف سبب تجاهل طلبها للعمل! ..

ذهبت وبيدها التوتر لترجع تجر ورائها ذيول الخيبة!

فقد قابلوها بالرفض وبأسباب تراها خاوية، ولكن في الحقيقة هم لم يظلموها في شيء، فهي لم تتدرب ولم تعمل سابقًا، لكنها تجاهلت كل شيء وتركت الظنون تأكل عقلها..

عجبًا لها! بكل مشكلة أو عقبة تواجهها تلقي اللوم على شكلها، لم تأخذ بأي سبب، لم تصبر، لم يأتي ببالها

أنه قد يكون شرًا لها وإن تمنته .

فحولت ايامها سوادًا، وأضافت حزن فوق حزن، وأخذت تراجع ذكرى ذكرى، ألم ألم، وتقلّب علب نفسها المواجع، تتذكر صوت ضحكات أختها وهي تمتزج بضحكات أبيها وهي ابنه الثامنة، تتذكر غنائه لها وتقبيله وأحضانه، تتذكر عندما كان

يطعمها في فيها بيده وإن كانت قادرة على إطعام نفسها ..
تمر أمام عينيها المشاهد ثم تعود لتتسأل وإن كانت تحفظ الإجابة
" أين أنا، أين أنا من كل هذا، أين أنا من حضنك، أين أنا من قُبلاتك، أين قبلتك على خدي والأخرى تزين جبيني، أين ضحكاتي وقد

كنت نسيتها، هل كنتُ سرابًا ومازلت، أم هي أكفتك وزيادة ؟

أولستُ أنا قطعة منك، ألست شبيهتك، نسيتُ آخر مرة قلت لك فيها يا أبي، وليتني ما قلتها يومًا، فأنت لا تستحق ..

ياليتكِ يا أمي ترين، ياليتكِ تشعرين، أترين الأمانة .. نصفها وضعها فوق الرأس والنصف الآخر

أُلقى به في القمامة ..
"

زاد كرهها لهذا البيت ومن فيه، تمنت بشده أن تهرب وتتركه بأُناسه وذكرياته، ولكن هل تقدر على الهروب، وإن هربت فهل ستهرب من الآلام أم ستظل ملتصقه بها حتى تموت.
كانت في حيرة من أمرها حتى تذكرت رقمًا دونته منذ أيام، لتستخرجه من

هاتفها دون تفكير وهي تعض على شفتيها، تتمنى أن تفلح ولو لمرة، أن تُغيْر أي شيء، ترددت قليلًا عندما سمعت صوت المجيب، ولكنها تخلت عن ترددها عندما سمعت رنة ألم في صوته، تكفي لها همسة أو نظرة لتتعرف على القلب الموجوع، فهي خبرة سنين! ..

قالت بصوتٍ مخنوق من البكاء :

- دكتور "محسن" معي ؟

- نعم .. من معي ؟

اختناق يجيب اختناقاً

- "يقين" .. أبحث عن عمل ..

تنحنحت قليلا ثم أكملت :

- أنا خريجة كلية الصيدلة بامتياز في سنواتي الخمس ..

أومأ وإن لم تره وكأن الكلام حُبس في جوفه فأكملت تحاول ترتيب كلماتها :

- قد قرأت منشورًا لك تطلب فيه خريجًا للتدرب والعمل.

لم يأتها أي رد حتى ظنت أن الخط انقطع

- دكتور "محسن" .. هل أنت على الخط ؟!

- نعم .. نعم معكِ .

قالها بعد أن خرج من شرود طويل، تعجب من نفسه، لم يكن هكذا أبدًا، انتزعه من شروده سؤال خرج وقد عشش بين كلماته القلق والرجى

- هل العمل مازال متاحًا ..

- آسف .. أقصد .. نعم، نعم .. مازال

متاحًا ، من كلامك تبدين مناسبة ويمكنك الحضور غدًا للاتفاق على التفاصيل .

كان متخبطًا ، ولكنها جاءت في الوقت المناسب، فهو لا يستطيع التركيز على شيء ، وقد تأثر العمل في الصيدلة بشدة ، لذلك يسر لها كل شيء ...

أما هي فقد تعجبت لهذه السرعة وقد كانت تظن

الأمـر يـأخذ وقـتًـا، كـل مـا علـيهـا الآن أن تـرتـب لـهـروبـهـا!

******

الفصل السابع

كانت تقلب كعادتها في مواقع التواصل الاجتماعي، كل ما أمامها ينتهي ويُعاد مرة أخرى، ظلت على هذا الوضع حتى جذب انتباهها بعض الكلمات، كانت تعلو صورة لفتاة خيالية جميلة، بيضاء

ذات شعر بني يميل إلى البرتقالي، عيون براقة بلون سماء صافية ووشاح مربوط على عنقها من اللون ذاته ..

" مرت بخاطري فكرة،
عبرت ظلت الذكرى
نسينا الحزن شوقًا للغد الأفضل . "

ظلت تردد الكلمات مرة بعد مرة، شعرت أن الكلمات قد خطت لها،

فقط لها ..

"ريمي"

"نسينا الحزن"، أليس الحزن هو داء حياتها، هل لها أن تنساه، كيف وكل ذرة حولها تذكرها به ..

إذا كان لها خيار، أمنية محققة، لتمنت الخلاص .. الخلاص من ذكرى تأكل نفسها، تدمرها، تتركها حطام .

كانت مترددة، ليس القرار بالهين، كلمة "هرب" وحدها تخيفها، تجعلها تخطوا للوراء بعد أن تقدمت!

والآن وهي قد توصلت لدوائها الذي تتمني ألا يخيب فيه أملها، ألا يمكنها أن تُنحي الخوف جانبًا، أن تتخذ القرار، ألا يكفي اختناق، عليها ان تنسي الحزن، أو تتركه،

تهجره، تبتعد عنه وعن مسكنه ..

وها هو قرار اللحظة، ستترك البيت، أشخاصه، ذكرياته، وآلامه ..

ستسافر، ستبتعد عن القاهرة كلها، هي وشقائها ..

ستذهب للإسماعيلية لعلها تفتح لها أحضانها، ولعل أحد هناك يكون منقذ لها!

طفقت "يقين" ترتب أفكارها، يجب وضع خطة، ما عليها البدء به، ولكن قبل كل شيء وأي شيء، الكتمان هو الأهم، يجب أن تبعد "شوْق" عنها هذه الأيام لكي لا تلحظ شيئًا أو تشعر بتغيير..

هذه النقطة الأولى

ستذهب غدًا مبكرًا قبل أن تستيقظ "شوْق" إلى البنك لسحب أموال تكفيها للمشوار، السكن، الطعام وغيرهم من متطلبات الحياة ..

لأول مرة تحتاج لحسابها الممتلئ في أحد البنوك، بلى، لقد أهملها في كل شيء، ولكنه اهتم بتوفير المال، اجتهد حتى جعل

لكل واحدة فيهما حسابًا مكتظ ..

أكنه ظن أن المال

يكفي، يشفي، يصنع الحب

لكنه أساء الظن ..

هي لا تريد أمواله،

ولكنها مضطرة حتى تصنع

نفسها فقط ثم وقتها

ستتخلى عنه..

تلك النقطة الثانية

ثم فكرت في كيفية الوصول الإسماعيلية التي تبعد ساعتين تقريبًا عن القاهرة والوصول إلى الصيدلية بعدها ..

أرادت أن تذهب بالقطار في أول الأمر، ولكنها عدّلت عن رأيها وتراجعت وذلك لأنها لم تركب قطارًا في حياتها أبدًا وليست متأكدة من وجود

قطار يقلها إلى
الإسماعيلية أساسًا.

توصلت إلى أن الحل
الأمثل هو سيارة أجرة
أو تاكسي يأخذها
للمكان الذي تريده،
مُكلف؟ ولكن لا يهم..

وهكذا قد انتهت من
النقطة الثالثة

اعتادت التفكير بطريقة
منظمة

اتجهت إلى النقطة
الأخيرة

في البداية أخذت تبحث عن أقرب فندق للصيدلية لكي تستأجر غرفة تناسبها ولكنها تذكرت أنها لا تعرف مكان الصيدلية من الأساس!

لذلك قامت بإعادة فتح حاسوبها، ومن ثمّ (الفيس بوك)، ومنه إلى صفحة دكتور "محسن الحسيني" ليقابلها سواد وحداد..

تركت الأسئلة وليدة عقلها جانبًا الآن فهي هنا لتطلب منه إرسال الخريطة التي ستسير عليها، بعثت له كاتبة :

- السلام عليكم .. دكتور "محسن"، أنا "يقين" من حدثتك أمس بخصوص العمل، هل يمكنك إرسال موقع الصيدلية ؟

مرت بضع دقائق ولكن بدون رد، ثم دقائق أخرى والوضع ذاته ..

خيل لها لوهلة أن صرصور الحقل قد سكن الصفحة!

ملّت فأخذت تقلب في حسابه ..

سواد وسواد، لم تجد سوى السواد منذ أسابيع وفهمت من النعي ومواساة بعض الأصدقاء أنه قد فقد عزيزًا،

تأثرت بالكلمات وأشفقت عليه فقد ذاقت الفقد ..

وبينما هي تهبط أكثر وأكثر للمنشورات الأقدم، وجدت صورة ..

يقف فيها شاب طويل أبيض البشرة بشعر بني ناعم وعيون عسلية بجانبه آخر قمحي البشرة أسود العيون مجعد الشعر أقل طولًا ووسامة ..

تساءلت للوهلة الأولى من منهم دكتور "محسن" .. ثم قتل التساؤل دهشة، فقد شعرت أن الصورة تشع سعادة وأُخوة..

سعادة .. كلمة غريبة .. سعادة .. كثيرًا ما سمعت عن السعادة، ولكنها نست كيف تكون، ثم تساءلت أيكونان إخوة؟

ولكن كيف مع هذا التباين ..

ثم تذكرت أختها التي إذا وجدت صورة تجمعهما، فستجدها مطابقة للصورة أمامها .. ولكن مع اختلافات بسيطة .. بسيطة للغاية ولكنها مؤثرة أكثر ...

هي النوع ... والسعادة!

******

حملت مورِق منامها بين يديها، وضعته تخفيه بين ملابسها الفضفاضة ثم هرولت وحدها إلى المكان الذي وجدته فيه
..
ولكنها هذه المرة
تعلمت الدرس وابتعدت عن أشواك الليمون
وجلست على قرب مناسب
...
جلست تراقب الشمس وهي تنسحب من مسرح السماء

رويدًا رويدًا .. لتترك القمر يعتليه لبعض الوقت أصبحت تعشق القمر كما يعشقه صاحب الكلمات، يناديها يا قمري، تشعر ان قلبها يطير من الفرحة ..

أما هي تطلق عليه صاحب الكلمات، وهل يوجد ما هو أجمل من كلماته، بل هي أجمل من القمر ..

تمددت مفترشة العشب تحتها، وضعت المذكِّرة

فوق قلبها المتمرد ثم رفعت يدها بمهل تتحسسه، كانت الأيام السابقة تقرأ ثم تضغط عليه وتقول له أثبت، ثم ادّعت المفاجأة وهي تري حصون تعبت في بنائها لسنوات تتحطم وتتساقط تِباعًا ..

لقد شعرت وعلمت من اليوم الأول أن هذه الكلمات ستَهُز قلبها

الذي لايزال مراهقًا متعطشًا للحب ..

ولكنها سقطت في البئر وأحبته فعزفت عن محاولة الخروج منه ..
كان سقوطًا جميلًا!

اهتز قلبها لصاحب الكلمات وإن لم ترَ شكله، لم تسمع صوته، لا تعرف مكانه ولا حتى اسمه ..

ظنته في أول الأمر لاعبًا، ولكنها عندما

انغمست في عالم حروفه وجدته طيبًا خلوقًا، بارًا بأمه عاشقا لها، مجاهدًا نفسه، محاولًا الوصول لربه..

راقها كل شيء، أمر وحيد هو من كان يقلقها، أين أنت يا صاحب الكلمات، كانت دائما تهمس بها في نفسها، لماذا لا يأتي، لماذا ينقض كلامه ويبعث لها تلك الأوراق!

هذا ما كان عصيب الفهم والإدراك ..

كانت تقرأ بترتيب الأيام، تعيش معه أيام الحزن وتبكي ثم تجدها تبتسم بين دموعها وقد وصلت لأيام الفرج ولحظات العوض ..

كادت تحتفل أمس لوصول شحنه أمله، بعد أن تعدت صفحات الانتظار ووصلت لصفحة يذيلها أمل، فقد أخبرها أن

شحنة البذور وصلت وأن أمنيته ستتحقق ..

زين وجهها ابتسامة حالمة وهي تتذكر كل ذلك، تقلبت على يمينها تواجه محاصيل القمح الذهبية الشامخة، ثم فتحت المذكرة تقرأ على آخر خيوط النور ..

ولكن العالم اظلم فجأة، أظلم دون غروب، الأمل انسحب وأغلق

ابوابه في وجهه ومن ثم وجهها !

انتفضت تقرأ صفحات بعنوان خوف، وتهديد أمن.

تغير خطه هذه الأيام، كانت ترى حروفه وهي ترتجف وتشعر بقلبه وهو يرتعد ..

مكالمات غريبة، أرقام مجهولة، خشى على أمه، أخذها في زيارة

لخالته، تركها وعاد، فقد عَلم أنه مراقب!

لا ينام لا يأكل يكتب وحسب، ينتظر، لا يقدر علي شيء، خاف على "محسن" ..

ولكن من "محسن"، حكي لها عن صديق ورفيق ولكنه لم يذكر أي اسم ..

تركت التساؤل جانبًا وأكملت قراءة الذعر ..

خاف على "محسن" وانقطع عن زيارته أيام التهديد، انعزل في منزله، وأغلق عليه الأبواب.

التهمت الصفحات حتى وصلت لأخرهم، قرأت وهي تكتم أنفاسها، يرتعش قلبها

« "رقية"، أشعر بقربهم، آسف أنني عذبتك معي، لقد حاولت أن احميك من كلماتي،

ولكني عجزت، لا أعلم ماذا أفعل، لم أستطع فعل سوى ذلك، اذهبي لصيدلية "الحسيني" إذا وصلتك تلك المذكرة، هناك الكثير ركزي فقط «

شهقت مع آخر الكلمات وانهمرت دموعها، ثم أخذت تقلب الأوراق كالمجنونة، تهمس:

- أخبرني أنك لم تمت، أخبرني أنها سقطت

منك وحسب، لالا غير معقول، لا أفهم شيء، لا يمكن أن تُقتل هكذا ... يا صاحب الكلمات لا ... لا تتركني بعد أن تعلقت، فقد أحببت .. أحببتك .. أحببتك يا "عمر" ..

نعم فلم يمت غيره لم يقتل أحد مثله، قتلوا حبه، وقلبها ..

******

كانت المشاعر تتضارب في نفسها كما كانت المناظر تتغير من حولها، كان يجتمع الخوف والتردد بالتطلع لحياة مختلفة، وعلى الطريق كانت تبصر أحيانًا صحراء جرداء على جانبيها ثم يأكلها الأخضر لتتحول لمزارع منظرها يأُسر القلب والنفس، كانت الشمس تحرق بشرتها البرونزية الداكنة التي يحيطها

وشاح بلون القهوة،
تأففت وهي تنظر
لهاتفها بين يديها
تحاول الاتصال بـ
"محسن" منذ أيام ولكن
بدون رد ..
لم تستطع تأجيل سفرها
بسبب عودة مدام
"نادية" بعد يومين،
وهي الوحيدة التي
يمكنها أن تلاحظ حقائب
السفر في غرفتها
والخزانات الفارغة حين

تنظف الغرفة، وقتها ستحدث أباها وينتهي الأمر، لذلك قررت تعجيل السفر وعندما تصل ستسأل عن مكان مزارع الإسماعيلية كما قال في إعلانه، وإن لم تجد الصيدلية ستقيم في أحد الفنادق حتى يتيسر الأمر وتصل إليه بأي طريقة ..

كان بداخلها ما ينهاها عن كل ذلك، جزء قلق

غير مرتاح، لا يريد
التغيير، خائف من حاضر
مجهول، من بلد غريب،
من ناس لا تعرف منهم
أحدًا، لكنها أصمتته،
أصمتته بحياتها التي
ليس لها معني،
باختناقها من بيت لا
يخُصها، أصمتته وقالت
له يكفي، يكفي خوفًا،
فمستقبل مجهول أرحم من
حاضر مؤذي ..

وبعد ساعتين من الصمت المطبق، رأت لافتة كبيرة مكتوب عليها بخط عريض "مرحبًا بكم في مدينة الإسماعيلية "
نطقت أخيرًا سائلة :

- هل وصلنا ؟

- نعم ..

قالها بكلمة بمقتضبة ولكنها كانت تريد أن تعرف أكتر

- هل تعرف يا عمي مزارع الإسماعيلية ؟

صمتت ثم أضافت :

- هل نحن قريبين منها ؟

- مزارع الإسماعيلية .. هم كُثر وفي أماكن متفرقة ..

- ولكن كيف .. كنت أظن أنهم بمكان محدد، أبحث عن صيدلية بالقرب من تلك المزارع ..

- انظري يا آنسة، يوجد مجمع قريب من هنا

سأنزلك بالقرب منه .. فهناك من ينتظرني.

قالها بحنق لتصمت وهي تبحث عن أي حل.

أنزلها في احد المناطق الشعبية القريبة من بعض المزارع، أعطته ثمن الرحلة ثم رحل، لتقف وحيدة تمامًا وإن كان حولها الكثيرين بمختلف الأشكال والأعمار ..

لأول مرة تشعر أنها لا تستطيع التفكير، فهي في محافظة رغم صغرها فهي غريبة، المزارع هنا وهناك، ولعل الصيدلية تقبع في أي مكان .. أحست بالضياع، شعرت بالأرض تلفظها، لم تفتح لها أحضانها كما تمنت، كادت تبكي، حاولت التماسك وهي تسير لا تعلم لها وجهة وتجر ورائها حقيبة

سفرها تمتلئ بالخيبة ..

اخذت تنظر حولها بيوت، محال، أسواق، مطاعم ومقاهي، لكن أنفها ساقتها إلى أحد المخابز المتعطرة بروائح المخبوزات الشهية .. وقفت محتارة بين الأنواع المختلفة حتى ابتاعت بعضها، ثم سألت أحد البائعين في المخبز عن صيدلية

الحسيني فلم يُفدها، سألته عن أي فندق أو مكان للإقامة فدلها على نُزل قريب ولكنه بسيط، شكرته ثم اتجهت له وهي تحاول الاتصال بـ "محسن" ولكن الهاتف مغلق!

****

مرّت الأيام، ومعها مرّت الحقائق وتكشفت، أشرقت الشمس أخيرًا وانزاح الستار..

أضحى يرى القاتل ويعرفه، ولكن يبقي الدليل ..

تعددت لقائته مع "آمن"، ومع كل لقاء وحوار كان يقتبس من معرفته أكثر وأكثر، كم يعجبه هذا الشاب المثقف، كلما رآه أو تحدث معه تقزز أكثر من الشباب الضائع الذين لا يفعلون في حياتهم سوى اللهو في الشوارع

والجلوس على المقاهي، لا يكذب على نفسه بأنه يريده لابنته التي يشتاقها بشدة، ولكنها مازالت صغيرة وأمامها الكثير، فطفلته الجميلة "شوْق" لم تُنهِ دراستها الثانوية بعد، بالكاد أنهت الصف الثاني الثانوي...

طرقات على الباب

- أدخل.

قالها بدون أن ينظر إلى الباب، ظنّ أنها "شذى" كالعادة تخبره بحضور أي شخص أو وصول أي خبر جديد، ولكنه تفاجئ بـــ "آمن" يدخل هذه المرة بدون "شذى" ..

وقف ودنى منه مرحبًا بحرارة ومربتًا على ظهره، قد أحب ذلك الشاب وأحب حضوره، كم تمني أن يملك أبنًا

مثله، لكان سيطير به فخرًا واعتزاز ..

جلسا، فبدأ "آمن" الحديث مازحًا :

- لقد قلت أنني أصبحت صاحب مكان المرة السابقة، فدخلت بدون رسميات، معملي أصبح يغار من مكتبك يا سيدي ..

ضحك "خلف" ثم ربت علي كتفه مجددًا وهو يرمقه بنظرات الإعجاب ..

- اخبرني ماذا ستشرب، حتى لا يجف حلقك من كثرة الكلام كالمرة السابقة ..

ابتسم "آمن" ثم قال بمرح :

- دعنا من القهوة قليلًا .. ممممم .. الشاي أصبح مملًا كذلك، ولكن إذا أضفنا عليه بعض الحليب سيصبح رائعًا، ليتنا كنّا في

الشتاء لكنت شربت سحلبًا ..

أخذا يضحكان حتى امتلأ المكتب بالبهجة. ضحكا قليلًا وطلبا المشاريب، فنجان قهوة بندق وكوب (شاي بلبن) ثم بدأ "خلف" يسأل بحماس :

- حدثني يا ولدي عن البذور المهجنة والأخرى المعدلة وراثيًا، وما الفرق بينهم ولماذا

الاهتمام بهما لذلك الحد ؟

- أنظر يا سيدي، دعنا نبدأ بالبذور المهجنة أو الهجينة ...
تلك البذور تأتي عن طريق تزاوج نبتتين مختلفتين، قد يكونوا من نفس النوع أو من أنواع وسلالات مختلفة، ولكي توضح الفكرة أكثر، يجب أن نعلم أن

معظم النباتات تملك أعضاء تذكير وأعضاء تأنيث من خلال تزاوجها تنتج الثمار، قد يكونوا في نفس الزهرة أو على زهور مختلفة في نفس النبات..

هدأ قليلاً يرتب كلماته ثم أكمل:

- لإنتاج البذور الهجينة، لا ندع نفس النبتة تتكاثر مع

نفسها، بل نزوج أعضاء تذكير من نبتة مع أخرى مؤنثة من نبتة ثانية ..

استوقفه "خلف" مستفسرًا :

- لكن كيف لا ندع النبتة الواحدة تتكاثر مع نفسها ؟

- بطرق عديدة منها أن نقوم بإبعاد الاجزاء المذكرة التي تحمل اللقاح عن الأجزاء

المؤنثة، أو نغطي الأجزاء المؤنثة كي لا يصلها اللقاح..

قال "خلف" معترضًا:

- وأين الصعوبة في ذلك، لماذا لا يتعلم الفلاحين وينتجون هذه البذور بأنفسهم؟

أنظر له "آمن" ثم أجابه قائلًا:

- أنظر يا سيدي، يوجد من يحاول، ولكنها مجرد جهود فردية ومتفرقة

تبذل في إنتاج الهجن، فلنقل هجن الطماطم مثلًا، ولكن تلك الجهود تواجه مشاكل ومصاعب ..

منها أن تلك العمليات - هجن الازهار - شاقة ومكلفة وتحتاج أيادٍ مدربة جيدًا على تلك العملية لكي لا تتعرض لأي خطأ ..

فخطأ واحد فقط يا سيدي في التهجين يؤدي إلى فشل كل شيء ..

احتسي بعضًا من مشروبه ثم أردف :

- تلك العمليات تجري أيضًا في أوقات محددة ودرجات حرارة معينة ..

وبالإضافة لكل ذلك، فإن الحصول على الأصول الزراعية التي نحتاجها للهجن، أمر صعب ودقيق جدًا ويحتاج كثير من التجارب ...

قال "خلف" متفهمًا :

- قد فهمت الآن، أمر شاق حقًا!

ابتسم "آمن" حتى ظهر بياض أسنانه

- هذا هو عملي يا سيدي، نحن نقوم بالتجارب للتهجين ولدينا بعض التجارب ايضًا للتعديل الوراثي للبذور..

وفي كلتا الحالتين، نهدف لإنتاج ثمار أكبر حجمًا وأكثر انتاجًا

ومقاومة للأمراض والآفات وغير ضارة على الإنسان، ولكن المشكلة الوحيدة هي أن تلك الثمار عقيمة ولا يمكن الزراعة منها مره اخري، فيضطر الفلاح للشراء في كل مرة .

- رائع يا بني وفقك الله أنت ومن معك، هذه هي الهندسة الوراثية أليس كذلك ؟

- نعم تستخدم الهندسة الوراثية في التلاعب في جينات النبات مخبريًا، تعديل الجينات وإدخال أخرى جديدة باستخدام تكنولوجيا متطورة، لتصبح النباتات كما قلنا مقاومة الأمراض والحشرات والجفاف، وهذه هي البذور المعدلة جينيًا.

وكأن الهدوء أبى أن يحل، فبالكاد عندما أنهى "آمن" كلامه حل رنين هاتف "خلف" محل صوت نبرته الذكية .. كاد أن يغلقه لولا وقوع بصرة على اسم المتصل، رد قَلِق فهي لا تهاتفه إلا في الحالات الطارئة!

- أبي .. أنجدني .. لا أجد "يقين" .. انتظرها منذ يومين .. لا أعلم ماذا أفعل، أنا

خائفة، هل أنا السبب ..

قالتها بنبرات سريعة خائفة

- بمهل بمهل يا صغيرتي، اهدئي قليلًا يا "شوْق"، لستِ السبب في أي شيء، أنا سأتصرف، أغلقي الآن ..

أغلق مع "شوُق" وغَضِب حتى كاد يتصل بـ"يقين" لولا أنه تذكر من يجلس أمامه يتململ وهو

يراقب ويسمع ما لا يخصه، وقف "آمن" ورحل بعد أن ودع "خلف"، الذي وضع الهاتف على أذنيه منتظر الرد وهو يشتعل غضبًا من تلك الفتاة!

******

صوت العصافير يغلف المكان، الغرفة تُضاء رويدًا رويدًا، غرفة من سرير ومرآة وخزانة

وشعلة بسيطة تعمل بالغاز ...
غرفة صغيرة نعم ولكنها أفضل بكثير من بيت ضخم سكنته لسنين وأكثر راحة، رغم الشمس الساطعة طوال النهار إلا إنها نامت ملتحفة بأحد البطاطين لبرودة الجو ليلًا، لم تنم هانئة هكذا من قبل برغم أنها لم تصل لـ"محسن" بعد ..

استيقظت بشعور جديد، أخف وأهدأ، لم تعد خائفة، أحبت المكان والناس فيه يبدوا عليهم الطيبة ..

وقفت أمام المرآة تهذب خصلات الليل القصيرة، التي بالكاد تلامس أكتافها بعد أن قصرتها أكثر بالأمس، تريد أن تكون إنسانة جديدة وتنسى تلك القديمة البائسة ..

كل ما تريده الآن أن تملك عملًا وبيت صغير دافئ، هذا يكفيها.

ابتسمت وهي تتخيل حياتها الجديدة، التي ستبدأ بمجرد وصولها لـ"محسن" فقط..

أمضت كامل اليوم أمس في البحث في الشوارع القريبة، وابتياع بعض المشتريات، أطعمة جاهزة وملابس جديدة، نصحها أحد أصحاب

الصيدليات بالبحث في مكان آخر فهو يعرف كل المحال هنا ..

نهضت ترتدي ملابسها لتلحق الفطور ثم تبدأ مهمة بحثها لليوم وهي مازالت تحتفظ ببسمتها الرائقة، وقفت أمام المرآة مرة أخرى ترتدي حجابها بإتقان، كادت تنتهي حتى سمعت اهتزازات هاتفها خلفها على الفراش، دق قلبها

بسرعة لعله "محسن" قد تذكرها، هرولت لتحمل الهاتف، ولكن بنظرة واحدة على الاسم الظاهر اختفت البسمة واسودّ وجهها كأنها كبرت ألف عام، أمسكت الهاتف بأنامل مرتعشة، قالت في نفسها "حان وقت المواجهة يا "يقين"، لا تدعِ أحد يتحكم بحياتكِ .. هيا، أجيبي وأنهي الأمر قبل أن يبدأ"

وفي لحظة شجاعة أجابت على الهاتف

- أين أنتِ .. هل جننت لتتركِ البيت ؟ .. أمامك نصف ساعة حتى أرجع إلى البيت وأجدك فيه .

قالها بصوت هادر أفزع الأثاث البسيط حولها.

- لا .. لن أرجع ..

- ما هذا الذي تتفوهين به ؟!

- كما قلت، لن أرجع .. أتمنى أن تنساني كما سأنساك.

قالتها بثبات ثم أكملت ساخرة:

- آسفة لقد نسيت، أنتَ نسيتني بالفعل منذ زمن ..

- كيف تتحدثين هكذا، أنسيتِ مع من تتحدثين ؟ .. أنا أبوك يا غبية.

- لست أبي ولا أعرفك، أبي مات مع أمي منذ سبع عشر سنة!

- هل جنن..

- لا لم أجن .. والآن وداعًا، وإلي الأبد.

قاطعته ثم أغلقت الهاتف، مرت دقائق وهي تقف كالصخرة تقاوم دموعها، شاخصة البصر لا تصدق ما فعلته منذ لحظات، تمنت أن ينتهي الأمر بهذه المكالمة

وألا يأتي الغد بألم جديد .. ومع ذكر الألم اخذت تحدث نفسها هامسة :

- لا لن أبكي .. لن أبكي .. لن تبكين يا "يقين" مجددًا .. مجددًا ابدًا ...

لن تدع لنفسها فرصة، وضعت هاتفها في حقيبتها ونزلت بعد أن أغلقت الباب.

*****

قنا بل كلام روايات

الــفـصل
الـــثـا مـن

علاقــتــنـا تــعـجـزنـــي، بــعـدك يــؤلــمـنـي، صرت لا أفـهـم،

الــظـلام يــلــتـهـمـنـي، ظلام يــلـطـخـنـا، قــلـوبـنـا تــتـآكـل

وأنــتِ لا تــدري.

ظلمك يــكـبـر فـــي عـيـنـي،

لــطـالـمـا حـاولــت أن اجـتـاز

اجــتـاز سـواد يــطـغـى، يــطـغـى

كـلـمـا سـارت الأيــام

سؤال يجتاحني وبقوة،
لمَ البعد لمَ الفراق
ألا تكفيكِ سنين مضت،
لقد طارت مع الرياح
ساعات مرّت، قد مرّت مرّ السحاب
خسرنا، لم نجني فيها سوى الأحزان
فهل تعجبكِ حياتنا، هل تسميها حياة
اخبريني من المخطيء
ومن هو الصواب

اخبريني من الظالم،
ومن في الظلم عاش

أجيبيني، هل آلمتكِ، هل
كنتُ والأذية سواء

أجيبيني فعقلي محتار،
هل أستسلم أم اختار
البقاء

وكيف أبقى وقد مضيتِ
تركتيني وراء

أتدرين بربك، حطمتيني
وكل الآمال

آمال بنيتها وببعدك
أضحت سراب

أنهت "شوْق" المكالمة وهي تحثُ قلبها على الاطمئنان، تعلم أن العلاقة بين أختها وأبيها ليست بالشيء الذي يَسُر، ولكنها مازالت ابنته.. ابنته مهما كان..

تمكث في البيت لا تقدر على شيء، ما باليد حيلة، ليس أمامها سوى الانتظار القاتل..

تذكر حينما بدأ القلق يتمكن منها عندما طفقت تقرع باب "يقين" وبدون إجابة، لم يأتِ ببالها إلا ذاك اليوم الذي كادت فيه تتخلص من نفسها ..

حاولت الدخول وبالفعل وجدت الباب غير موصود، تعجبت ثم توجست عندما قابلها الفراغ في الغرفة، ظنتها خرجت مثل المرة السابقة

ولكن عينيها وقعت على المكتب الفارغ من الحاسوب وبعض الأدوات، الخزانة مفتوحة وملابس كثيرة مفقودة ..

ظلّت الظنون تلعب بعقلها ليومين، كل ساعة تمر تؤكد على حقيقة حاولت تكذيبها، لا تستطيع التصديق أن "يقين" رحلت ..

وإن رحلت فهل ستعود،
وإلى أين ذهبت، هل هي
بخير، ....، ...
ومع ذلك فكانت تتمسك
بفُتات الأمل بأنها
ستعود، ستعود ولن
تتركها، ستعود لتبدأ
خطتها، ستعود
لتستعيدها، ستعود
لتنقذها من الحفرة كما
تعاهدت مع نفسها،
"يقين" ستعود لابد أن
تعود، لن تتحمل

فراقها، لن تتحمل الوحدة، لن تتحمل فقد أختها بعد أن فقدت أمها ..
وقتها قررت أن تلجأ لأبيها، ليس لها سواه ..
والآن وقد مرت بضع دقائق منذ أن حدثته ووعدها بالتصرف أمسكت هاتفها مجددًا، تريد أن تطمأن وتتأكد أنه أهتم وفعل أي شيء .

أجاب أخيرًا فهتفت كغريق يتمسك بقشة :

- أبي .. طمئني .. ماذا فعلت، أين "يقين"، هل هي بخير، متى ستعود ؟

قالتها بنبرة تقطر لهفة فقابلها بصوت بارد لا يدل أنه كان يتأجج غضبًا منذ دقائق

- كلَّمتها وهي لا تريد أن تعود.

انهارت حصون الأمل فقد قُذفت بكرة الخيبة، لم تجد كلامًا لقوله فحل الصمت حتى قال بنبرة أكثر برودًا :

- تريد أن تنسانا وننساها .. أرئيتِ!

حاولت استعادة بعضًا من نفسها متخطية الصفعة

- وحتى لو .. هل سندعها وحدها، الحياة ليست آمنة، وأنا أخاف عليها .. قد تواجه ما

يؤذيها، شياطين البشر حولنا في كل مكان يا أبي.

قالتها بخوف صادق فرد عليها مطمئنًا :

- لا تخافي سوف أحاول الوصول لمكانها لآتي بها أو حتى لأبعث من يحميها ..

- حسنًا، أنا سأحاول أيضًا ..

قالتها بصوت عاد له الأمل، أغلقت معه وقد

عزمت الأمر أنها ستحاول أن تحدثها، سترن عليها ليل نهار حتى تجيب، لن تيأس، ولكن قبل ذلك فتحت مذكرتها الذهبية تكتب بها ما تريد قوله، ما يشغلها، ما يورق منامها..

« أين أنتِ يا "يقين"، لماذا لاترغبين في العودة، هل أذيتك لهذه الدرجة، لدرجة أن تتركيني، وليس فحسب بل

تريدين أن تنسيني،
لكنني لم أفعل شيء،
نعم لم أفعل شيئًا
إطلاقًا، لم أقف أمام
أبي، لم أمد يدي لك إلا
نادرًا لكنني لم أظن أن
يصل بنا الحال لذلك،
أنا آسفة يا أختي،
أعتذر عن كل لحظة
خذلتك فيها، كنت أظن
أنني فقط من أحتاجك
وعميت عن احتياجكِ لي،
ليس بجانبك مستمعة ولا
سائلة، بل في ظهرك

ومدافعة عنك، آسفة فنحن لا نشعر بمن حولنا إلا عندما نفقدهم، ولكني لن أفقدك، لن استسلم حتى نصلح ما بيننا »

أغلقت مذكرتها ثم أمسكت هاتفها بعزم تبعث رسالة لأبيها بأن يرسل لها نمرة أختها، سوف تحدثها وتخبرها بكل ما في قلبها وعقلها، تعتذر عن كل

شيء، سوف تعدها بالكثير، فهذا يكفي .. يكفي فراق ..

******

طال المسير ولكنها لم تشعر به، فالمناظر الخاطفة، الفاتنة، الخلّابة استحوذت عليها بالكامل ..

منذ أن وطأت قدماها تلك الممرات الصخرية وهي لا تتوقف عن الخطو قُدمًا ..

كان المكان كالمغناطيس يجذبها إليه وإن كان يشبه المتاهة.

كانت مزرعة ضخمة مقسمة لحقول مُربعة مرصوصة بجانب بعضها، كل حقل يحيطه أربعة حقول من كل الاتجاهات، وبين كل حقل وآخر ممر صخري ينتهي بممرات أخرى يمين ويسار..

وعلى جانبي كل ممر سور يظهر من ورائه الزرع

والمحاصيل المختلفة، وفي منتصف كل سور باب ينفذ للحقل..

مزرعة غريبة فعلًا وفريدة من نوعها

أنزلتها السيارة - التي اخذتها لمجمع مزارع آخر بعيد عن مكان قبوعها - عندها.

ترددت في أول الأمر بالدخول، ولكن الجمال شدّها إليه واتخذها رهينة!

كانت الأشجار العالية تزيح من عليها أشعة الشمس الحارقة، الجو لطيف، الهدوء جميل، لا يتخلله سوى زقزقات العصافير.

كان الأخضر علي اليمين واليسار، وسبحان من جعله راحة للعيون والأرواح..

شعرت لوهلة أنها انتقلت لعالم آخر، عالم أخضر آسر، أسرها

حتى أصبحت لا تريد مغادرته أبدًا ..

ظلت تتساءل لماذا لا تحيا في مكان كهذا .. جنة على الأرض، لماذا عاشت كل تلك الأيام في بيت كبير فخم، ولكن بلا جمال ولا روح .

انتهى الممر بمفترق طرق نظرت لليمين ثم اليسار، احتارت في أي واحدٍ تسير، ولكن شيء ما في أعماق ذاكرتها

جعلها تتجه لليمين .. اليمين الذي تأتي منه رائحة دغدغت حواسها ..

سارت حتى وصلت لمنتصفه، وجدت مقعد خشبي قديم قريب من باب الحقل تساقطت عليه ازهار بيضاء رقيقة حتى كادت أن تغطيه .. نظرت لفوق لتبصر شجرة ضخمة عريقة، كانت كعروس خضراء ترتدي فستان أبيض خلّاب، الرائحة

قوية ورائعة، ترتبط بشيء في أقصى ذكراها، ولكنها لا تستطيع الوصول إليه ..

أخذت تلتقف الورد من فوق المقعد تضمه إليها، تتشممه، تتحسسه ثم جلست على المقعد ووضعته فوق رأسها وعلى ملابسها، ظنته حُلمًا لا تريد الاستيقاظ منه أبدًا ..

كل شيء هنا جعلها تنسى
ما حدث في الصباح
ومكالمه أبيها، قد
بدأت يومها بدون فطور،
فصوته فقط يكفي
لفقدان شهيتها لأي شيء،
حتى أنها فقدت
ابتسامتها حديثة
الولادة ومزاجها الذي
كان رائقًا، ولكنها
هدأت وتناست كل ما
حدث، وأخذت تبحث بجد
حتى جاءت إلى هنا

لتعود البسمة وترجع أكثر إشراقًا ..

صوت جاء من بعيد، يتناغم من أصوات العصافير، أرهفت السمع، تحاول إدراك الكلمات، كانت تلاوة خاشعة، الصوت كان يقترب أكثر، شعرت أن الكلمات تمسها، قامت وخطت بعض الخطوات لتقترب أكثر من بوابة

الحقل الذي يصدر منه الصوت ..
كانت البوابة سحرية وكأنها تُنفذ لجزيرة فاتنة، كانت البوابة شامخة يتلف حول أطرافها النباتات المتسلقة ومن فوقها تتدلى زهرات الجهنمية الرقيقة بيضاء وزهرية وكأنها تاج يزين جبين ملكة الحقل البهية، ومن على جانبيها زهور

مختلفة الألوان عبيرها يطغى والصوت مازال بطل اللوحة، كانت "يقين" مشدوهة بحق، لا تستطيع إنزال عيناها من على هذا الإبداع

نست نفسها، توقف الزمن حتى رجعت عقارب الساعة تدور مع ضحكات رقيقة نزعتها من شرودها يغلفها البهجة على الورد المتناثر فوق ملابسها

- أعجبكِ الياسمين؟

نظرت للمتحدثة بوجل للحظات، حتى تحول إلي راحة، وكيف لا ترتاح لذلك الوجه الجميل والابتسامة العذبة ..

أومأت لها بابتسامة فَرِحة، لتمد الأخرى يدها لها وهي تميل رأسها بلطف بابتسامة ضاقت لها عينيها ..

ترددت "يقين" قليلا فقالت :

- لا تخافي، سنتمشى قليلًا ..

- حسنًا يا ....، بماذا أناديكِ.

سألتها بعد أن زال ترددها ..

- أنا "صُدفة" .. وأنتِ؟

قالتها بعد أن أدخلت "يقين" الحقل.. حقل الورد!

كان أكثر الحقول جمالاً ورونقًا، تسبح فيه

الروائح المختلفة التي امتزجت معًا لتكوِّن عطرًا فريدًا يفتن الحواس ..

استنشقت بعمق ثم قالت والراحة بادية على وجهها :

- أنا "يقين" .. صُدفة سعيدة للقائك يا "صُدفة" ..

- ألا تُقال فرصة وليس صُدفة ؟!

- لا يهم .. المهم أنني التقيتكِ .

ضحكا معًا بمرح، ثم تقدما قليلًا ليفترشا الأرض وسط زهور الهبسكس الحمراء، جلست "صُدفة" أولًا بزيها الأبيض الفضفاض ثم سحبت "يقين" لتجلس بجانبها.

- أين تسكنين يا "يقين" ؟

لمع الحزن في عينها وقالت :

- لستُ من هنا ..

- لماذا أنتِ حزينة لهذه الدرجة ؟

سألتها بعفوية لتندهش "يقين"

- حزينة ؟! .. هل أبدو حزينة لهذه الدرجة؟

نظرت لها بعطف وقالت برفق :

- أراه في عينيكِ يا جميلة، بل في تقاسيم وجهك كلها، الحزن يحتلكِ ..

شردت "يقين" ثم قالت وهي شاخصة البصر :

- إذن فالحزن واضح، لماذا لم يشعر بي أحد ؟ لم يكترثوا لحزني، لم يدافع عني أحد أمام ظلم تجرعته، سرق مني حياتي، حطمني لأقصى درجة وتركني أشلاء، لماذا يفعل بي هذا، لماذا أهملني لهذه الدرجة، لماذا جعلني أكرهه حتى هربت ..

هربت منه .. وعندما علم، لم يهدأ، يريد استرجاعي ليُكمل عذابي ..

أخذت "صُدفة" تربت عليها وهي ترى شلال العبرات ينهمر، هي لا تعلم من هذا، ولماذا حدث ذلك، وماذا حدث في أيامها، أخفت صدمتها من هروبها، ولكنها تشعر بالألم في كل كلمة، وفي كل حرف ..

أكملت "يقين" بين دموعها المنسالة :

- في أول الأمر كنت متألمة، لكنني الآن خائفة، مرتعبة، أخاف أن يأتي .. يأتي ويحطم عليّ حياتي التي بالكاد بدأت أبنيها ..

لماذا لا يتركني وشأني، لا يكتفي بها، هي التي أخذت كل شيء، أخذت مني كل شيء ..

انقطعت كلماتها، لا تعلم كيف فتحت لغريبة قلبها، أم أن أبواب القلوب تُفتح وحدها، لعلها تختار الشخص المناسب، تسمح له بالدخول والتوغل بكل استسلام، تستريح له أكثر من كثيرين عشنا معهم لأيام.

كانت "صُدفة" تريد أن تواسيها بأي شيء، ولكنها لا تستطيع الحكم

من جانب واحد، وفي الوقت ذاته تخاف أن تتدخل فيما لا يعنيها، خشت أن تظلم من تقول عليهم أنهم ظلموها وفهي تعلم جيداً أن في منظورنا، قضيتنا هي القضية الأولي، نرى القبيح ولا نضع الحجج ولا الأسباب، خافت أن تكون "يقين" تعمى عن بعض التفاصيل، التي قد تغير الرأي والفكر.

- كيف لها أن تأخذ كل شيء؟

قالتها برفق، لا تريد أن تضايقها وتجعلها تندم على الإفصاح.

لم تقدر "يقين" أن تتحدث أكثر، لا تريد أن تختنق زيادة.

تفهمت "صُدفة" ثم نهضت وأخذت بيدها لتجعلها تنهض هي الأخرى.

- سآخذكِ في جولة لن تنسيها أبدًا.

قالتها بعد أن وقفت "يقين" بجانبها،
تشابكت اليدان، وطفقا يسيران، يشاهدان إبداع من صُنع الجميل الذي يحب الجمال، الورود تتراقص بفعل النسمات، زهور تستعد للتفتح وأخرى تلم بتلاتها وتتغلق، وأخريات كان لهنْ المساء أول ميلاد، ومنهنْ صداقة اختارت ذات المساء.

كانتا تسيران في ممرات بين الزهور، كانتا تسيران ومع كل خطوة كانت القلوب تتشابك، ومع كل خطوة كانت الراحة تزيد، وكانت الأرواح تتآلف.

- سوف أقطف لك بعض الزهور لتأخذيها معكِ.

قالتها "صُدفة" والابتسامة العذبة تزينها لتعارضها

"يقين" وتهز رأسها نفيًا

- لالا، لا تقتليها.

ضحكت "فرصة" برقة ثم قالت:

- أنا لا أقتلها، الزهور أداة لمعظم النباتات للتكاثر والازدهار، وعندما لا نحتاج لذلك يمكننا قطفها وأخذها للتمتع بها وتصنيعها لهذا خلقها الله، المدهش أننا

حين نقطف واحدة يخرج مكانها أخريات، نحن لا نؤذيها بل ندفعها لأن تكون أزهر وأجمل وأبهى .

اومأت لها "يقين" قائلة :

- لم أكن أعلم.

أشارت لها "صدفة" لزهرتين في أحد الفروع وقالت مؤكدة :

- انظري، هاتان الفُلتين، أترين الفرع

القصير الجاف وسطهن، كان يوجد هناك زهرة أخرى، قطفتها لأن عُمر الفُل يوم واحد فقط إذا تركتها ثم تذبل وتتساقط ولا نستمتع بها، ولكن عندما أخذتها تمتعت برائحتها لأكثر من يومين لأني وضعتها في الماء، ونمى بجانبها بدل الواحدة اثنتان .. وبالإضافة لذلك، نبات الفُل لا

يحتاج زهوره في التكاثر ..

- آه .. لقد فهمت الآن ..

- تلك الزهور كالسعادة تمامًا لا تدوم، علينا أن نستغلها فقط، وأن نصبر بعدها ونحن على يقين أن السعادة سيأتي يومها الذي تعود فيه مرة أخرى .. أليس كذلك يا "يقين" ؟

أومأت لها بين شرودها في الكلام ثم انتبهت متعجبة وهي ترى "صُدفة" تخلع وشاحها الأسود :

- ماذا تفعلين ؟! .. لماذا تخلعين حجابك؟!

- سأضع لك فيه الزهور، لا تقلقي، لا أحد غريب عليّ هنا.

طفقت تقص لها من الأنواع، بيضاء وحمراء وصفراء وزرقاء وزهرية، ثم لفّت الأعواد بوشاحها

وقدمت لها باقة الزهور البهية.

احتضنت "يقين" الباقة وتشممتها ثم قالت ممتنة:

- لا أعلم كيف أشكرك يا "صُدفة"، هذه أجمل هدية أخذتها في حياتي حقًا.

- لا تشكريني، لم أفعل شيئًا.

قالتها ناظرة لها بحب ثم التحما في حضن طويل دافئ.

عندما ابتعدتا قالت يقين ناظرة لهاتفها بأسف :

- لقد تأخر الوقت، عليّ أن أرحل.

- انتظري دقيقة، سأذهب لأجلب شيء أغطي به رأسي وأعود لأوصلك للخارج..

- أستطيع أن أعود وحدي.

- البيت قريب لن أتأخر.

- حسنًا.

قالتها ووقفت حاملة بين يديها الزهور تراقب الشمس وهي تنسحب من زرقة السماء القاتمة، تلتمع الزهور تحت ضي الغروب، تمتزج الألوان وتتكون اللوحة..

مرت عده دقائق
واتبعتها أخريات، ظلت
تنتظر وتنتظر ولم تأتِ
"صُدفة" بعد، الشمس
قاربت على الاختفاء
تمامًا ولكنها لم تَعُد
حتى الآن .. ذهبت
"صُدفة"، لم تظهر
واختفت كالطيف!

******

حفيف الأشجار ونسمات
الهواء الناعمة، أشعة

الشمس الحارقة، وبعض الظلال المتخللة..

كانت كلها مشفقة، مشفقة على من تسير هائمة.

الصدمة لازالت قابعة، قابعة على قلبها، لم تدُم الفرحة، ولا الكلمات الشاغفة.

ذهبت لتحقق ما أراده منها، قد تسميها وصية، لا تعلم، وإن علموا، فماذا سينفعه، لا تقدر

على التفكير، ولا التحليل، سارت كوردة ذابلة، ولا تعلم أنها ستقابل أخرى أكثر منها ذبولًا، وأن القلوب المحطمة ستجتمع!

ولحسن حظها فهي تعلم المكان جيدًا، ليس كالأخرى التائهة.

ولأن الشجر شاهد على الكثير..

منها المدبر ومنها الصُدف..

طمعت أحد الأشجار أن يستظل بها اثنتان،
اثنتان هدفهما شخص وحيد، ومقصدهما نفس المكان.
أبصرت أحدهما الأخرى، ليتولد فيها الذعر، برغم أنها لم ترَ منها سوءً من قبل.
تحركت قدميها تلقائيًا تفرُ، تحمي هروبها بهروب، ولكن أحد

الصخور تحالفت مع الشجرة وأبت ..

اصطدمت بها وكادت تسقط على وجهها لولا من أمسكت ذراعها بشدة تمنعها من السقوط بعد أن لحظت حركتها المفاجئة !

ساعدتها على الوقوف لتحل بها الدهشة

- "يقين" .. ما الذي جاء بكِ هنا ؟!

قالها بذهول ثم أكملت آملة :

- أين "شوْق"؟ هل هي معكِ؟

"شوْق" نعم "شوْق" فهي لا تحتاج أحد أكثر منها الآن، فهي صديقتها الوحيدة وبئر أسرارها ..

اما الأخرى فكأن بركانًا قد انفجر بداخلها، "شوْق"، "شوْق"، ألا يوجد في هذه الدنيا سوى

"شوْق"، ألا يمكنها التخلص منها أبدًا، هل ستظل تتبعها إلى ما لا نهاية ..

وقبل أن تنفجر في وجه الأخرى رن الهاتف برقم غريب، لمعت عيناها وأسرته أن تجيب ولكنها تذكرت الواقفة أمامها

نظرت لها "رقية" بتفهم وأسرعت قائلة :

- انتظريني، سأجلب بعض الماء وآتي .

لتجبها بنظرة تقطر حنقًا، وتقول في نفسها (من قال لكِ أريدك أن تأتي، لم أُرد أن أراكِ من الأساس) .

أجابت وهي تتمنى من كل قلبها أن يكون "محسن" :

- من معي؟

- "يقين"، أرجوكِ اسمعيني ..

توقف الزمن حولها لثواني تحاول أن تتعرف على صاحبة الصوت

-"يقين" .. هل تسمعينني؟

عرفت .. هي "شوْق" إذن، أرادت أن تُلقي الهاتف في النار، أن تحطمه، أن تنشق الأرض وتبتلعه .. أو تبتلعها هي لترتاح ..

وعلى الجانب الآخر، بدأ الحماس يقل ويزداد

التوتر، كانت تسمع صوت أنفاسها الحارقة،
أسرعت في الكلام لكي لا تخسرها، هي خسرتها بالفعل، ولكنها تحاول فعل أي شيء ..

- "يقين" .. أنا آسفة، أعلم أنكِ تسمعينني، ولكنني حقًا آسفة، قصرت معك بالكثير، كنت طماعة، كنت أظنني المحتاجة لك فقط، لقد ظلمتك ..

ظلمتك كثيرًا، لم أعلم إنك تحتاجين لي أيضًا، كنتُ غبية، وخذلتك أمام أبي، لم أكن بظهرك، لم أفعل شيء، لم أفعل أي شيء على الإطلاق..

تكومت في مقلتيها الدمعات فأكملت والغصة تُملئ صوتها:

- أنا آسفة.. سامحيني.. لا أريدك أن تبتعدي عني..

اجهشت بالبكاء وأضافت بكلمات متقطعة :

- لا تتركيني وحيدة، وحيدة جدا يا "يقين"، سامحيني، سامحيني .. أحتاجك .. أحبك ولا أتحمل بعدك، لا أريد أن اخسرك يا أختي ..

تمردت دمعة، دمعة متأثرة، ولكنها لم تكفِ لتُحيي قلبًا .. مات بالبطيء .

- "آسفة" .. وهل هذا وقت الاعتذار، هل جئتِ لتتذكري أو تشعري الآن، يا فرحتي، وهل تنتظري مني أن آتيكِ حاضنة باكية، لا انسي، لا .. لا .. لا، لن تنفع معي تلك الحركات ..

قالتها صارخة ساخرة ثم أكملت بسخط :

- أنتِ أنانية .. أنانية جدًا، لا تفكرين إلا بنفسك، لم تذكريني

سوى الآن! عندما ابتعدت عنكِ، حتى إنني لو بقيت ألف عام في بيتك الأسود .. الأسود المظلم، لن تذكريني لن تفكري في قول نصف كلمة ولا ربع اعتذار .

صمتت تأخذ أنفاسها الغاضبة ثم أكملت بقسوة تجرعتها لأيام وشهور :

-أتعلمين، أنا أيضًا آسفة .. أعتذر .. فأنا لا أحبك ولا أحتاجك ..

- "يقين" .. لقد عميت والآن أبصرت، لا تكوني قاسية.

قالتها وقلبها ينسحق لتلك الكلمات، لا .. لا يمكن أن يخرج هذا من "يقين"، لا تقدر على الاستيعاب ..

- وقد فات الأوان، انسيني يا "شوْق"، انسي

أن لك أختًا كما كنتِ ناسية.

- لا تقولي ذلك أرجوكِ.

- وداعًا، وإلى الأبد.

قالتها وأغلقت الخط، تخلصت من اثنين ويبقي الثالثة، تلفتت تبحث عنها وهي يتصاعد منها الشرر، لتجدها واقفة خلفها بنظرات مصدومة ولسان معقود، ليست هي الوحيدة من تعيش

مأساة، " قلبي عليك يا "شوْق" "، تحاول قول أي شيء ولكن الكلمات تأبى الخروج.

دنت منها تشيعها بنظرات مخيفة وهي تقول :

- انظري وركزي معي جيدًا أنتِ الأخرى

أولًا، لا تقحمي أنفك الطويل في ما لا يخصك .. ثانيًا، ليس لك شأن

بـأي شـيء لا أنـتِ ولا "شوْق" ..

ثـالـثًا، أنـتِ لا تـعرفـينني ولا تـعرفـين مـكانـي ولا تـعرفـين مـاذا يـمكن أن أفـعل إذا عرف أحدهم أي شـيء عن وجـودي هـنـا.

أنـهت كـلمـاتـها الـلاذعة ولـم تـدعها تـنطق بـكلمة ثـم الـتفـتت تـشد على حقـيبـتـها راحلة، خطت خطوة وعجزت عن الأخـرى

رأت وأحست، فاتسعت حدقتا عينيها واهتزت ..

******

الحر شديد، والعرق غزير، وعَجَزَ المكيف عن فعل الكثير ..

تأفف "محسن" من هاتفه الذي كاد أن يجن منه، فقد وقع منه بقوة وهو شارد في كوابيس يقظته التي لا تزال تلاحقه، ومن وقتها والشاشة

سوداء تمامًا، ولا
يستطيع رؤية أي شيء،
أحيانًا تأتيه بعض
المكالمات ولكنه لا
يستطيع أن يجيب.

تركه جانبًا بعد أن طفح
كيله وخرج من الصيدلية
ليجلب بعض الماء ..

كان يسير والشمس تحرق
بشرته البيضاء بينما
الضوء ينعكس علي حزن
عيونه التي انصبّ بها

العسل ليجعلها لوحة بديعة الألوان .

مازال الحزن حاضر لا يرحل، مازال عقله يمتنع عن الراحة، مازال جسده مرهق، ومازالت نفسه محطمة .

يبحث عن "عمر" في كل الوجوه، ينتظره كل يوم بيقينه وأمله، وعندما يحدث جديد أو غريب، يجد نفسه يراسله أو يحدثه تلقائيًا، مثلما

صُعق أنه لم يذهب للشركة بعث له متعجبًا ليجد أن الهاتف مغلف .. مغلق إلى الأبد ..

انتشله من شروده المعهود صوتان ينا ديان باسمه، لا يعلم هل سمع نبرة أمل، وأخرى ألم ؟ ..

وهل يفرق .. لا فرق عنده، فكل شيء أصبح شبيه بعضه، فقدت

الحياة ألوانها واكتست بالسواد.

نظر لمصدر الأصوات، ليجد فتاتين، إحداهما تبدو بجلبابها أنها من أهل المزارع القريبة، والأخرى من أهل المدينة ..

عيون ملتمعة بالدموع، على اختلاف حالها ونوعها .. فلكل دمعة نوع وسبب.

نظر لهما مستفهمًا بينما حدقت به "يقين" تتأكد أنه من كان بالصورة، كان طبق الأصل ولكن باختلاف او اختلافين، لاحظت العيون المتورمة والنظرات التائهة ...

بحثت عن السعادة التي كانت عنوانًا للصورة د، ولكنها اختفت .. اختفت تمامًا .

قبل أن تتحدث، تهتف بأي شيء، سمعت من تبكي ورائها بحرقة، لا تقدر أن تتماسك أو تمنع دمعها ..

اقترب "محسن" وهو متعجب ..

- هل ناديتموني .. ما بكِ .. هل تحتاجين شيئًا يا آنسة ؟

قالها وهو يدنو من "رقية"، يظنها تحتاج علاجًا او أن شيئًا

يـؤلـمهـا أو مـا شـابـه،
يـحـاول أن يـتـذكـر ايـن
رآهـا مـن قـبـل.

أخرجت شيء مـن جيـبهـا هو
كـنـزهـا وسـرهـا ومـحطم
قـلـبهـا وقـالـت من بـيـن
دمـوعـهـا :

- أنـتَ "مـحسن" ألـيـس
كـذلـك ؟

- نـعـم إنـه أنـا ..

- "عمـر" .. "عمـر" يـا
"مـحسن" ..

احتل وجهه إمارات الألم، الدماء بين يديه، وفوق قدمية، يديه حمراء، وجهه المشوه في كل الوجوه، "عمر" .. "عمر"...

حاول التقاط انفاسه، كاد يختنق، يحترق .. كل شيء يدور .. يدور .. "عمر" المشوه في كل مكان.

كاد يسقط لولا من أسنده، لم يفق سوى في

الصيدلية، بدأ يفتح عينيه ..

- حمدًا لله على سلامك يا بني، أعتقد أنها ضربة شمس ..

- شكرا يا عم "رجب" ..

قالها وهو ينهض بصعوبة ليرد عليه الرجل الطيب :

- لا تشكرني .. هل تريد شيء قبل أن أرحل .

شكره ثم قام يودعه على الباب تحت أنظار الفتاتين ..

-حمدًا لله على سلامتك، نأسف على إرهاقك، أنا "يقين" من كلمتك للعمل ..

- لا عليكِ شكرًا، آسف حقًا .. لم أستطع أن أحدثك .. هاتفي تعطل و.. و

غمغم وهو يضغط بيده على رأسه، كان

متذبذبًا، يريد أن يعرف ماذا تريد الأخرى، ماذا تعرف عن "عمر" .. لماذا تبكي .. هل تعرفه؟

- آه .. لقد فهمت الآن ..

لم تعلم ماذا تقول، تريد أن تعمل لترتاح، كانت تتعجب من تلك المتطفلة ورائها، ألا تتركها في حالها أبدًا، ومن ذلك الـ "عمر"، ما

الذي يحدث هنا، لم ترحل إلا عندما تفهم كل شيء ..

تجاهلها "محسن" ناظرًا لـ "رقية" .. قال بصوت مهتز :

- هل تعرفين "عمر" ؟

تولدت الدمعات مره أخري بذكر "عمر" حاولت أن تتماسك وقالت وهي تمد له بما في يديها المرتعشة :

- وجدت هذه في المزرعة .. قرأتها حتى علمت أنها من "عمر"، إنه يريد أن تقرأ آخر الصفحات.

أسرع يأخذها منها كأنه يأخذ قطعة منها ثم أخذ يقرأ .. ويقرأ .. لم يقرأ آخر الصفحات فقط كما قالت، خجلت واحمرت وجنتاها، قالت :

- هاتِها .

أعطاها لها معتذرًا بعد أن فهم سبب خجلها، قلّبت الصفحات وأعطته يقرأ الصفحات المحددة، تفاجأ بأشياء وذُعِر لأخرى، انتهت الصفحات ولم يصل لشيء يعلمه الفاعل .. لم يفهم ما هذا الكثير، أخذ يقلب في الصفحات الفارغة بهستيرية حتى لاحظت "يقين" شيء وهتفت

- ارجع، ارجع، لقد وجدت شيئًا .

نظر لها بعد أن تذكر وجودها فمدت يدها فأعطاها المذكّرة لتتلقبهي الأخرى في الصفحات الفارغة ولكن بمهل .. هتفت وهي تفتح أحد الصفحات

- وجدتها ..

أكملت وهي تشير على علامات حمراء باهتة

- أنظر هنا .. كان هناك شيء مكتوب بحبر أحمر أو شيء أحمر، ولكن الصفحة تشربته وعلى ما يبدو فإن المذكرة كانت مبللة مما جعلها تبهت أكثر وتكاد تختفي ..

حاولت التدقيق أكثر ثم قالت ثانيةً

- اعطني قلم ..

أسرع يبحث لها عن قلم، قطعت ورقة فارغة

تقطع معها قلب "رقية"
وأمسكت القلم تحاول
رسم نفس العلامتين، كان
سهمًا يشير لليمين وحرف
يشبه الفاء أو القاف
بدون نقاط .. أعطت
المذكرة والورقة
لــ"محسن" الذي قال :

- هذا ليس حبر .. بل
دم !

******

قنا بل كلام روايات

الــفـصـل الـــتـــاسـع

حـروف اسـمـك تــثـيـر هـمـومـي،
هـمـسـات حـروفـك تــكـفـي

لتوغل الخوفِ، واحتلال الحزن جفوني.

حروف اسمك غذاء شرودي، همسات حروفك تقتلني بسلاح الندم، لا تُبقي لي فرصةً لأحيا ولو لثواني.

حروف اسمك تُنّمي أحزاني، همسات حروفك ريحٌ تهدم آمالي، يا أختاه قلبي تمزق، فأين أنتِ من أيامي.

حروف اسمك منبع دموعي،
همسات حروفك تؤلمني،
وليت الجهل بقى صديقي
.. بقى صديقي ومصدر
أماني.

حروف اسمك أجمل ماضي،
همسات حروفك ملكي
الوحيد، وليتها بقيْت،
برحيلك رحلت ولم يبق
لي سوى شجوني.

فـهل سـأظل سجين حروفـك،
أم يــأتـي يـوم فـيه
هروبــي، وكـيـف أطـيـر ..
وجـنـاحي مـعك تــحت الــتراب

وكـيـف أطـيـر ..
فـيـك مُـكبل، كـلـي قـيـودك،
ولــك أسـيـر .
مـرت سـاعة أو سـاعـتان،
اثــنـان فـيـهـا يـحـكـيـان
وثــالـث يـسـتـمع ويـتـأثـر .

كانت في أول الأمر حَرِجة من وجودها واقتحامها ما لا يخصها، ولكن فضولها المعتاد جعلها تلح على "محسن" بأن يستريح وتقوم هي بأمر الصيدلية، في الحقيقة هو لم يصر كثيرًا، كانت رأسه تطلق صفيرًا وقلبه مُضطرب، ماذا فعلت يا "عمر"؟!

وقفت تلبي طلبات الزائرين، تسترجع

بسهولة ما تعلمته،
مزيج من الدهشة
والفرحة كان يعتمرها،
فها هي تستطيع التعامل
وإحضار الأدوية
المناسبة بيسر، وبكل
فخر وجدت نفسها ماهرة
في فك شيفرات خطوط
الأطباء!

لا تعلم لمَ كل هذا
التعقيد، هل يُعِدون بعض
التعاويذ!

وما زاد الفخر أنها لم تستعين بـ "محسن" سوى في مرات قليلة لا تذكر، لقد عاد شعور الامتيازات المتتالية مرة أخرى.

من يرى ذبول عينيها ونفسها المرهقة من الحزن، لا يعلم أنها ممتازة في عملها لذلك الحد.

وبجانب ذلك، أرهفت السمع لأحاديثهما

الممتدة، فهمت كل شيء، عرفت من هذا الـ "عمر" وحِكايته وما علاقته بـ"محسن"، استنتجت أنه ذاك الأسمر المشابه لها في الصورة، توصلت لعلاقته بـ"المتطفلة" - كما تسميها - وسبب بكائها وسر المذكرة.

لا تُخفي تأثرها وأنها مشفقة على "محسن" ولا تُكذِّب حزنها على "رقية" هي الأخرى.

كانت متعجبة من هذا التعلق بين الأسمر والأبيض، بل رافضة وكأن قانونًا في هذه الحياة يمنع اقتران الأسود بالأبيض.

تفكر .. هل يمكن أن تحب أختها يومًا وتتعلق بها وهما مختلفات أشد اختلاف مثل "عمر" و"محسن" .. لالا هذا من سابع المستحيلات، نفضت

الفكرة عن رأسها بسرعة!

أخذت تنظر في الهاتف متسائلة عن الوقت الذي مرّ سريعًا، ولكن كلمة تسللت حروفها من بين أسنان إحداهما كتمت أنفاسها وجعلت قلبها يتزلزل ..

- "خلف" .. أشعر أنني سمعت هذا الاسم من قبل!

قالتها "رقية" تحاول التذكر، بينما كانت

"يقين" تشعر أنها على شفا حفرة من السقوط في بئر خوفٍ سحيق

- نعم، هو محامي مشهور في القاهرة ذهبت له والدة "عمر" - رحمه الله - ليبحث لها عن الفاعل.

سكت هنية ثم أكمل وهو يحك في شعره البني الناعم :

- لكني لا أفهم .. لا أفهم السهم ولا أعرف

كيف جاءت تلك المذكرة لعندك هي ودماؤها،
لماذا لم يذكر اسم من كانوا يطاردوه أو يهددوه، ما هذا الكثير وعلى ماذا تركزين..
لماذا لم يبعث لي أنا بتلك الأوراق.. لا أفهم حقًا، سوف أُجَن!
كانت الحكاية موجعة إلى أبعد حد، لسانه مجروح يكاد ينزف كلما ذُكِر "عمر"، الدم،

الجثة. ذَكَر وحكى كل شيء، ولكنه لم يَذكر ذنبه الأعظم!

كان يقاوم البكاء أمامها، وهي كانت تقاوم أكثر، ولكنها فشلت عن صد بعض العبرات..

كان أسوأ حالًا من أي يوم سبق، زاد شروده لدرجة أنه لم ينتبه لبعض الأشياء..

كان كلما نظر إلى كفيه وجدها ملطخة بالدم، يتساقط على ملابسه قطرة قطرة، فزع مرة أو مرتين، ولكنها لم تلحظ فقد كانت في عالمها الآخر، عالم نسجته بكلماته، كانت تتساءل هل يمكن للمرء أن يحيا بين الكلمات؟

وكانت تجيب علي نفسها بنعم .. نعم، يمكن للمرء أن يحيا بينها

ويستطيع أن يموت أيضًا
.
وفي آخر الأمر قررت أن تعطيه المذكرة ليذهب بها لـ"خلف"، فهذا دليل أنه كان مطاردًا، ولعله يستطيع فهم الحرف والعلامة ..

تناست "يقين" وكلماتها الحادة، هي لن تخبر أحد بمكانها، هي ناضجة كفاية لعلم ما تفعله وليس لها حق أن تتدخل،

ولكن "شوْق" ماذا تفعل مع "شوْق"، ستُطمأنها بأنها بخير، هذا ما تستطيع فعله.

نهضت وأخبرته أنها يجب أن ترحل الآن ثم خرجت تاركة معه المذكرة.

سارت وقد كانت الشمس أخف وطأة، أفكار ومشاعر كثيرة تعصف داخلها، كانت مشتتة، ماذا ستقول لأهلها عن غيابها هذا، ماذا

ستفعل بمشاعرها التي لا تفهمها تلك، حزينة ومقهورة أحيانًا، ثم متخطية ولا تريد سوى أن يصلوا إلى القاتل، هل أحبت "عمر" حقًا وتعلقت به، أم هو مجرد إعجاب زائف ونزوه عابرة، بل لعلها أحبت كلماته فقط .. ولكنها غير مرتاحة، قلبها موجوع، تتأرجح بين الشيء وعكسه..

هزت رأسها لعل عقلها يهدأ قليلًا، ولكنه قذف في رأسها اسم آخر، "شوْق" .. تشعر أنها حُثالة الاصدقاء الآن، لقد أهملها كثيرًا.

وضعت هاتفها علي أذنها والندم يأكلها ترجو أن تسمع أصوات الرنين، ولكن يشهد الله أن تلك الفترة ستظل من أصعب فترات حياتها كلها، جاءها صوت يرن به

الندم ممزوجًا
بالاحتياج، همسا معًا في
نفس اللحظة :

- "رقية" .. أنا
أحتاجكِ..

- "شوْق" .. أنا
أحتاجكِ..

******

أمسكت المقص وظلت تقص
الأعشاب الضارة
وتقتلعها من بين
الزهور، كانت تنفث
بعضًا من غليلها في هذه

المهمة، وتردد باستياء :

- "يقين" .. "يقين" .. "يقين"، أين أنتِ يا "يقين"..

أرادت أن تخرج من المزرعة لتبحث عنها، بأن تذهب للنُزل الذي اخبرتها عن اسمه، ولكنها مُعاقبة حيث كاد المطبخ يحترق عندما سهت مع "يقين" ونست الطعام على النار بعد

أن أكدت عليها أمها مئة مرة!

أوشكت المزرعة لأن تتحول لشواية سمك ضخمة!

مالِ السمك المحترق! لم يكن سيئًا بهذا القدر .. هكذا فكرت.

ومن وقتها وهي ممنوعة من الخروج من المزرعة، حقًا مُستاءة، ألا يكفيها أنها تأخرت على "يقين" حتى رحلت.

ولا تعلم لِمَ لمْ تأتِ حتى الآن مجددًا، هل كانت مجرد لحظات عابرة، صداقة اليوم الواحد، لا هذا لا يكفيها، ليس لأجلها بل لأجل أنها تشعر باحتياج "يقين" للصحبة، لا ترضيها وحدتها ولا ذاك الحزن المتعشش فوق رفوف قلبها الحزين.

تثق بأن لها القدرة بعون الله أن تقتلع من

داخلها الأفكار المسمومة والمقتنعات الخاطئة كما تقتلع تلك الأعشاب الضارة التي تتوغل وتتوغل حول جذور النباتات الأخرى تلف وتلف وتخنق، تحصل على الغذاء والماء كله لها وحدها. تستحوذ على الأرض وتفسد على المحاصيل حياتها ..

تود فقط أن تأتي "يقين"، لتجعل من الحقل مكان علاجها، تأتي فقط، تأتي لتمارس عليه كل ما تعلمته، درسته وقرأته.

******

صعدت بخفة، دخلت، ثم أغلقت الباب.

الحيرة والخوف باتا معها ليلتها .. ليلتها التي قضتها تُدبر وتفكر

بدلًا من الاستعانة بالعظيم المُدبر.

راودها حلان لا ثالث لهما، إما أن تُعيد الكَرّة، تهرب مرة أخرى، ترحل عن كل ما بَنتهُ هذه الأيام، تترك بلد غريب وتتجه لبلد أكثر غربة، ولكنها ستكون في مأمن من أن يعرف "خلف" مكانها وتجده فوق رأسها، لن تعيش في خوف.. أو هكذا ظنت!

الثاني أن تبقى وتُكمل البناء، تحيا على خيط معلق فوق بئر، قد تسقط من فوقه في أي لحظة، قد يقع أحدهما بلسانه، قد يُفشى سرها، فهل ستعيش على "قد"، هل ستنام وتصحو على خوف .. هل ستستطيع؟

تقلبت يمين، ثم يسار، مرّ بخاطرها الطيف فهمست وقلبها ينبض شوقًا وفقد:

- أين أنتِ يا "صُدفة" ..

أزاحت من عليها الغطاء، نهضت، أنزلت ساقًا وراء ساق، همت واقفة وسارت ببطء حتى وصلت للشرفة..

كان الهواء باردًا والشوارع هادئة تمامًا فتركت خصلاتها القصيرة تتمرد وتتطاير مع الرياح، راحت تفتش بين النجوم عن نجمتها

"أمل" ولكن سرعان ما خاب أملها، تشابهت عليها النجوم ولم تجدها، لم تجد واحدة أكثرهم تألقًا، فحطّ اليأس علي قلبها ونبض نبضة، أحست أنها سجينة في كهف سحيق مظلم، مرت رياح الخوف واطفأت شموع الأمل، خبئت وجهها بين يديها لتحتشد العبرات في مقلتيها وكادت تبكي .. وهل لها غير البكاء؟

ولكن سبقها صوت هاتفها يعلن وصول رسالة!

انتبهت له ومدت يدها تلتقفه، رسالة من رقم غريب!

تسارعت دقات قلبها وضغطت تفتحها بوجل

« السلام عليكم

أعلم أن الوقت غير مناسب ولكن أرجو أن تأتي غدًا في السابعة صباحًا للبقاء في

الصيدلية لأني لن
أتواجد طوال اليوم، لا
تتصلي على هذا الرقم
لأنه ليس ملكًا لي

"محسن" »

قرأت الرسالة، اختفى
قلقها قليلًا ولكنه
تضاخم في لحظة، أيكون
تعرف عليها وسيذهب
لإخبار أبيها، ولكن
كيف، لا يعلم سوى اسمها

الثنائي "يقين عبد الخالق"، وأبوها يشتهر بـ"خلف"، ثم ألا يكفي رسالة أو مكالمة ليخبره..

تذكرت شيئًا فمسحت على جبينها براحة يدها، إنه ذاهب لإعطائه المذكرة، أنسيتِ يا "يقين" لقد قال لها ذلك.. خاطبت نفسها وأطلقت زفرة.

ظلت تعُد المبررات التي تجعلها لا تخاف، نظرت في الساعة لتجدها تجاوزت الواحدة صباحًا.

عادت لسريرها مرة أخرى، يجب أن تنام لتستطيع التركيز غدًا، غرزت رأسها في المخدة لتُسكت التساؤلات لعلها تنام وتترك الأحداث تُسيرها كما تشاء.

******

مازالت أشعة الشمس
يافعة خجلة، تمشي على
استحياء تغطي كل
الحقول الخضراء النضرة
..
كان يقف خارج الصيدلية
منتظرًا لها، لا يعلم ما
سر تعلق الشمس بعيونه
اللامعة!
يخاف ألا تكون قد قرأت
الرسالة أمس، ولكن
الساعة لم تتخط
السابعة بعد، يتبقى

ثُلث ساعة .. ثلث ساعة
كانت كافية لتستحوذ
عليه أفكاره وذكراه
التي لم ينم ولم يرتح
بسببها أمس.

كان يفكر في الذعر
الذي خُط على الورق،
كلمات التهديد
والوعيد، كيف لم يعلم
أو يلاحظ، كيف لصديقه
أن يعيش مثل هذه الأيام
ولا يشعر، كيف كان ينام
مرتاح البال وصاحبه لا

يغمض له جفن، كيف كان مغفلًا وعاميًا لهذه الدرجة..

لماذا لم يخبره "عمر"، لماذا طمع في الخوف والفزع وحده، ألم يتعاهدا على مشاركة الحياة بكل حُلوها ومُرها، أم أن هذه الرسائل ليست من بنود الاتفاقية!

كانت تلك التساؤلات تحوم وتحوم ثم تأتي

فكرة تقص لها أجنحتها..

إذا تبدلت الأدوار فهل كان ليخبر "عمر"، كان سيخاف عليه وكل من حوله، لن يريد لأحد أن يتأذى بسبب شيء أقدم على فعله وتهور.

وقتها القلق على من تحب كان ليغلب الخوف علي النفس والاحتياج..

اقتنع بذلك، لذلك لم يَحزن من "عمر"، بل حَزن من نفسه وسخط عليها.

أخذ الندم يأكله أكلًا..

لم يلحظ، لم يسأل، ولم يصل في الوقت المناسب.. قد تأخر.. تأخر كثيرًا..

دقيقة كانت ستفرق، ولكنه تأخر، تأخر للغاية، تأخر لدرجة أنه قتل "عمر"، لقد قتل "عمر" بغبائه!

الدماء في يديه هي دماء "عمر" .. الرأس المشوه هو رأس "عمر" .. والقاتل هو "أنا" .. " أنا من قتلت "عمر" .. " كما كانت تلح عليه نفسه طول الليل والنهار " أنا من قتلته" .. "أنا سبب قتله".. " أنا السبب في كل شيء" .. " أنا تأخرت، كان يجب عليّ أن أتحرك، لم يكن القلق كافيًا " ..

" أنت غبي وقاتل يا "محسن"، أنت من تستحق العقاب، قتلت صديقك، كم أنت قذر وحقير ".

كانت الأفكار تزداد، يشعر برأسه تكاد تنفجر، ضغط عليها بشدة، أخذ يصيح وهو واقف يمسك رأسه يعصرها بيم يديه، منفصل عن العالم حوله، لم يلحظ تلك المذعورة التي حضرت المشهد كله،

تناديه ولا يسمعها،
كادت تهزه ولكنها لم
تقدر.
الاصوات كانت تختلط،
ندائها بضجيج عقله
" "محسن" يا قاتل ..
يا "محسن" يا غبي،
أتسمعني يا خائن،
أتراني .. أترى الدماء
في يديك، أتشعر
بالقطرات فوق ساقيك،
سوف تُعاقب، تُعاقب

عقابًا لن تنساه أبدًا،
عقابًا لن ينتهي ".

الصخب كان يملأه والأصوات والمشاهد تختلط ولكن فجأة، صمت كل شيء ..

فجأة بدأ يشعر بنفسه وبالعالم حوله، فتح عينيه ليراه أمامه وهو ينظر إليه بوجل، يُمسك بيده وعاء ماء صلب قد أفرغه عليه تمامًا ..

لا يصدق ما يراه، هل هذه حقيقة أم حُلم، هتف وعيناه تهتزان من الدهشة :

- "عمر".. يا "عمر"، أنتَ لم تمت صحيح، لم أقتلكَ صحيح، أجبني .. أجبني يا "عمر"، لماذا أخفتني عليك، أين كنتَ يا حبيبي، قلبي نُحر بفراقك.

أخذ يبكي بمرارة مع بكاء "عمر" أمامه وهو يُردف :

- لماذا ابتعدت كل هذه الفترة، أقلقتني عليك يا أخي، كنتُ أموت كل يوم وأنا لا أراك، لا أسمع صوتك، لا أنصت لحديثك، كيف تترك أخاك وحيدًا، كيف ترحل وتتركني بلا شيء، وأنت لي كل شيء، وأنا لا أملك غيرك يا "عمر" ..

نظر في الأرض وشلال عيونه لا يتوقف، أخذ يسعل وهو يمسح دموعه بمرفقه، يحاول التقاط أنفاسه، ثم تقدم خطوة قائلًا بصوت متهدج وكلمات متقطعة:

- "عمر" أجبني..
لماذا تبكي.. وما هذا الذي تحيط به رأسك،
لماذا لا تتحدث..
لماذا تبكي يا "عمر"،

ما بك يا حبيبي .. ما بك .. ما بك.

قالها وهو يقترب، يدنو منها أو منه كما هُيِّئَ له، كاد يمسك كتفيها ليهزها لكي تجيب عليه وهو يهذو كالمجنون، ولكنها دفعته بوعاء الماء الذي بيدها وصدمته في رأسه بقوة، كاد يسقط ولكنه استند بالحائط، جلس مُتَّكِئًا عليه يتأوه ويهذو،

ووقفت هي تشاهده باكية منحنية تضغط بيديها على ركبتيها، تحاول أن تزيح من عليها الصدمة، ظل يهمس وهو يظهر لها راحة كفيه

- أنا من قتلت "عمر" يا "يقين"، يدي كلها دمه، الذنب يقتلني كل لحظة، لا أستطيع أن أتحمل، أخبريني بربك ماذا أفعل، هل أتخلص

من نفسي، أجيبيني يا "يقين"!

- أنت لم تقتل أحدًا، فُق لنفسك، قُم لنعرف من قتله، هو من يستحق أن نتخلص منه، لا أنت، أن نقطعه إربًا..

قالتها مستقيمة بنبرة مشجعة لم تعتدها، مرت عدة دقائق حتى نهض، وقفت تودعه وقلبها ينبض بوجل، يبكي على حاله..

******

كانت الأيام السابقة مخيبة للآمال لدي "خلف"، فقد أصبحت الحقيقة جلية أمام عينه، يحسها ويشعر بها، هذا هو حدسه الذي لم يخطئ يومًا، ولكنه عندما أراد أن يرفع قضية علي شركة "القمحة" للبذور والأعلاف، يتهمهم فيها بجريمة قتل "عمر

توفيق" واجه مشكلة كبيرة أنه لا يملك دليلًا ماديًا ولا شهود ..

ولكنه يملك الدافع!

شركة ضخمة وناجحة تملك السوق كله، إذا جاء من يلعب بذيله يزعجها ويهدد احتكارها، هل ستتركه يفعل ما يريد؟!
أم تتخلص منه وتُريِّح نفسها.

إجابة بديهية .. خاصة إذا كانت ذات نفوذ

عال، أعلى من أن يحاسبها أحد على أي خطأ أو فساد ..

لا يستطيع جزم ذهاب "عمر" حقًا للشركة، ولكنه أمر وارد، ولكن وحده وبالتالي بدون شهود أو حتى مع البعض الذين تم تكتيم افواههم، بالمال أو بالتهديد كما حدث مع "عمر" والثاني أرجح.

لقد قال لـــ"محسن" أن "عمر" لم يذهب وأكد له على ذلك - مع احتمالية ذهابه في الحقيقة - لأنه لم يكن يثق في "محسن" بعد وكان أمامه من المتهمين .. ولكنه لا يجد له دافع ولا قدرة بالإضافة إلى حالته النفسية الصعبة التي تنفي امكانية قتله لـــ"عمر".

عدم وجود دليل يقيده فلا يوجد كاميرات ولا أجهزة مراقبة في المزارع، هاتف "عمر" فارغ تمامًا، منزله برغم الفوضى لا يخبره بشيء، ولابد للعائلة الضخمة أن تملك محاميًا محترمًا يستطيع طعن كل الافتراضات والدوافع التي بدون دليل..

كان يفكر حتى فوجئ بدخول "محسن"!

دخل "محسن" وارتمى علي الكرسي أمام "خلف"
بدون سلام ولا كلام، يشعر بثقل الندم علي عاتقه، أحنى له ظهره، أمات شبابه وجعله يكبر ألف عام..
رمقه "خلف" بأسى، كان مظهره أسوأ من أول يوم يراه فيه، ملابسه غير مهندمة، شعره المشعث وذقنه الذي طال، من

يراه يظنه خرج من أحد الكهوف لتوه.

وجده يخرج شيء من چيب بنطاله، مذكِّرة جلدية بُنيّة يبدو أنها مرت بالكثير، وضعها على الطاولة، فأخذها "خلف" وأخذ يقلبها بين كفيه، لاحظ عدم وجود بعض الصفحات، صفحات متقطعة، وأخرى تخلت عن كلماتها، كاد يبدأ في قراءة الصفحة الأولى

ولكن "محسن" تذكر "رقية" وخجلها فمد يده لـ"خلف" فأعطاها له ليفتح الصفحة المشئومة ثم أرجعها له..

شرد "محسن" في عالمه الأسود بينما أخذ "خلف" يقرأ ويعيد ويقرأ ويعيد، يُقلب بحرص حتى وجد العلامات الحمراء الباهتة، أخرج ورقة ونسخها عليها، كان المشهد يعيد نفسه أمام

"محسن" ولكنه لم يلحظ، أخذ يُقلب الورقة يمينًا ويسار ويتشمم المذكرة والخطوط الحمراء.

لاحظ أن "عمر" لم يعتد على الكتابة بأي حبر أحمر فساوره الشك..

كان يريد أن يسأل المحطم الذي أمامه، إذا كان قد توصل لأي شيء أو حتى يخبره أين وجدها .. فتح فمه ليتحدث ولكن "محسن"

سبقه وبدأ يقص عليه كل ما حدث ..

حكي له عن "رقية" والمذكرة وأين وجدتها، عن تساؤلاته وتعجباته، حكى له كل شيء ولكنه لم يذكر تهم نفسه الموجهة إليه، لم يذكر الندم ولا التأخر ولا الخيانة، تركها لنفسه تعذبه بلا توقف، وحبسها بداخله تدمره قطعة قطعة.

كان "خلف" يَحكُ في ذقنه الذي بدأ يغطيه المشيب وتساوره تساؤلات عديدة، ثم وقع نظره على الحرف، عبث بالقلم الذي في يده ثم كشف الورقة لـ"محسن" :

- ما الذي تراه ؟

- حرف القاف!

قالها بصوت مبحوح، وذهن مشتت

- ألا يذكرك بالقمحة ؟!

نظر له "محسن" فأكمل مغيرًا السؤال:

- قلت أن "رقية" وجدت المذكرة في مزرعة عائلتها تحت شجر الليمون، هي يوجد أي محاصيل قمح قريبة؟ على اليمين مثلًا!

أنهى كلماته بنظرة ذات معني، فهم "محسن" مراده وكاد أن يتكلم ولكنه لم يدع له مجالًا

- سأذهب بالمذكرة لمعمل التحاليل، لنتأكد من الدماء وصاحبها، وبالكلام المذكور نستطيع أن نثبت أن عمر كان مُطارد ومُهدد لسبب ما.

وضع المذكِّرة في الدرج وأغلق عليها بالفتاح، ثم قال برفق:

- ركز معي يا بني أرجوك، عليك أن ترجع الإسماعيلية صباحًا،

تحايل على نفسك قليلًا، أذهب لمزرعة "رقية" وتأكد من وجود محاصيل للقمح ومكانها.

أومأ "محسن" ثم قال بصوت لا يوحي بأي شيء :

- حسنًا، سأحدثك بإذن الله، عليّ أن أعود الآن وليس في الصباح، تركت الدكتورة الجديدة في الصيدلية وحدها وهي لاتزال متدربة ..

غضب "خلف" لكلامه الأخير فقال لائمًا :

- كيف تجعل أحدهم يعمل معك دون أن تسأل عليه، كيف تنسى أنك قد تكون بخطر، إذا شعر القاتل بك تمثل خطراً عليه، قد يرسلوا من يتجسس عليك..

هدأ "خلف" من نبرته قليلًا بعدما لاحظ اندفاعه ثم قال :

- أعتذر على اندفاعي، أنا أخاف عليك، أخبرني عن ما تعرفه عنها لأسأل واطمأن.

نظر له "محسن" ممتنًا له، ولأول مره يشك في الشبه الكبير والواضح بينه وبين "يقين"!

قال متذكرًا:

- أظن أنها خريجة صيدلة لعام (....)،

اسمُها "يقين" .. "يقين عبد الخالق " ...

******

الصوت المزعج لجرس باب البيت قطع منامه الثقيل، قام متأففًا، ارتدى قميصًا، ثم مشى متكاسلًا حتى وصل للباب، فتحه بعد أن عرف الطارق قائلاً بفظاظة :

- هل أنت مجنون، ألم تنظر للساعة، الخلق كلهم نائمون، ما الذي

لا ينتظر للصباح حتى تأتي الآن تُخرّب عليّ منامي!

رد عليه بسخرية وهو يدّعي المغادرة :

- لقد اخطأت حقًا، سأغادر ولتأتي الحكومة تيقظك على حق!

أفزعه ذكر الحكومة وطار النوم من عينه، فقبض على ذراع الآخر يدخله، أغلق الباب .

- أخبرني ماذا الذي أوقعتنا فيه؟!

قالها وهو يتخيل أسوء ما قد يرتكبه من مصائب ..

ضحك "سالم" ثم بدأ الحديث قائلًا:

- أتذكر العصفورة؟

- عصفورة؟، أتقصد ..

- نعم نعم هي .. كنت أسهر مع إحداهن حتى وجدتها تحدثني ..

استُفزَ "هاشم" من نبرته الهادئة البطيئة فقال يحثه على الافصاح :

- أنطق .. خلّصني، ماذا قالت لك؟

- قالت لي أن ذاك المحامي الأخرق .. ماذا كان اسمه؟

- "خلف".

- نعم نعم هذا الـ"خلف" .. أعطاه الأخرق الآخر ..

- "محسن".

- "محسن" .. نعم "محسن" ذاك البكّاء، أعطاه مذكرة أو ما شابه، وتقول أن بها دليل تورطنا .. تورط العائلة بأكملها.

ضحك "هاشم" ملئ فمه ثم قال ساخرًا:

- العائلة بأكملها .. كيف ذلك؟!

رد "سالم" ببرود وهو يمط شفتيه ويرفع كتفيه ويخفضهما:

- لا أعرف.

قال "هاشم" بعصبية :

- تلك الـ ...، هل تظن إنها تخدعنا؟

أجابه "سالم" بنفس النبرة الغير مكترثة :

- لا أظن.

هتف به بغضب والشرر يتصاعد منه :

- لماذا أنت واثق لهذا الحد، ما هذا البرود يا رجل! قد

نكون في مصيبة الآن إن صدقت تلك الـ.... .

حرك كتفيه مرث أخرى ثم قال ببسمة باردة :

- أنا لست منكم، لستُ ممن في الصدارة من العائلة، لستُ في القمة، متواري وأُنفذ فقط!

أما بالنسبة للعصفورة، يبدو في نبرتها الفزع ولا أظنها تتلاعب ..

قلب كلماته الواثقة في عقله قليلًا ثم قال وقد تذكر شيئًا :

- سوف أموت لأعرف كيف تتحكم بها هكذا .. لدرجة الفزع!

- لي طرقي الخاصة .

قالها وهو يكشِّر عن ابتسامة خبيثة ثم أضاف وهو ينهض :

- أكمل نومك، سوف أتأكد أنا وأخبرك، ولكن خُذ حذرك.

سأله "هاشم" متعجبًا :

- ستسافر ؟!

أومأ له ليقول وهو يودعه ممتنًا :

- سلمت يا غالي.

أغلق الباب وأطفأ الأنوار ثم ارتمى على سريره وكأن شيئًا لم يحدث ..

نعم فقد مات الضمير، وتحجر معه القلب، وهل من بلاء وعقاب أسوء من ذلك، عندما يشعر المرء

بسوء فعلته قد يندم ويسرع للتوبة، ولكن في هذه الحالة لا ندم ولا توبة.

بال مرتاح وحياة مخادعة!

بينما الآخر خط الدرجات درجة درجة، وصغار الكيد تتوالد في عقله، وقف ينظر للبيت الشاهق المطل على البحر والسيارة الفارهة، وابتسامة الخبث تزين

.. أو لعلها تقبح وجهه النحيف.

أمسك هاتفه ونقر على بعض الأرقام ثم ضغط على كلمة "اتصال".

******

الـفـصـل العـــاشـر

« بـيـنـمـا أنـت مُـنـهـمـك فـي الـبُـعـد عن الله، يـخـلقُ الله مـوقـفًـا يُـعـيـد إلـيـك تـوازنـك ..

بـخُـذلان قـريـب رُبـمـا، أو بـوعـكـة جـسـد

لتضيق بك المساحات ذرعًا، وتجد عند الله الخلاص والمُتسع!»

أدهم شرقاوي

الساعة دقت السادسة مساءً، كانت قلقة، لأول مرة تشعر بالقلق لغياب أحدهم، تأخر "محسن"، لقد قال أنه سيعود قبل العصر، اعتذر لها قبل أن يرحل عما بدر منه

في الصباح، كانت الكلمات تتبخر من فِيهِ، لا يعلم ماذا يقول أو يبرر، لقد كان حرجًا ومتخبِطًا، لكنها تفهمت وأحست به، طمأنته وأخبرته ألا يحمل هم الصيدلية طالما هي موجودة وإن أراد أن يتغيب أيامًا فلا بأس..

أرادت أن تطلب منه أن يأجل هذا المشوار، خافت عليه أن يمر بهذه

الحالة مرة أخرى، رغبت أن تتمسك به وتقول له ابقى، ابقى هنا، يكفيك ارهاقًا وتعبًا، لقد مررت بالكثير مثلي وتألمت أكثر، ولكنها أعرضت، تراجعت، وأخرجت تلك الأفكار الغبية من عقلها، من هي لتقول له ذلك، هي مجرد غريبة وهو مجرد غريب، لماذا تتدخل وتقحم أنفها فيما لا شأن لها به!

قلبها كان مضطرب،
لماذا هي خائفة، لمَ
القلق، لمْ تكن مرتاحة
فخرجت من الصيدلية
تستنشق بعض الهواء لعل
ذلك الإحساس يتبخر
ويطير مع الرياح ..
وقفت تحتضن نفسها من
البرد، فالشمس غادرت
بصيفها في النهار ليحل
الشتاء في الليل، كانت
تنظر في السماء
المتعكرة كمزاجها في

هذا الوقت، لم تكن صافية، ولم تكن النجوم لامعة.

زاد القلق وارتفعت وتيرته عندما أبصرت سيارة سوداء فارهة تتوقف بالقرب من الصيدلية.. حاولت أن تتعرف عمن بداخلها ولكن الزجاج القاتم منعها، أغلقت السيارة أنوارها وترجل منها شخصان، كان الأقرب لها

والذي في مجال بصرها هو "محسن"، تبسمت بإشراقة وقد رحل عنها القلق عندما اطمأنت أنه رجع، وبينما هو يقترب من الصيدلية بدأ الآخر في الظهور من خلف السيارة، ارتجف بدنها لرؤية القادم، اضطربت ملامحها حتى لاحظها "محسن" وتعجب، قد أخبره "خلف" إنها ابنته وأنه يريد أن يزورها وها قد جاءت

الفرصة! ولكن "محسن" لم يشغل باله بالأمر كثيرًا، لم يفكر فيه، وعندما وجدها تركض بأقصى ما عندها، يدفعها الذعر، تسابق الرياح، تسوقها قدمها للمجهول، تقترب من الظلام، وجد نفسه يركض هو الآخر، يحاول اللحاق بها، بينما عاد "خلف" لسيارته يركبها ليتبعهم بها.

كان الادرنالين هو المسئول عن الطاقة التي تلبستها فجأة، وكأنها رأت شيطانًا، طفقت تجري لا تعلم لها وجهة، كان الخوف هو من يحركها، الخوف من ماضيها، الخوف على حاضرها وما ينتظرها في مستقبل لا تضمن وجوده، ما حدث كان آخر ما يمكنها تمنيه، كابوسًا وقد تحقق، سمعت أصوات أقدام متسارعة من

خلفها، سرق انتباهها هتاف بنبرة لم تعتدها بعد باسُمها فعرفت أنه "محسن"، أحست باقترابه، عرفت أن جسدها لن يساعدها على الفرار خاصة بعد أن لاحظت صوت زمامير السيارة، توقفت عن الركض فجأة، لاح في خاطرها ما كنت تخشاه، سيأتي ويأخذها ويهدم فوق رأسها كل شيء، تعبها سيهدر سدًا،

افلتت دمعة من عينيها تشهد على هذه المأساة.

استدارت وعزمت على المواجهة حتى لو فشلت فستفعل ما بوسعها ..

منذ أول يوم قررت فيه الهروب وَجِبَ عليها أن تدافع عن قرارها، أن تضحي فدائه.

وقفت تشيِّع "محسن" بنظرة تكسوها الخيبة كانت تريد أن تصرخ فيه .. لماذا .. لماذا

أخبرته، لماذا أحضرته معك، لماذا أفسدت عليّ كل شيء، لماذا يأتيني الخذلان من كل الناس وحتى منك! لقد كنت مخطئة عندما قلقت عليك أو فكرت بك ولو لوهلة، ولكن شيئًا ما منعها، بالتأكيد لازال جاهلًا بكل شيء، يكفي عليه ما هو فيه لتغفر له، لن تصيح به ولن تنفجر فقد لا يحتمل.

ظل "محسن" واقفًا
قبالتها لا يستطيع فهم
ما يحدث حوله، لقد
توقف عقله منذ أذل
بعيد وعجز عن التفكير،
كان يراها وهي متصلبة
في مكانها، يشعر
بأنفاسها الساخنة
بالرغم من البرد الذي
يغلف المكان، هو لا
يعلم عن حياتها شيء،
لكنه أحس في صوتها من
أول اتصال بالحزن..
وكما أحسه في صوتها

رآه في عينيها، لقد كان شاردًا طوال الوقت ولكن شروده لم يمنعه عن معرفة حالها المتجلي كالشمس، فهي لا تملك تلك القشرة التي تضمر حقيقة الشخص وشعوره ..

أبصر "خلف" وهو يدنو منها بوجهه لم يره قبلًا، طفقت خطواته تشعل الأرض خلفه من

كثرة الغضب، ولعل غضب لا يكفي ليصف حاله.

قبض على رسغها بعنف، وأخذ يسحبها وراءه بخشونة..

كانت خائفة ولكنها تماسكت، أفلتت معصمها من يده ثم قالت وهي تتصنع الاستنكار:

- اتركني.. من أنتَ لتُمسك يدي هكذا!

صفعة! شقت سكون الليل، تحول الاستنكار إلى

الـصدمـة , شحب وجـهـهـا وارتـجف جسدها، وضعت كفـهـا مـكـان الألـم، لـم تـستطع الـتمـاسك أكـثـر من ذلـك، نـفـدت طاقـة احتمـالـهـا فـجـأة، انـهـارت قـواهـا كـلـهـا، نـبض الـضعف نـبضة، وانـفـجرت بـاكـيـة على نـفـسهـا، حيـاتـهـا ونـصيـبـهـا الأسود ..

جرهـا ثـانـيـةً فـسارت ورائـه مُـهـانـة، تـحـولـت

لطفلة باكية عاجزة عن فعل أي شيء ..

جزع "محسن" من الذي حدث، واحتار أيتدخل؟ ولكنه تجمد في مكانه ولم يتحرك، يراقب السيارة تنطلق في طريقها، تنطلق بكل قسوة، تسحق تحت عجلاتها أشلاءً مبعثرة!

******

أكانت تبكي أختها، فراقها، بعدها، أم

كانت تبكي نفسها، وحدتها، فقدها، بل لعل الدموع انهمرت كلها لكثرة الأسباب .. ولكل سببٍ سبب، ولن تنتهي السلسلة فهي موصولة ببعضها.

وكأن المشهد يعيد نفسه ولكن مع اختلاف الملامح والأشكال.

قضت "شوْق" الأيام السابقة في غرفة أختها مستندة على الباب

تبكي، تبكي الحوار كلمة كلمة، وذلك بعد مكالمة "يقين" وطلقاتها الدامية التي اخترقت قلبها تمزقه إربًا إربًا.

كانت تتساءل، كيف لكلمات كهذه أن تخرج من فم أختها، لماذا كل هذا السواد، من أين أتت بهذه القسوة، ولكنها في الحقيقة كانت تعرف الإجابة

وتحفظها عن ظهر قلب، ولعل ذلك أسوأ ..

فأحيانًا العلم ببعض الحقائق يجعلنا أقل راحة - بل بلا ذرة راحة - من الجهل بها ولو لأمد طويل، كانت دائمًا مرتاحة إلا من احتياجها لأختها، لم تتألم هكذا يومًا، لم تتشتت هكذا يومًا، لم تندم هكذا يومًا، تندم لعدم فعلها!

لم تنحف هكذا يومًا لضئالة طعامها، لم تشحب هكذا يومًا لقلة نومها ..

لم تعلم أنها قد تفقد أختها إلى الأبد، لم تتخيل أنها قد تشتاق لها هكذا، لم تجمعهم ثرثرة ولا مسامرة، ولكن كان يكفيها انها مطمئنة بوجودها في البيت وإن كانت مجرد ظل ..

وها هو البيت فرغ من أسرتها إلا منها، بيت كبير، مُوحش، بارد، خاوٍ، مفكك بتفكك أفراده.

جاء دورها لتحقد عليه وتشعر بتلك الظلمة والسواد، صدقت "يقين" .. صدقت، وليتها ما صدقت.

نهضت ثم سارت حتى وصلت لفراش أختها، ارتمت عليه لأول مرة، كان

باردًا، متعطشًا بعد أن فقد دموع صاحبته الساخنة، قالت تهمس له بين عبراتها:

- يا ترى كيف كان حضنك يا "يقين".. أكان دافئًا مثل حضن أمي الذي لم أطئه.. وأنتِ كيف كنتِ؟! هل كنتِ حنونة مثل أمي التي لم أراها، أجهلك يا "يقين" ولم أعرف

كيفية التعامل معكِ، من المخطيء يا "يقين" مَن؟

نعم، أعلم، كلنا مخطئون فرد فرد، ولكن من البادئ، وحتى لو لم أكن أنا، فمازالتُ مخطئة في الكثير، لمَ لا تريدين أن اسمعيني، لِمَ لِمَ يا "يقين"، هل سنبقي على هذا المنوال بقية حياتنا؟!

أتعرفين أمي ؟، نعم تعرفينها وتحفظينها،

أنا الوحيدة هنا فقط
التي أجهلها هنا، يا
رباه هل كُتب عليّ جهل
كل أفراد أسرتي، حتى
أبي أصبحت لا أفهمه،
بدأت أشك في مدى
براءته من جريمة
أيامنا يا "يقين".
أنهت همساتها وأكملت
بكائها وكأن هذا
السرير خلق لامتصاص
الدمع، بالفعل امتصها

وليته امتص الحزن، فهل للحزن ماص؟!

وقفت واتجهت لغرفتها تبحث عن شيء في الادراج، وجدتها، رجعت لغرفه أختها تقف أمام المرآة تقلب نظرها بينها وبين الصورة :

- أترين؟ كم أشبهك من الخارج يا أمي، وبالتأكيد تعلمين أن المظاهر أبدًا ما كنت تُشبع يا أمي ولا تغني

.. أخذت شكلك نعم، ملامحك الجميلة، كل ما أملك هو منكِ، ولكن بالتأكيد "يقين" أخذت أيضًا، ولعل "يقين" تشبهك من الداخل يا أمي، والداخل أهم وأوفى، لقد كان أبي يقول لي دائما "انظري في المرآة يا "شوْق" لترين أمك"، ولكنني ها أنا هنا يا أمي أنظر وأنظر ولا أجدك يا

حبيبتي، لم أجدك يومًا .. ولن أراكِ أبدًا ..
أخبريني هل كنتُ أبحث في المكان الخاطئ
ونسيْت "يقين" وهي من تجرعت من حبك وحنانك
وإن كان لوقتٍ قليل ..
فلماذا لم يقل لي أبي اذهبي وتشاركي مع أختك بعضًا، لماذا لم يشاركها معي اهتمامه،
سامحك الله يا أبي، أصبحت أخاف أن يتركني هو

الآخر، وأنا لم يبق لي غيره حتى ولو كان بعيد الوقت كله، فأنا أعيش على أمل مجيئه أيام فراغه، لا أقدر علي كرهكَ يا أبي، لا أقدر على كرهه يا أمي، ولكني حزينة، حزينة بقدر لا أستطيع تشبيهه بالمجرة، حزينة علينا يا أمي، حزينة على عمرٍ ضاع، حزينة على ما حدث بيننا ..

******

كانت السيارة تسير .. تسير على روحها، الصمت يحتل الأجواء والطرق مظلمة، ولكن الأصوات بعقها ظلت تفتعل الضجة، الغصة تتنامى، تكبر وتكبر حتى كاد حلقها يتآكل، كانت مختنقة كغريق في قاع محيط، حبسها لدموعها في مقلتيها كانت تزيد

الخنقة، صدرها يتحشرج وتأخذ انفاسها بصعوبة فيتضاعف الاختناق فتبكي وتتشنج، لتأفف هو ويصُب عليها بعضًا من غلظته.

تكره هذا الشعور بقلة الحيلة، شعور الفشل الذريع، وليته بسبب خطئها، بل بسبب الخيبة، حظها العثر، تكاد تجزم ألا يوجد شعور أسوء من ذلك، بل هو أمر من العلقم،

شعور يقُص أجنحتها، يربطها، لا يجعل لها مجالاً للفرار، يقيدها .. يقيدها من حديد في آلامها التي كانت قد أوشكت تنساها منذ ساعات.

خرجت من فكرة لتلجُ في ذكرى، تذكرت متعلقاتها في الصيدلية، هاتفها وكل حاجياتها، ولكن لا يهم، الأهم تلك التي في النُزل، تذكرتها فانقبض

قلبها لفرق ذكراها الأجمل، هديتها من صديقتها ليوم لا تظن أنه قد يتكرر..

"صُدفة"، زهراتها، ووشاحها الأسود، وبالرغم أنه أسود فهي تراه بهيًا، يشع نورًا، دافئ بالحب الذي فيه، وها هي فقدته وفقدت صاحبته، فقدتهما وفقدت أملها وفرحتها معهما.

جرعة الألم مكثفة هذه المرة، كانت تتماسك ولو قليلاً في الجرعات السابقة، كان لديها بص يص أمل، ولكن هذه المرة ماتت أمل ومات معها الكثير..

ظلت تتساءل لماذا يبدو الطريق مخيفًا ومظلمًا هذه المرة، أين جمال المزارع بخضرها، لماذا أصبحت قاتمة لهذه الدرجة، لماذا ذبلت

النباتات فجأة، من أين جاء ذلك القبح والرعب، أو لعلها تتهيأ ..

هل نحن من نحدد إذا كانت الأشياء جميلة أو قبيحة أمامنا، وهل نرى ألمنا وحزننا في ما حولنا، هل نظرتنا هي من تُجمل وتُقبح!

أسئلة كثيرة كانت تتخبط في عقلها، ولكنها سكنت فجأة، سكنت مع انفجار خافت

وصرير مزعج صدر من إحدى إطارات السيارة، تفاجأ "خلف" فأوقف السيارة وترجل منها، بحث عن كشافه في حقيبة السيارة حتى وجده، أضاءه ثم دار حول السيارة يتفقد الإطارات واحدة تلو الأخرى حتى وجد أحدهم قد ثُقِب بطريقة تثير الريبة.

كان المكان مُظلمًا ولا يوجد أي ورشات

للسيارات أو استراحات قريبة، كان يمين السيارة المقابل للمزارع هو الجانب الذي به الإطار المثقوب ..

دبّ بـ "يقين" الخوف وقد عاد الشعور بعدم الأمان يجتاحها، ظلت تراقبه وهو ينحني مُقطب الجبين يتفحص الإطار ..

ذعرت عندما انتبهت لظل أسود! بل ظلان!!

أحدهما ضخم يحاول تقيْيده والآخر يُمسك سلاحا ناريًا!

صدمه برأسه فخر متساقطًا على الأرض.

ظلّت تراقب المشهد وهي تكتم أنفاسها يأكلها الفزع، وجدت ظلًا ثالثًا يحاول فتح الباب الذي بجانبها ولكنه كان موصدًا، انخلع قلبها من مكانه وانتفضت تتحرك تبتعد عن الباب، فقام

بتحطيم الزجاج بسلاحه ثم فتح الباب وأخذ يسحبها للخارج وهي تقاوم وتقاوم، لاح أمام عينيها مصيرها المجهول، ماذا يريدون منها، هل سيقتلونها أم هناك أسوأ..

نعم فالموت بالنسبة لها أفضل من أي شيء في ذلك الوقت.

تكاثروا عليها وأخرجوها بعنف من

السيارة، أمسكها أحدهم بشراسة وهي تنازع وتحاول التملص من بين يديه القذرة، ولكن وهنها وضعفها حال بين ذلك.

كانت تصرخ بأعلى صوت تملكه، لم يهتز شيء لصراخها حتى كتم أحدهم فمها بيد أكثر قذارة من الأيادي التي تحيطها، كانت ترتجف من الخوف، شعرت بالاختناق

من يده العفنة، بدأت في العض، الركل، الدفع وإن كان بضعف .. لكنهم أحاطوها بالكامل، وأظلمت الدنيا فجأة أكثر مما كانت مظلمة ..

******

سمعت آذان العشاء يدوي بالأرجاء، قامت تجر نفسها للحمام، توضأت واغتسلت من بعض الحزن،

ثم وقفت تصلي، تقرأ بصوت مهتز تارة وتبكي وتنتحب تارة أخرى، تسجد ليزداد البكاء وتتشنج، تهمس بكلمات متقطعة، تدعو بإصلاح القلوب وتألفها ومسح الحزن منها مسحًا.

ومهما كانت حالتها فهي لا تنسى "رقية" أبدًا من دعائها، وكيف تنسى وهي من أخذت بيدها، وبفضل ربها التزمت بالصلاة

بعدما عرفتها، كانت ومازالت صحبتها الصالحة.

أنهت وكانت قد هدأت، فالسجود يمتص الدموع ويخفف الحزن أيضًا وكأنه يدًا حانية تربت على القلب..

خلعت رداء الصلاة وجلست تنظر في الهاتف، تحاول الاتصال بأختها ولكنها تفاجأت عندما جاءتها الإجابة، تكونت في

مقلتيها العبرات وهتفت بسرعة غير مصدقة أن "يقين" أجابتها ..

- "يقين" أرجوكِ لا تغلقي في وجهي ..

استعدت للبكاء والرجاء ولكنها تراجعت عندما سمعت صوتًا غريبًا !

- السلام عليكم، معكِ دكتور "محسن" .. لقد نسيت الآنسة "يقين" حقيبتها في الصيدلية،

فهل تستطيعين الوصول إليها؟

- أين "يقين"، صيدلية ماذا، أنا لا أفهم!

كانت حقًا لا تستطيع الاستيعاب ولا تركيب كلماته على بعضها ..

- هل أنتِ أحد اقرباؤها؟

- نعم أنا أختها.

تفاجأ فالرقم بدون اسم ثم قال :

- أبوكِ منذ قليل أتى وأخذ أختك و...

- و.. ماذا ؟

كان لا يعرف كيف يخبرها بما حدث ..
عائلة عجيبة حقًا، بنت يبدو عليها أنها هاربة من أبيها وأخرى لا تعلم أي شيء .. وأب يضرب ابنته أمام العالم ..

- نسيت حقيبتها،
حاولت الاتصال بسيد "خلف" كثيرًا ولا توجد

إجابة حاولي التواصل معهم.

لمعت عيناها بالأمل، هم آتيون إذن.

أغلقت مع "محسن" ثم أتصلت بأبيها، رن الهاتف أكثر من مرة وما من إجابة، لسعها القلق، حاولت مرة أخرى ليأتيها صوت أبيها وكأنه وقع من قمة جبل ..

- "شوْق" .. لا تفتحي الباب .. لا تفتحيه لأي أحد.

- أبي، ما بك .. ما الذي يحدث؟!

قالتها بهلع، الأحداث تتسارع حولها، انقطع الخط، لا تفهم شيء، ما الذي يحدث؟ مالِ أبيها؟! كانت تدور حول نفسها حتى سمعت صوت طلق ناري يأتي من الأسفل!

انتفض جسدها، كتمت أنفاسها، كانت الأجراس ترن داخل عقلها والطبول تقرع في قلبها.

أوصدت الباب وتكورت على نفسها في أقصى الغرفة ترتعش يغطيها الهلع، نهايتها قاربت لا محالة.

ظلت تتلو كل ما تحفظه من آيات وأذكار، بلعت لسانها فجأة عندها

سمعت طرقات قوية على الباب، تجمدت عروقها ثم هرولت فزعة تحاول أن تزيح أي أثاث لتضعه أمام الباب، لم يسعفها الوقت فقد اخترقت رصاصتين قفل الباب وحطمته، ليدخل وحشًا أو عفريت .. بل أسوأ.

انعكست صورته في خضر عينيها المتسع وهو يندفع تجاهها.

******

دوار وظلام، شعرت بنفسها تدور وتدور، صداع اقتحم رأسها، ليوجد ولا شعاع نور، لا تستطيع فتح عينيها ولا التلفظ بحرف فقد كانت مغطاة العين ومُكَتّمة الفم ..

آخر ما تتذكره هي الضربة القوية التي تلقتها من أحد الظلال التي ظهرت فجأة، بعدها لم تشعر بنفسها وهي

تتساقط كورقة في الخريف، وضعوها في السيارة وانطلقوا بها إلى حيث لا تعلم.

كانت تريد أن تبكي، تصرخ، أو حتى تموت، فهي في أحد كوابيسها، بل أسوأهم، كابوس وراء كابوس .. ألن تنتهي هذه الحياة أبدًا؟!

ولكنها ظلت متجمدة تتظاهر بعدم استيقاظها عندما سمعت صوت أحدهم

يتكلم في الهاتف، كان صوته غليظًا قاسيًا لا يعرف للرحمة طريق

- هي معنا .. شارفنا على الوصول.

....

- نعم، متأكد يا ريس إنها ابنته الكبيرة.

....

جاءه كلمات من الناحية الأخرى ليقهقه ضاحكًا

- إذا علم الريس الكبير بهذا سيذبحه، كيف لفتاة أن تفعل به هذا، التي معي لم تأخذ منّا دقيقة، هي وأبيها الأحمق.

جاءته تحذيرات ليرد مؤكدًا

- لا لا، لا تقلق لم نقتله.

أبوها بخير إذن، لم يقتلوه، غريبٌ أمرها ووقع الكلمات عليها،

لم تفرح أو تطمئن بأنه حيٌ يرزق، ولكنها لم تحزن أيضًا، لم يهمها الأمر من الأساس، حي أو ميت هل يفرق كثيرًا، هو لم يستطع حمايتها من الخاطفين وهي بجانبه، فهل سيستطيع إنقاذها، يمكنها أن تراهن أنه قد لا يهتم، وإذا خُيْر بينها وبين أي شيء آخر لختار هذا الشيء.

فهمت أن أختها آتية هي الأخرى، إذن .. فهو قد يضحي بحياته لأجلها، يمكنه فعل أي شيء، فهي الغالية ...

والآن هل تبكي على نفسها، واقعها، أختها وأبيها، أم هذا الكابوس، لكن الدموع جفت، والقلب تعب فيما فيه الكفاية، هي لا تريد شيئًا الآن، لا تريد أي شيء، ولن تسعى

مجددًا لتغير نفسها وحياتها فقد تعبت وانتهى الأمر.

وفي عربة سوداء مماثلة

ارتفع صوت صراخ "شوْق" بعد أن قطّعت القماش حول فمها وأخذت تصيح وتتخبط، ليهتف أحد الخاطفين بالآخر ..

- أصمتها .. هيا يا غبي .. قبل أن يصل صوتها ويَلُم الناس ..

سحبها من شعرها حتى كاد ينزعه لتتأوه، أمسك سلاحه وصدمه برأسها، لتشعر أن الدنيا تدور حولها وتنتقل من واقع مرعب لخيال أكثر رعبًا.

******

وعلى بُعد أميال ..

في غرفة بالية، من النور خالية، وبالخوف طاغية، اجتمع قلبان، أحدهما تمنى اللقاء والآخر أبى وامتنع..

الدم واحد، العرق واحد، والقلوبُ متماثلة، لكنها بالمواقف متأثرة.

قلبٌ أراد أن يقفز في حضن الآخر يحتمي.

وقلبٌ أراد أن يهرب من الآخر يختفي.

شخصٌ لا يرجو سوى الموت والتخلص من الحياة.

والثاني تاق للنجاة ليعيد معه الحياة.

الألم سائد والرعب في كل مكان.

وليت المآسي تضحى فرص، أو لعلها صدف،

لجبر كسور، وبناء حب .. أو على الأقل أُلف.

كانت "يقين" تجلس على الأرض ساهمة، متوجعة أثر الدفع والسقوط، لم تلحظ "شوْق" وهي تفيق ببطء، نفس الدوار والصداع غزى رأسها فضغطت عليه تحاول إيقاف الألم.

نزعت القماش من فوق عينيها لترى آخر من

توقعته، رأت "يقين"..
وأخيرا "يقين"، نهضت
ثم هرولت، سقطت إثر
الدوار وأعادت الوقوف
مرة أخرى، دنت من
أختها تحتضنها بكل
المشاعر التي تمتلكها
.
كانت تضمها وتخبئها
بين ذراعيها وهي تبكي
لا تعلم بماذا تبدأ أو
تقول، وهل في هذا
المكان كلامٌ يُقال.

بقيت "يقين" كالتمثال بارد القلب والإحساس،

ابتعدت "شوْق" قليلًا تنظر إليها بقلق وتمسح علي جبينها بحنان .

- "يقين" .. أنتِ بخير صحيح؟

لم تصلها إجابة

- "يقين" أجيبيني .. هم لم يتعرضوا لكِ بشيء، أنتِ بخير أليس كذلك؟

قالتها بتوجس وهي تضغط على كتفيها وتجلس على ركبتيها أمامها، أجابت "يقين" بإيمائه ..

- إذن ما بكِ.. هل حدث لأبي شيء؟

تحولت عيني يقين من اللاشيء إلى عيني "شوْق" ورمقتها بغضب، شعرت بما ظنته خطئها الكبير، الذي لا يوجد في قاموس الأخطاء من الأساس!

ودت لو أن الكلمة تبخرت قبل أن تخط عتبة فيهما ..

- أنا آسفة، لم أقصد.

- ابتعدي عني .. ابتعدي عني يا "شوق".

- لا لن أبتعد.

قالتها "شوق" بعناد وهي تُغيْر رأيها، يكفي إهدارًا للكرامة، لقد اعتذرت وتنوي أن تبدأ حياة جديدة إن خرجا من

هذا المكان، أكيد سيخرجان هي تثق بربها ثم أبيها، لذلك فلن تدع أختها تفسد لها نواياها مرة أخرى.

- أخبريني ما حدث، هل حدث لأبينا شيء؟

قالتها و"يقين" ترمقها غضبًا ممزوجًا بالألم، خرجت عن صمتها أخيرًا ونظرت لها بحدة وقالت وهي تهتز :

- أنتِ دائما هكذا، مغمضة العين، لا تعرفين ماذا يحدث، ثم تأتي وتقولي أبينا.. من أبينا ؟!، أبيكِ وحدك ..

- ما الذي حدث ؟!

قالتها وهي تُبطن اتفاقًا، هي فعلاً عمياء وفاتها الكثير..

- ذاك الذي تسميه أبينا ضربني يا "شوْق"، هنا يا "شوْق"، أترين؟

وأمام الغريب .. هو أبيكِ وحدك، ليس لي أي في هذه الحياة.

كانت تنفث بعضًا من غليلها لتتمتم "شوق":

- ضربك!

قالتها غير مصدقة وهي تنظر للاحمرار على خدها الأيسر حيث أشارت "يقين"، لِمَ يفعل أبوها هذا .. لِمَ قد يضربها؟!

كانت ستسمعها بعض من كلمات "رقية" عن البر

بالآباء مهما كانوا ..
نعم لن تستطيع أن
تتحكم في قلبها وتجعله
ينبض الحب لأبيها، ولكن
على الأقل التصرفات قد
تتغير وتغدوا أبر
وأهدى، ولكن هذه
الصفعة، صفعتها هي
أيضًا وعقدت لسانها ..
ولكن .. لحظة، لحظة ..
هل هذا وقت الشجار
والنقاش؟! هما في ورطة

بالفعل ويجب الخروج منها، هما مُختطفات!!

كان كل ذلك يدور في عقل "شوْق" التي كادت أن تتكلم وتغير الموضوع ولكن الصفعات توالت..

- والآن نحن في هذا المكان ومع أولئك الناس بسبب أبيكِ ذاك، نعم هم لن يقتلونا ولكن يوجد أسوأ وأسوأ

ولكِ أن تتخيلي، وخِصيصًا وأنتِ بمنظرك هذا!

قالتها وهي تتفحصها من شعرها المتحرر وراء ظهرها إلى ملابسها البيتية الخفيفة مارة بأكتافها العارية، ومع كل ذلك فهي لها من الجمال نصيبٌ ليس بالقليل..

اضطربت تقاسيم وجهها وتذكرت نفسها، كادت تبكي من التخيل فقط،

ولكنها تفاجأت بـ"يقين" وهي تخلع معطفها الخريفي الذي كانت ترتديه فوق ملابسها بسبب برودة الجو في المساء وترميه عليها بإهمال ..

أسرعت "شوْق" ترتديه بامتنان حقيقي، تشعر أن الأمل في إصلاح ما فسد لازال يلتقط أنفاسه ولم يمت بعد.

عقصت شعرها وخبئته تحت قلنسوة المعطف، ثم دنت من "يقين" مرة أخرى وضمتها أكثر، لعل القلوب تترابط..

*****

الــفــصل الــحــا دي عشر

"مــا قــبــل الــخــا تــمــة"

لــم يــتــوقــع أن الــطــريــق الــذي قــطــعــه فــي ســا عــة ونــصــف أول مــرة ســيــســتــغــرق مــنــه أضــعــاف تــلــك الــدقــا ئــق مــهــمــا كــا ن الــزحــام، إن وُجِــدَ مــن الأســا س!

مرت ساعات الليل، كانت حصون قلبه تنهار لتخلف ورائها حطام قلب ..
قلب لا يستطيع إدراك الذي حدث، هذا حلم، بالتأكيد كابوس وسيستيقظ منه قريبًا، كيف حدث كل هذا، يتم تتبعه هكذا وأخذ ابنته منه بمنتهى اليسر!
كان يعض على شفتيه في خجل ..

وفي ذات الوقت، أراد هذا القلب أن يتخلى عن مكمنه وسط الضلوع ليطير لمكان آخر .. مكان التي سكنته.

أخذ كثيرًا من الوقت حتى استفاق ثم ضمد رأسه التي نزفت كثيرًا باللجوء إلى عدة الإسعافات الأولية التي في حقيبة عربته، مرت دقائق أخرى قطعها في البحث عمن يُصلح له

إطار السيارة الذي لسوء حظه لم يكن لها بديل.

حاول الاتصال بـ"شوْق" مرارًا وتكرارًا، ولكن بدون إجابة، مازال لا يصدق الذي حدث، الاسئلة تتكرر في ذهنه، واللوم يلسعه في كل لحظة، لم يقدر على حمايتها، كيف كان بهذا الضعف، نعم الغضب تجاهها بداخله كان متأججًا، ولكن ما

حدث أطفأه في الحال، هي مازالت ابنته مهما رفضت ذلك، يحاول ألا يتخيل ما حدث بعد فقدانه لوعيه، كيف أخذوها وأين هي؟ و"شوْق"، هل تلحقها الآن!

أرعبته الفكرة، عاد الضغط مرة أخرى، هل يتحمل هذه المرة، أم سيستسلم ككل كَرة ؟!

ما يفكر به الآن هو حماية الأخرى، الأخرى التي لن يتحمل فقدها، لن يسمح لأحد بأن يأخذ منه حبيبته مرتين، أن يأخذ كل ما يملك مرتين، أخذ الأطباء منه "أروى" أولًا، فهل حان وقت "شوْق" .. لا لا .. لن يستطيع العيش بدونها، هو يحيا لأجلها، هي ابنته التي حملته أكثر مما حملها، يكفيه حنانها عليه وبرها،

حضنها الدافئ وكلماتها الشاكرة التي تنسيه تعب أيام وشهور، خوفها عليه وحبها له، على عكس الثانية التي تريد أن تنساه!

كانت كل المخاوف والأفكار تثور في عقله وهو يأكل الطريق كوحش لم يرى الطعام لألف عام.

نزل من السيارة بعد أن وصل اخيرًا، أخذ يركض

يتعلق به القلق، لم يجد حارس البيت، أين اختفى، دفع الباب ليجده مفتوحًا، ليتهاوى قلبه حتى وصل لإغمص قدميه، ذُعر أكثر عندما رآها مثقوبة الرأس والدم متجلط تحتها، السيدة الطيبة، التي ربت لها ابنته، وحملت عنه الكثير .. حلت به الصدمة، توجس واختلط الشك باليقين ..

هرول للسُلم يتخطى درجاته .. لا، بل يلتهمها، يخشى أن يجد "شوْق" جثة هامدة مثل مدام "نادية" ملطخة بالدم، ظل جسده يرتعد ولكنه كان متماسكًا .. الرجل لا يضعف، الرجل لا يبكي ولا يترجف وإن مات عزيزًا عليه أمام عيونه .. هكذا تعلم ..

اقتحم غرفة "شوْق" ليجدها مرتبة ونظيفة

بلا أي خطب، تعجب، أين "شوْق" ..

طفق يفتش البيت الكبير غرفة غرفة، المطبخ والحمام، الحديقة والمرآب، غرفة مدام "نادية" وغرفة البواب، لم يجد سوى جثة الحارس ملقية في الحديقة، لم يتبقى له سوى غرفة "يقين" .

سار تجاهها تاركًا خلفه البيت وكأن زلزالًا قد

ضربه، كان الأمل يتسرب منه بعجل، دخل ليجد الغرفة يشوبها آثار حرب!

كان كل ما فيها محطم، في غير مكانه، آثار دماء، شعرات مبعثرة، وورقة أخذت مكان الأختين ..

تسربت آخر نقطة أمل وحل مكانها اليأس يتربع فوق قلبه المُفتت ..

أخذ الورقة وجلس على الفراش يفتحها، ينتظر أي شيء، فبعد الذي حدث، لا يوجد مُستبعد، فتحها ليقرأ كلمات اخترقت عقله فانفجر بركانًا تناثرت شظاياه، وحرقت كل ذراته.

« أنفك قد طالت زيادة عن اللازم فأردنا أن نقصُصها لك، الأولي مقابل الدليل والثانية مقابل القضية كلها »

******

مزيج من الفرح والفخر كان يتلألأ في عينيه وهو يُبصر تعب شهور وأسابيع، وقد تحول الحلم إلى واقع .. واقع يُلمس، يُرى، يُشم، ويُؤكل.

كان يحمل في يده سلة فاكهة قد تبدو عادية جدا، ولكنها في الحقيقة مميزة للغاية.

أحب ألا يكتفي بفرحته هو وزملائه وأراد أن ينشرها، إذن فليذهب ليفاجئ سيد "خلف" بنجاح تجاربه ويشاركه الفرحة.

ولكي تبقى المفاجأة مفاجأة ذهب بدون أن يعطيه خبرًا، وصل للمكتب الذي حفظ طريقه، وحفظ معالمه أيضًا من كثرة التردد عليه، أصبح يحب سيد

"خلف" أيضًا ويكفيه نظرات الفخر والأبوة التي يراها في عينيه، كانت تغذي حُب الاطراء الذي بداخله، لا يري ذلك غرورًا ولكنه يحتاج من يقدره، صعد وهو يحمل إنجازه بين يديه، وجد المكتب مغلقًا! تعجب فهذا ليس يوم إجازة، وحسب علمه فإن سيد "خلف" مازال يعمل على أحد القواضي، ظل يدور حول نفسه لثواني،

تذكر شيئًا فأخرج هاتفه واستحضر رقم هاتف سيد "خلف" وقام بالاتصال،
رن الهاتف عده مرات حتى أيقظ أحدهم من شروده وانتزعه من أسئلته المعقدة، تحرك لأول مرة منذ ساعات،
مازال قابعًا في مكانه - على فراش "يقين" - يفكر فيما يمكنه أن يفعل..

هل سيضحي بالقضية والدليل مقابل بناته،

هل يخبر الشرطة؟ وقتها يمكنه أن يترحم على البنات، من يستطيع معرفة كل ذلك عنه وعن المذكرة والدليل ألا يمكنه معرفة - وبكل بساطة - أنه أخبر الشرطة!

كيف له أن يضحي بالدليل والقضية، و"عمر"، هل سيضحي

بـــ"عمر"، هل يسير على خُطى الحي أبقى من الميت!، حينها سيُلقى به وبمكتبه في أقرب سلة قمامة.

كانت كل الطرق مسدودة، كلها تؤدي إلى خسارة ودمار، ظل يفكر حتى كاد عقله أن ينفجر، ولأول مرة يقف طويلًا أمام مشكلة دون أن يجد لها حل.

وقعت عيناه على اسم "آمن" ينعكس على صفحة الهاتف، "آمن" الذي اتخذه ولدًا في نفسه دون أن يُعلن، "آمن" الذي بات في باله جزءً من عائلته وزوج ابنته المستقبلي، ابنته نعم، قبل أن تُسرق منه.

ضغط على الزر الأخضر دون أن ينبس ببنت شفة ليأتيه صوت "آمن"

بمزيج عجيب من القلق والفرحة :

- سيد "خلف" .. أين أنتَ ؟!، أنا أمام المكتب عندي لك مفاجأة ..

لم يعرف "خلف" بماذا ينطق أو يقول، لا يريد أن يعكر عليه فرحته المتجلية في صوته، وفي نفس الوقت لا يُطيق سماع أي كلام ولا سلام، ويخاف أن يُفشي أمره ويفلت

لسانه لـ "آمن" ويحكي ما حدث.

- سيد "خلف"، هل أنتَ معي؟!

هتف بها عندما لم يصله أي رد، قهقه "خلف" محاولًا التقاف صوته من جُبِّ قاعٍ سحيق.

- نعم .. نعم يا "آمن"، أنا معك يا بنيّ.

- ما خطب صوتك سيدي؟

فقد كان صوته مختنقًا متحشرجًا..

- لا تقلق .. أنا بخير، بعض البرد فقط، برد الصيف ذاك.

قالها كاذبًا ليجيبه أسفًا ببعض الكلمات المازحة :

- سلامتك .. سآتي لكَ حالًا، يمكنك أن تتحسن عندما تعرف مفاجئتي لك، هل تريد أي شيء؟، لا تخجل سيدي.

اسبهلّ خلف من قراره السريع هذا وقال متجلجلًا :

- لا.. لا، لا تتعب نفسك، أنا بخير.

- لا، لا يوجد أي تعب، سوف أُغلق الآن انتظرني.

أنهى "آمن" المكالمة ولم ينتظر رأي "خلف"، يظن أنه يرفض لحرجه ككل الناس، لكنه لا يعلم ماذا ينتظره في البيت المظلم، يبدو

أنه قد تحول لطفل صغير يريد أن يُري العالم كله درجاته النهائية في الامتحان، أو حتى لعبته الجديدة!

أوقف سيارة أجرة، أوصلته لوجهته، ترجل وعبر الحديقة ليجد الباب مفتوحًا، وقف محتارًا لدقيقة ثم أزاح الباب قليلًا لينادي على "خلف"، لم يسعفه الوقت، رأي الجثة

المسجية، أقشعر بدنه واحتله الفزع.

******

انفتح الباب فجأة ليدخل أحدهم، جسد نحيف، وجه رفيع، ذقن مدبب، تقاسيم خبيثة، وصوتٌ كالفحيح..

لو تجسد في بدن آخر لكان ثعباناً بلسانٍ طويل.

لقد وصل للتو، دفع ثمن جهود الظلال، ثم دخل

ليعاين البضاعة، نعم بضاعة لا أكثر ولا أقل.

ارتجفت الأجساد والتحمت، وكلما دنا أكثر زاد الخوف وتجهزت العبرات لتنهمر.

اقترب حتى أصبح الفاصل بينه وبينهما بالكاد خطوة، جلس القرفصاء على إحدى ركبتيه ليكون في مستواهما.

- لمَ كل هذا الخوف، هل رأيتما عفريتًا؟!

قالها بسخرية مقهقهًا ثم أردف :

- أنتنّ مجرد رهينة هنا، أو دعوني أقول صفقة تبادلية بيني وبين أبيكما المغفل.

قالها ثم ضحك بصخب أكبر في حين اشتعلت عينا "شْوق" غضبًا من سبه لأبيها، لا تقدر أن تتحمل أي إهانة له خصيصًا لو كانت من فم ذلك الحثالة.

كانت تنظر إليه بحقد وامتعاض بينما كان يأتي في بال "يقين" ألف سيناريو مختلف فما قد يحدث.

فقد بدأت تفهم سبب وجودها هنا، وماذا يريدون منهما، أخذت تربط حديث "محسن" و"رقية" بما يحدث الآن، لتصل في النهاية إلى الحقيقة الآتية :
كل هذا ما هو إلا نِتاج

لأفعال "عمر" ..
مثيلها في الصورة!
ولكنها مختلفان أشد اختلاف، كانت تتعجب منه، وتتساءل من أين جاء بكل هذه الهمة، ليحاول ويحاول، يسعى ويسعى، يجاهد تلك الحياة حتى آخر أنفاسه، فهل لو تبدلت الأدوار، أكانت لتستمر أم تبدأ في التساقط

عند أول المحن ويصيبها اليأس وتستسلم؟

كانت الاجابة واضحة كالشمس أمامها، هي بالفعل كانت مستسلمة منذ ثوان، وكانت تتمنى الموت كذلك، ظلت تفكر حتي همست في نفسها:

- ما الذي كنت تملكه يا "عمر"؟ ما الذي كان يدفعك لكل ذلك، أكاد أجزم أنك كنت تعرف أنك تسير في طريق

موتك! ولكن شيء ما جعلك تستمر، ما هو يا "عمر"، ماذا يمكنك فعله لو كنت مكاني؟

فجأة قطع همساتها صوت أنين أختها، أنفاس رُعبها، والقشعريرة التي حلت بها عندما أقترب منها "سالم" بخبث، فقد رأى النيران التي اشتعلت بعد كلماته، أحس بتمردها، ولم يخفَ عنه ما فعلته

حتى أمسكوا بها من مقاومة وعراك.

هي النوع المفضل إليه إذن، وحان وقت الاستمتاع.

هو لن يفعل شيء، سيخفيها فقط، ويتضاحك قليلًا، ولا ضرر من بعض اللعب، فهنّ أمانة حتى تصبح الأدلة بين يديه وقتها فليفعل ما يريد ولكن بعد أن ينتقم.

دنى يمُد يده يلتمس الخصلات الذهبية المتحررة من القلنسوة، يرى الذعر وهي متجمدة في مكانها ويشعر بالرجفة..

ياله من احساس رائع، أن يخافك الآخرون فيخضعون، وهذا ما سيحدث قريبًا.. قريبًا جدًا.

ولكنه صُعِق، قد صُفع لتوه!، صفعته "يقين"

بأقوى ما عندها، ترد له صفعة أبيها الذي لا يزال أثرها علي خدها، تتبع خطوات "عمر"، فعلتها ولا تصدق بأنها تهورت هكذا، تحرك كفها بلا إذن منها، كان موقع وجهه مناسبًا لها! ألقت بنفسها في التهلكة، تحتار هل فعلتها لأختها أم لقذارته؟

هي فتاة مثلها، لم ولن تقبل على أي فتاة أن

يقترب منها أي شخص مهما كان.

حلّت الصدمة على الوجوه الثلاثة لبرهة، قبل أن تتحول صدمته لسخط، نهض ساحبًا لها من شعرها القصير بعدما انفك حجابها.

كانت تتأوه وشعرها كاد أن يُنزع، كان فرق الطول بينهما هائلًا، كان يقبض عليها بيد وينزل علي خدها الأيسر

باللطمات باليد الأخرى، وكأنه كُتب عليه المشقة كلها.

صفعة وراء صفعة،
و"شوْق" ترتعد وتصرخ لا تقدر على شيء، صفعة وراء صفعة، والجسد ينتفض، صفعة وراء صفعة حتي كادت تموت بين يديه، فشّ فيها غِليله كله لتتهالك بين يديه، وعندما انتهي ألقى بها

بـعنف علـي الأرض سـابـبًـا وصـارخًـا :

- سوف أريـكِ كـيـف تـمديـنّ يـديـك علـيّ يـا ....

بـصق ثـم أردف نــاظرًا لـــ"شوْق"

- و أنــتِ انــتظريـنـي يــا حُـلـوة.

ثـم خرج وصفـق الــبـاب خلفـه لــتهب تــجاه "يـقـين" وهـي تــنـتحب، جلـست

تحتضنها، تبكيها، وتهزها لعلها تستيقظ!

******

- ألم أقل لك ألا تقترب من أحد منهما!

- ومن أخذ رأيكِ من الأساس؟!

- فعلاً من أخذ رأيي! يكفيني أن أخبرك بكل ما تريد، وأُسهل عليك كل شيء..

قالتها ساخرة بمرارة ثم أنهت المكالمة.

لم تهنأ بلحظة واحدة منذ أيام دون أن تحرقها بقايا ضميرها.

كان تخيُل ما حدث معهما فقط يُفطر لها قلبها ولكن ماذا تفعل، التفكير فقط بالتمرد يلقيها بالهاوية.

******

كان المشهد محزنًا وملفتًا للأنظار، شاب على أعتاب الثلاثين يهرول حاملًا بين يديه

أمرأته وهي تصرخ، فقد فاجأهم جميعًا ألم المُخاض وفي وقت لم يكن في الحسبان، وخلفهم طفلة ابنة السابعة مجزوعة من هول ما ترى، تمسك بقميص أبيها الملتاع وتركض ورائه بأرجل صغيرة حافية تكاد تتجمد من البرد، ملابس المنام، وعيون لازالت مغمضة بعد أن خرجت فجأة من سُباتها على صرخات أمها

المتألمة، تركها أبوها على أحد كراسي المستشفى رغم بكائها ورفضها الابتعاد عن أمها، وأسرع بجذع لغرفة الطوارئ ليفاجئه الطبيب بعملية عاجلة، أنزلها من بين يديه وترك معها قلبه وروحه وكل جوارحه، عاد يجلس بجانب ابنته الباكية ثم أخذها في حضنه لتئن هي ويتفتت هو..

كانت دقائق من رعب،
تخفق فيها قلوبٌ أربعة
بينهم مثاق ورباط،
واحد أوشك على
الاستسلام، والآخر يحارب
يتمسك بالحياة، واثنان
كادا ينخلعان من الهلع
..
وكأن القلب الأول أبى
أن يتوقف حتى يسمع
صراخ الثاني.
فعندما سمع واطمأن قال
يا دنيا سلام..

غادر مقطعًا ورائه الرباط لتضطرب القلوب وتتشتت.

هبّ "عبد الخالق" فَرِحًا رغم النغزة التي شعر بها لتوه وصغيرته ورائه، فقد سمع صوت بكاء الثانية، وقف أمام الغرفة لثواني حتي خرج الطبيب بوجهٍ مضطرب، توقف أمامه يجيب سؤالًا لم يُطرح ..

لتخرج من وراء الطبيب ممرضة تحمل قطعةٌ مما فقد، أخذها بين يديه يضمها ويتشممها وهو مازال لا يدرك شيئًا، كاد الطبيب أن يغادر ولكنه أوقفه متعجبًا:

- كيف هي "أروى" ؟!

نظر له بتأثر ثم أعاد كلامته قبل أن يتركه فُتات..

- البقاء والدوام لله.

صُعق بل لُطم، ولكنه نفض الحقيقة وتركها جانبًا، لم يصدقه أو لعله لم يقتدر، ظل يحدث صغيرته بظلال أمل وهو يتجه للغرفة:

- لا لا، لا تسمعي له، "أروى" بالداخل سالمة، هيا لنرى أمك.

ظلت "يقين" متشبثة به ولا تفقه شيئًا مما قيل، ترنوا بعيونها لتلك الدمية التي بيد

أبيها، تريد أن تراها، تلمسها، وتقبلها مثل أبيها، لكنه لم يسمعها عندما رددت وهي تشده:

- بابا.. بابا، أرني، احملني لأرى.

دخل الغرقة رغمًا عن أي شخص ليرى ملاكه النائم، أزاح الغطاء من على وجهها ليشاهد الوجه الذي طالما أحبه وتغازل به، وجد الدم قد فرّ منه بلا عودة،

وضع الـولـيدة بـجانـبـها لـتقفز "يـقـين" هـي الأخرى تـحتضن أمـها، ظل يـحدثـها بـصوتٍ يـنـازع الـبكـاء وهو يـزيـح شعراتـهـا الـذهـبيـة يـخبـئـهـا عن الأنـظار:

- "أروى" حـبيـبـتي، افـتحي عيـنيك، انـظري لابـنـتـنـا، أختُ صغيرتـنـا، مَن كـنتِ تـعديـن الأيـام لـمجيـئـهـا، ها هـي لـم تـخذلـك وجـاءت سريـعًـا، هـا هي أمـامك، دعي صورتـهـا

تـنعكس فـي حقـل عينيك يـا "أروى" .. لـمـاذا طال منـامك، أأنـتِ قـلقـة، لا تـقـلقـي يـا قـمري ابـنـتـنـا بـخير وتـنـتظرك.

صمت بـرهة والـحقيقـة تـتجلـى ثـم أضاف بـصوتٍ مـهزوز يـملأه الـغصة:

- ألا تـودين أن تـريـهـا، انـهضي لـتعرفـي أن قـلقـك وكـلامـك الـغريـب الأيـام الـمـاضية كـان مـجرد هراء، أنـتِ لـن

تتركيني "أروى"، لا تمزحي معي أرجوكِ، لن تتركي بناتك .. لن تتركينا وحدنا، سنضيع بدونك .. لالا، لا يمكن يا "أروى".

صوته انقطع عند تلك الكلمات، الحقيقة تحيط عنقه بذراعها وتخنقه ببطيء، قال بصوت لا يكاد يسمع من الاختناق :

- أنا آسف يا حبيبتي، آسف على أي شيء فعلته أو لم أفعله، لا تتركيني فقط، وأنا لن أُحزنك مرة أخرى، لن أبكيكِ، لن أتركك وحدك مجددًا.

صمت وقد استسلم بينما "يقين" تهزها بوهن تحاول أن تجعلها تستيقظ، أن تفتح عيونها كما كانت دائمًا ما تفعل، ولكن عندما

وجدت أبيها يجهش باكيًا بحرقة، بدأ عقلها الصغير يعمل، الصورة بدأت تتضح، فهمت كل شيء لتبكي هي الأخرى ثم تلحقهم الثالثة، لتكون اللحظة التي تشاركوا فيها ثلاثتهم هي لحظة ألم.

مرت الأيام وأخذت يدها أخريات..

شعر "عبد الخالق" بأن الدنيا أظلمت عليه،

بأن الأيادي كلها تخلت عنه، الضغوط تحيطه والحزن ضيف ثقيل ظن نفسه من أصحاب البيت.

كان لا يملك سوى بيتٍ صغير وبعض الجنيهات التي بالكاد تكفي مصاريف "شوْق" ومتطلباتها من ملابس وحفاضات وتطعيمات ولبن للإرضاع، كان الأب وتلبس دور الأم، أو لعل الدور من تلبسه! كان يطعم

"يقين " ويرضع "شوْق"، ينظف ويرتب، يغسل وينشر، غيره ذلك من أعمال البيت، وفوق كل هذا الحمل لم يستطع ترك مكتبه الذي هو مصدر رزقه الوحيد والضئيل أيضًا بعد أن اختفى معظم زواره لانشغال صاحبه، وقد كان فتحه بعد قرضٍ عريض.

ظلت الأيام تضغط عليه، لا ينام الليل ولا يرتاح

في النهار، كادت رأسه تنفجر من بكاء "شوْق" تارة و"يقين" تارة أخرى، ولكنه كان يتحمل "شوق" أو شوقه كما كان يناديها، فهي صغيرة لا تستطيع الاعتماد علي نفسها ولا التحكم ببكائها، أما الأخرى، فكان ينتظر منها بعض المساندة، كان يريدها أن تهدأ قليلًا يكفي عليه ما هو فيه، يراها كبرت كفاية لتساعد

نفسها وترفع عليه الحمل ولو قليلًا، ولكن خاب رجائه لاحظ أنها تبكي أكثر من أختها وتعتمد عليه في كل شيء، تقلد الصغيرة، فقد كانت صدمتها كبيرة وطلباتها ثقيلة.

ضاق ذرعًا، لم يعد يحتمل، فأصبح يقابل ما يظنه "دلعًا" بقسوة، وأخذ يزمجر ويصيح فيها كلما بكت أو طلبت

شيئًا، حتى تغيرت فجأة، في الحقيقة كانت قد كُسرت.

تسارعت الأيام وتقافزت السنين، ابتعدت "يقين" عن الجميع، أضحت تكره أبيها وتخافه وتغار من أختها غيرة عمياء، حتى صارت لا تطيق نفسها ولا حياتها ولا ذلك البيت .. البيت الذي أصبح كبيرًا فجأة، بعدما تركوا القديم ورحلوا

لواحدٍ جديد عندما كَبُر "عبد الخالق" هو الآخر، أصبح ذاك المحامي "خلف" صاحب الآلاف والملايين.

أما هي فكبر معها حزنها وتفاقم، زادت الآلام وتراكمت فوق قلبها المهترئ بالذكرى.

عاشت يتيمة الأم والأب حينما مات أبوها "عبد الخالق " في ذلك اليوم

.. اليوم الذي فقدت فيه كل شيء.

******

- ألم أقل لكِ أن تبتعدي عني..

هي في الحقيقة ليست متأكدة إذا كانت هذه الجملة قد صدرت فعلًا من الرأس المتوسد لفخذها، أم أنها قطوفٌ من ذاكرتها وحسب.

- "شوْق"، ألا تسمعينني؟!

قالتها "يقين" بصوت مبحوح بالكاد خرج من حنجرتها، ولكنه كان كافيًا لينتزع "شوْق" من غفلتها المتقطعة طوال الليل، أو ما تظنه ليلًا هي لا تستطيع الجزم، لأن الغرفة بلا أي مدخلٍ للضوء، ليست إلا غرفة مخيفة بمصباح متدلي وحمام يثير الغثيان.

أمضت الساعات السابقة كلها في المسح على وجه

"يقين" المتورم،
والمحاولات في جعلها
تستيقظ، بكت كثيرًا حتى
أخذ منها البكاء مبلغه
ووجدت جفونها الساخنة
تنغلق رغمًا عنها..
كانت تغفو قليلاً ثم
تصحو فَزعة على الوجه
الخبيث أو على مشهد
أختها وهي بين يديه،
والآن استيقظت على صوتٍ
تتمنى أن يكون حقيقي
وليس خدعة من عقلها
الباطن.

فتحت عينيها لتري عينين أحدهما تحدق بها في حنق مفتعل والأخرى متورمة.

وما إن ادركت استيقاظها أخيرًا حتي دخلت في نوبة بكاء جديدة، لا تعلم من أين يأتي كل هذا الحب، اللهفة، الخوف داخلها لها!

نهضت "يقين"، ابتعدت قليلًا وظلت جالسة، ظلت

تسترجع الذي حدث قبل
أن تفقد وعيها، رفعت
يداها لتلتمس نصف
وجهها الأيسر الذي يشع
حرارة وما إن لمست
أسفل جفنها بأطراف
أناملها حتي ندّت منها
صرخة مكتومة متألمة لم
تلحظها "شوْق" الباكية،
وكأنهما تبادلا الأدوار
فهي لم ترَ "شوْق" بهذه
الحالة أبدًا، لم
تجمعها أوقات كثيرة
ولكنها كانت دائمًا

مبتهجة لا يفتر ثغرها عن بسمتها المشرقة، مدللة متطفلة تثير حنقها طوال الوقت.

مشاعرها مضطربة بداخلها من ناحيتها الآن، تجد في نفسها لينًا غريب بعض الأحيان ولأول مرة تشعر أنها ضعيفة وتحتاج لمن يحميها ويكون بالقرب منها، تراها مازالت طفلة، هل تعيد

استكشافها الآن! فها هي تراها إنسانة تخاف وتجزع وتبكي وعلى سيرة البكاء، لمَ لا تبكي مثلها الآن، هي لم تبكِ منذ أن خُطفت ولا تجد في صدرها حاجة، أم أن ماء دمعها استُنفِزَ كله؟!

عندما قالت لها منذ قليل أن تبتعد عنها، خرجت منها الكلمة بتلقائية دون تفكير، هي من كان يجب عليه أن

يبتعد من الأساس، أيجب أن تبتعد عنها حقًا، ألها فيه حق؟!

كان الصراع يشتد داخلها أكثر فأكثر بين ما تشعر به الآن وتراه وبين لقطات الماضي وذكراه، التي مهما هربت من المكان والزمان فهي لا تستطيع الهرب منه أبدًا.

جاءها صوت "شوْق" التي تحاول استعادة نفسها

والخروج من نوبة البكاء هذه

- "يقين" لماذا تبتعدين عني بعد كل هذا؟، أنا خائفة، خائفةٌ منه، لم ترِ كيف نظر إليّ، ولم تسمعي ما قال، لولاكِ لَمَا كنت نجوت منه، فلمَ الابتعاد الآن؟

أكملت بكائها بعد أن ظل المشهد يدور في رأسها ويدور، بينما

الصراع يشتعل ويتأجج في رأس الأخرى.

ولأنها تجرعت الكره، الحقد، والغيرة على مر السنين، انتصرت الذكرى هذه المرة وبدأت تشن هجوماً ضاريًا..

- ألا تملكي سوى تلك الأسئلة الغبية، أتطمعين في كل شيء، تريدين كل شيء، ألا يكفيكِ ما أخذتيه مني.

قالتها في غضب أعمى لترد الأخرى باستنكار:

- وما هذا الذي أخذته منك!

أجابت ساخرة:

- وتسئلين أيضًا!!

- أنا لا أفهم شيئًا يا "يقين"، ما هذا الكلام! ما الذي تتفوهين به؟! أعلم أنني لم أقف بجانبك يومًا ولم أشعر بك ولكني نادمة .. أشد

الندم، ولن أرتاح إلا عندما تسامحيني،
ولكنني لا اعرف صدقًا ماذا هذا الذي أخذته منك؟!

هتفت بها بتأثر وعيون دامعة لترد الأخرى الهتاف بهتافٍ أشد:

- لقد اخذتِ كل شيء، أخذتِ مني حياتي كلها، اخذتِ أبي، حبه، حنانه، حضنه، واهتمامه..

لقد سرقتِ أبي يا "شوْق"، سرقتِ أبي، ألا تفهمين، لقد ابعدتيه عني، وأخذتيه لنفسك،

اكتفي بكِ، دللك وحدك، ضمك وحدك، اهتم بك وحدك..

وحتى أمي، أخذتِ ورثها كله، ملامحها كلها، يكفيكِ أن تنظري في المرآة لتريها أمامك، أما أنا ففقدت كل شيء، عشت حياتي كلها اتألم،

أسمع ضحكاتكم وأبكي وحدي، كم تمنيت أن يأتي أبي ليحتضنني كما كان يفعل قبل أن تأتي، يمسد على شعري، يربت على كتفي، يحملني بين يديه، يطبع قبلاته على خدي.

كم تمنيتُ أن يحبني كما كان ولكنكِ سرقت الحب كله.

التقطت انفاسها وأكملت بمرارة :

- وأمي، أتيتِ أنتِ لتموت هي، لم يبقَ لي شيئًا منها، ولكنك ورثت الجمال كله ..

كانت تصرخ حتى بُح صوتها واختفى، غرقت في الغصة بينما الحقيقة المفزعة تنبض بين ضلوع الأخرى فاستطردت بانفعال:

- ومع ذلك يقحمونني معكم، يخطفونني بسببكم، أنا لا أريدكم

يا بشر، لماذا أنتم ورائي ولا تتركوني وشأني .. لماذا، لماذا .. لماذا فعلتَ ذلك يا "محسن"، لماذا أخبرته، كان أملي بك كله، رأيت حياتي الجديدة بجانبك، كنا نتألم مثل بعضنا، إذن لماذا تخذلني، وأنتَ ذُقتَ مثلي، لماذا حتى الهربُ يهرب مني، والآن البكاء يتركني، ويرفضني، تعبتُ وأريدُ أن أبكي، أريدُ أن

أبكي، والآن البكاء يخذلني.

كانت تتحدث وهي تضرب على فخذيها بحسرة بينما ملامح "شوْق" وقسماتها تضطرب وتنعقد أكثر مع كل كلمة تلقي عليها.

- أنتِ تهذين يا "يقين"، تهذين ولا تضعين حسابًا لكلامك.

تمتمت وهي تخرج من الصدمة ثم أكملت وهي

تقف وتدنو منها ترمقها بأسى :

- أين أمي هذه،
انظري إليّ هل تريها،
وإن رأيتيها فأنا لا أراها ولن أراها، ولكن لحظة، من قال هذا الكلام قبلًا، أليس هو،
إذن لماذا ترددين كلامه إذا كنتِ تكرهينه هكذا،
ثم .. لماذا تُحِّملينني كل ذلك، هل اخترت شكلي، هل أنا من أنهيت

عمر أمي، هل قلت له أحبني وحدي، ضمني وحدي، أعطني الحب وحدي، أنتِ لا تفهمين ما تقولينه وتعيشين على أفكار بالية، وألا يكفيك سنين عشتيها مع أمي وفي المقابل أنا لم أراها، لم تضمني، لم أسمع صوتها، أو أشم رائحتها. قد أكون أخذتُ الجمال كله ولكنكِ حصلت على الحب كله.

صمتت هنية تلتقط أنفاسها الهائجة، ثم أنهت كلماتها قائلة :

- إذن، لا تلوميني على أخطائه، فقد اكتفيت.

******

- دكتور "محسن"

- "يقين"!

هتف بها غير مُصدق ولكن سرعان ما اضطربت قسماته وتمتم معتذرًا للتي كانت تناديه وقام

متثاقلاً يجلب لها ما طلبته، يريد أن يصرخ بأعلى صوت لقد تعبت .. لقد تعبت .. لقد تعبت، لا يقدر على العمل ولا يرتاح في الراحة نفسها!

يبدوا سليمًا متعافيًا من الخارج، ولكنه في الحقيقة أبعد ما يكون عن ذلك في الداخل، وأليس الباطن هو المتحكم الأول؟!

هتف باسمها لتوه، لأنها هي من كانت تناديه دائمًا وهي تعمل عندما كانت تحتاج لشيء بينما هو في جُبِّ شروده، كان يجد فيها قليلًا من الراحة قبل أن ترحل.

يشعر أن شيئا ما لزج لاصق يحيطه، يغطيه، يغلفه، يمسكه، يقيده لا يستطيع الحراك.

كلما حاول المُضي قُدمًا سحبه وشد الوثاق.

كلما طفى في الواقع أغرقه وحبس الأنفاس.

يتساءل كيف لمن فقدوا الأحباء أن يرجعوا لحياتهم وينسوهم دون عناء، وكيف لهم أن يزيحوهم ويحيوا وكأن شيئًا ما كان!

ولكن انتظر، كيف لك أن تقارن نفسك بهم، "عمر" لم يكن مجرد حبيب أو صديق، "عمر" كان كل شيء، كان اخوتك كلهم،

أهلك بأكملهم، حياتك بطولها وعرضها، ومن ثمّ، أنسيت أنك أنت قاتله؟! ألست أنت من أهملت ثم تأخرت، لقد قتلت "عمر" وقتلت معه نفسك، ولم تكتفِ بعد! بل ذهبت لتدمر حياتها هي الأخرى.

انتُزِع من شروده مره ثانيةً ولكن دون أن ينطق يكفيه إحراجًا، لقد كانت تزيح من عليه

حمل كبير، عندما كانت تقف في الصيدلية، كانت ذابلة نعم ولكنها لم تكن منطفئة مثله، لم تكن مثقلة مثله، لم تكن محبوسه في عالم اخر.

كانت ماهرة في عملها مهما طالها الألم، فلماذا إذن هو شارد طوال الوقت ولا يفقه حديثًا حتى وصل الأمر لتذمر الزبائن ورحيلهم

بلا عودة.. وكيف يمكنه التركيز وهو إذا دخل أحدهم يراه "عمر"، إذا رحل أحد إذن هو "عمر"، ناداه لسان يسمعه بصوت "عمر"، نظرت إليه عيون يجدها عيون "عمر"، ربتت عليه يد فهي بالتأكيد يد "عمر"، فـ "عمر" و"محسن" والذنب والندم باتوا رفقاء لا يفترقون تلك الأيام.

وماذا يفعل بيده تلك الذي يريد أن يقطعها ويتخلص من الدماء التي غُمست فيها، هو مازال عالقًا في متاهات الذنب وبئر الندم .. الندم الذي وُضع فوق ندم، الأول لجهل والثاني لتأخير من بعد إهمال. فقد أضحى معرقِل نجاة وسبب موت، بل لعله قتل وأليس التأخير يكفي لضياع روح؟!

سمع صوت رنين هاتف، لم يكن هاتفه، بل هاتفها البائس مثلها، حتى رنينه يبدو كأنين أو لعله يتخيل؟!

أسرع ممسكًا للهاتف يجيب أملًا في إعادة الاشياء لصاحبتها، لكنه بُهِت عندما سمع صوتًا مسجلًا يلقي عليه بعض العروض لإحدى شركات الاتصالات! أغلق الخط وترك الهاتف، ثم أمسك

آخر بعد أن أصلحه،
أخرج نمرة "خلف"، وضغط
على اتصال ..
طال الرنين ولكنه لم
يتوقف حتى آتاه الرد،
كان صوت لشابٍ غريب!
كاد يسأل عن "خلف"
وإذا كانت الرقم
خاطئًا!
ولكن الشاب طفق يحكي
له ما صعب عليه
إدراكه.

******

مرت عدة ساعات، أو لعلها أيام، لا يهم، لا يفرق كثيرًا على كل حال، ولو ظلت هكذا باقي حياتها، رجعت للبيت أو بقيت هنا، أليس كلاهما خطف والإثنين سجن؟!

جاء هو يسلبها من هروبها ليأتوا هم يختطفوها من سلبه، ولكنها لم تجنِ سوى الضرب والإهانة.

نحف جسدها ووهن من قلة الطعام ورداءته، انشغل عقلها وامتلأ بصدى صوت "شوْق" وكلماتها، فهي لم تكتفِ بما قالت بل ظلت تدافع عن نفسها وتلقي عليها من الدروس والمواعظ، وكله كان من فم "المتطفلة" ليتردد على لسان "السارقة" حتى كاد عقلها ينفجر.

ظلت تأنبها على ابتعادها عن أبيها،

لماذا لم تحاول
الاقتراب منه، لماذا لم
تبره، تبره مهما كان،
لماذا لم تحدثه أو حتى
تشتكِيه، ولو اشتكت منهُ
لنفسه...

لماذا تظلمها، لمَ تقسو
عليها، لمَ تحملها ما
لم تفعله وما ليس لها
به شأن.

تزاحمت الأسئلة في
عقلها وهي بين الرفض
والإحساس بالخطأ، ولكن

تلك الأسئلة زادت وضع "شوْق" سوءً من ناحية، فبقيت الأنانية التي تلقي عليها الاتهامات دون أن تبالي بما مرت به أو بحياتها البائسة.

ولكن فجأة عم الهرج والمرج في الخارج، حتى قُطع حبل ظنونها ودُبّ القلق في نفوسهما، ثم تسلل صوت عبث آتيًا من الباب، ليُفتح مرة أخرى

ويظهر الوجه نفسه ولكن بمسحة وجل!

اقترب لتنكمش "شوْق" على نفسها ويعتمرها الفزع، الافتراضات تحوم في عقلها ودقات قلبها المتسارعة، هل سيتكرر الكابوس مرة أخرى، هل حان وقت تنفيذ وعده، هل هذه نهايتها وأسوء أيامها ?تفاجأت بذراع "يقين" يلتف حول كتفها ويشد عليه بقوة،

التحمت الأجساد واتخذت من بعضها ملجئًا ولأول مرة تكون الدرع الحامي والحصن الواقي، الذي طالما تمنته وحلمت به.

تفاجأت "يقين" هي الأخرى، كيف لمضغة صغيره تسكن بين ضلوعها أن تتحكم بجسدها كله، جزء ضئيل من قلبها هشّ منذ أن رأي ضعفها، خوفها، عجزها .. هشّ ومازال هشًا.

دائما تراها مبتهجة واثقة لا تحتاج شيئًا، لتمر الأيام فتجدها تصغرها بسبع سنوات، تحتاج اليد التي تشد عليها والضمة التي تطمئنها.. وجدت نفسها تندم لترك "المتطفلة" تسلب منها أختها وتتخذ مكانها، أليست أولى بأن تعطيها ما فقدته هي.. نعم، ففاقد الشيء قد يعطيه

أحيانًا، ويعطيه بسخاء أيضًا.

وهذا هو قرار اللحظة بعد أن اقتنعت أنها ظلمتها فعلًا، وأن أبيها هو السبب الأول والأخير لكل ذلك، لم تتقبل كلامها عنه فليس له مبرر لما فعله بها وبحياتها، والصفعة على خدها هي وآثرها لازالوا من الشهود.

تـخيُل أن كل هذه القـطيعة والـجفـاء كـان يـحتـاج فقط لـمصارحة وانـفجار وتـفريغ مـا حُبس لـسنين أمر يـدعوا لـلـحزن حقـًا، دقـائق وكـلمات كـانـت بـوسعها حل كل شيء، ولـلأسف لم تـأتِ إلا فـي أصعب وقـت، الـسهل فـيه أن تـفقـد أحدهما الأخرى.

دنـى "سـالـم" أكـثر محاولًا نـزع "شوْق" من بـين يـدي

أختها يغزوه الغضب والضجر فهو على شفى جرف فشل كل شيء، وحان وقت اتخاذ الإجراءات الطارئة، كانت محتمية بين ذراعي "يقين" حتى كادت تخترق ضلوعها، ظلت متشبثة بها أكثر من أي شيء وليتها فعلت منذ زمن!

بدأت ترتعش وتبكي وهو يحاول سحبها، بينما "يقين" يزداد تصلبها

رغم وهنها وضعفها، وعندما ملّ أخيرًا وأدرك أن الوقت لم يسعه، تراجع خطوتين مما جعلهما يظنون أنه استسلم، لكنه توقف لينهار الأمل، انطلقت يداه اليمني تبعث في چيبه حتى أخرج سلاحًا، وجه فوهته بين عيون سوداء فزعت، اهتزت، وتبلمت، صرخ فيها بأعلى ما عنده:

- اتركيها وإلا قتلتك.

لم تنتظر أذناها لتستقبل الصيحات، لم تفكر حتى، وهمّت تلوح برأسها يمينًا ويسار بعنف، تشد على أختها أكثر تمنعها من الحراك، تنظر لما بين يديه بأفكار ومشاعر متخبطة، بهتت الصورة حوله وتوغوشت، لا ترى

إلا فوهته السوداء المحدقة بها.

أفكار كثيرة تدور داخلها، لن يحزن عليها أحد إن قتلها، بل لعلها ترتاح.

ستموت دفاعا عن شرف، أيكفي ذلك لغفران ذنوبها، وهي لن تقدر على تركها.. مهما كان.

صرخ فيها مرة أخري لترتعش أكثر، ويقابل

صراخه توسلات متألمة من "شوْق" :

- اتركيني يا "يقين" .. ابتعدي عني.

لم تعبأ لها، تحررت دمعة من مقلتيها ولكنها تماسكت وألقت عليه نظرة ببسمة مهتزة، عاشت حياتها كلها علي البكاء، فلمَ لا تموت مبتسمة.

لم يصبر، عليه أن يعجل.

لــحظة ، ضغطة ،
طلقــة
ثُقــب، بــكا ء، دم
و انــتهى كل شيء .
******

الــفــصل الــثــانــي عشر "الــخــاتــمة"

لــحظة ، ضغطة ، طلقــة

طلقــة انــطلقت مــن حُجــرها تــسابــق الــزمن، تــرمقــهم كــلهم بــفخر، أنــا الــتي سأنــهي الــحكايــة !

اندفعت تخترق رأسه من الوراء لينفجر منها الدم، لم يُكمل إلا بضع ثوانٍ حتى خر صريعًا على وجهه أمام الفتاتين.

صرخة فَزِعة مُرتعشة صدرت من "شوْق" تخاف النظر إلى من تحتضنها فتجدها قد تخلصت من آخر الأنفاس، تخاف أن يتلاشى دفء جسدها رويدًا، تخاف أن تُعاد الكرة، تخسرها

مرة أخرى، تفقدها ثانيةً ولكن بلا رجعة.

فتحت "يقين" عينيها بوجل، لتتسع وهي تنظر للواقف قرب الباب يمسك سلاحًا بأنامل مرتعشة، وجه شاحب، وعسل عيون متعكر.

كان يقف كمن يحمل داخل نفسه ثُقلًا ينتظر زواله، يحدق للسلاح بين يديه بعدم تصديق، افلتت دمعة من بين جفونه وهو

يهمس لها ببسمة مهتزة :

- لم أتأخر يا "يقين"، لم أتأخر هذه المرة !

ابتسمت هي الأخرى وربتت على رأس "شوْق" بحنان.

- نعم، لم تتأخر .. ولن تتأخر مجددًا.

أنزلت نظراتها من عليه، وجهتها لـ"شوْق" المغشيّ عليها وظلت

تهُزها لكي تستفيق لكي يرحلا من هذا المكان.

ولكن .. صوت اصطدام سرق نظراتها وجوارحها كلها! أبصرت بهلع "محسن" وهو يسقط على ركبتيه بعد أن أُصيب في بطنه!، يضغط على الدماء، عيناه تهتزان، يتأوه وهو ينظر للأحمر التي لوث يديه بحق هذه المرة، لم يستطع

التماسك وسقط على الأرض!

صراخ من "يقين" باسمه، قلبها كاد يخرج من بين أضلعها، ألن ينتهي هذا الكابوس أبدًا!

اندفع تجاهها مَن طعن "عمر" ومن بعده "محسن"، لم يبق غيره، يريد أن يُفلت بأي طريقة مهما كانت، اقترب من "يقين" يسحبها من شعرها،

رفعها وثبّت على رقبتها السكينة من بين صراخاتها المرتعدة، خرج بها من المخزن المهجور متجهًا لسيارته، كان الليل دامسًا والهدوء سائد، كانت تحاول الإفلات مرة أخرى، تصرخ لعل أحد يسمعها ولكن دون إجابة وكأن العالم خلا إلا منهما في لحظة..

فجأة، صوت طلقة شق سكون الليل، أفسد عليه هدوئه، زاد صياحها وقد دوى صوت الأمل، كان شابًا وحيدًا يقف يوجه سلاحه ناحية المجرم، كان مترددًا، لا يقدر على التهور، لا يستطيع التصويب، بالكاد يمكنه إطلاق بعض الطلقات! دار "كاظم" ناظرًا له بنصر، يحتمي بـ"يقين" وهو على يقين أنه لن يفعلها.

- أنزل سلاحك وإلا...

أنهى جملته شادًّا على عنقها بسكينه فتدفقت بعض القطرات المرتعشة، لعنات خافتة صدرت من "آمن" الذي أنزل سلاحه ووقف يشاهد "كاظم" وهو يركب سيارته بعد أن دفع "يقين" داخلها.

انطلقت السيارة تسابق الرياح بينما ركض "آمن" للداخل وهو يعبث في هاتفه الذي كاد

يتحطم بين يديه من كثرة تعجله، دخل ليركبه الهلع، قد وقعت عيناه على بدن متمدد تحت قدميه، ما أنفك متخلصًا من دمائه!

******

لم يكن مجرد سباق مع الزمن، كان سباقًا يعني حياة أو موت، يعني ظلم أو حق، سباق هُدر في سبيله كثيرٌ من الدم،

أزهقت أرواح، أُفرغت بطون، ورحل شباب.
سيارتان .. سوداء وفضية كانتا تتشاركان المضمار، الثانية كانت تُسرع وتُسرع تحاول لحاق الأولى التي تُمني النفس بالفرار، لا يعلم لأين يتجه، لم يكن في الحسبان أن "خلف" ينتظره على الطريق الوحيد المؤدي للبلد، كان طريقًا مظلمًا يمتد

بطول القناة، سارت فيه السيارتان بأقصى سرعة، يتقاربان أحيانًا ويبتعدان أخرى، تتمايل إحداهما ثم تعود للمسار، كان "خلف" وحيدًا لا يستطيع إطلاق النيران على إطارات السيارة الفضية التي تحوي ابنته وخاطفها بسبب انشغال كلتا يديه في القيادة، لا يعلم ما الذي حدث لـــ"محسن"، كانت نبرات "آمن"

مذعورة في الهاتف الذي لم يستمر إلا لثوانٍ معدودة عندما وجد السيارة تنطلق أمامه، كانت الخطة لتنجح لولا ذاك الذي حدث ولا يعلمه!

خرج من أفكاره وقد اقترب من السيارة بالقدر المناسب لتنفيذ خطة الطوارئ، أصبح مجاورًا لها، ضغط بكل ما يملك من قوة على

مدوس البنزين ليزيد من سرعته، كانت كأنها تزحف وهي تتقدم وتتقدم حتى تخطت السيارة الفضية، انحرف بالسوداء بحدة ليقطع عليه الطريق بالعرض ثم وثب منها بأقصى سرعة، نهض وهو يبصر سيارة الخاطف تُكمل تقدمها وتدفع سيارته وقد تهشم جزئها الأمامي بالكامل، شاهد "كاظم" "خلف" وهو يقترب ممسكًا سلاحه،

علم أن لا مفر، أمسك بذراع السيارة (الفتيس)، دفعها للخلف ثم انعطف مسرعًا بالسيارة نحو القناة!

اندهش "خلف"، حلت به الصدمة وهو يرى السيارة تغطس في المياه، تبلم للحظات، ثم خلع بذلته وقفز ورائها..

******

أصوات وأنوار، هرج ومرج ملئ المكان، فقد ظلت اتصالات "آمن" تقوم بعملها وهو يجلس بجانب "محسن" وقد خلع معطفه ومن ثَمّ قميصه، الأول ليغطي به "شوْق" التي بالكاد بدأت تُفتح عينيها، والثاني لكي يضغط به على جرح "محسن" النازف، بدأت أنفاسه تتباطأ، خاف أن تسكن فجأة، لا يعرف ماذا يفعل، ولكن جاء

الله بالفرج مع المسعفين الذين وصلوا اخيرًا مهرولين بعد أن تعطلت السيارات على الطريق لا تستطيع الدخول بسبب ضيق الممرات بين المخازن.

هبّوا يحملون "محسن" مع "آمن" يتجهون به نحو سيارة الإسعاف التي انطلقت إلى أقرب مشفى، الحالة صعبة وقد فقد كثيرًا من الدم!

******

تحطمت قيود الجفون أخيرًا بعد كثير من الاستماتة، ظهر من أسفلها ليمونتين ذابلتين، لم تفقه لوهلة مكانها ولا الذي حدث، وعندما أدركت آخر ما اخترق أُذنيها، سرى في جسدها رعشة وهبت واقفة تبحث عن ضالتها بهستيرية ..

هرولت ناحية إحدى المسعفات هاتفة بجزع :

- أين "يقين" .. أختي .. أين أختي؟

صمتت تحاول ترتيب كلماتها ثم أضافت بحروف مختنقة تُجازف البكاء :

- كانت هنا، كانت تحتضنني حتى جاء .. اخرج سلاحه و أطلق علينا، لا أعرف ما الذي حدث، أين أختي هل

قتلها .. هل قتل "يقين" ؟!

انهت جُملها المهتزة وقد تحطمت المقاومة، اجهشت باكية فأخذتها المسعفة في حضنها تربت عليها بحنان:

- لا تقلقي يا حبيبتي، لم نعثر على قتلى، بالتأكيد قد خرجت في إحدى السيارات، هيا بنا نلحقها.

قالتها بنبرة مُطمئِنة وإن لم تكن صادقة، هم لم يجدوا قتلى بالفعل، ولكنهم لم يجدوا "يقين" كذلك.

هدأت "شوْق" قليلًا وقد جرحت أكثر، ظلت تغمغم:

- أين "يقين"، كيف تتركني وحدي بعد كل ذلك؟!

ركبت مع المسعفة أحد السيارات وقطعت الطريق

شاردة في الظلام، هل تخلت "يقين" هل رحلت مجددًا.

أسئلة كثيرة طفت على صفحة عقلها.

******

و في ذات اللحظة كانت هناك أسئلة أخرى قد غرقت مع أختها.

شعرت أن ذراتها التصقت ببعضها فجأة، ثم صدمة زلزلت كيانها، انطلقت صافرات الإنذار تعلن عن

حالة هلع! هل كانت صفعة جديدة، وجنتاها فيها لم تأخذ كل النصيب!

تشعر بفُتاتها يتصاعد، دقات قلبها تتسارع، حان دورها للتسابق مع الزمن.

هل قررت الذرات التي تتنفسها دون حساب، التي تأخذ منها كما تريد بلا عتاب، ذرات الهواء التي لا تميز

أحدًا عنها ولا تنتظر المقابل، هل قررت الآن الرحيل، هل تريد التخلي؟

حتى خصلات سوادها لماذا تقافزت فجأة، تلتصق بوجهها، أتحاول خنقها، أتريد التخلص منها؟ هل تبدلت الأدوار، قد حان أجلها، هل حان وقت قتلها بمقص الاختناق؟

نظراتها معدودة وشهقاتها محدودة ..

رأت الباب الأمامي
ينفتح ويخرج منه أحد
ظلال ذاك اليوم
المشئوم، يدفع المياه
هاربًا تاركها ورائه في
عُرض القناة!
مدت أناملها تحاول فتح
الباب تتبع خطواته
ولكن الباب موصود،
الدنيا مظلمة، رئتاها
تئنان يفقدان آخر
الأملاك، حاولت النقر
على الزجاج، العالم

يظلم أكثر، انغلقت الأجفان رويداً قبل أن تشاهد ظل غريب يحاول فتح الباب.

******

لا تعلم كم مر من الوقت، فقدت إحساسها بكل شيء، ولكن عينا عقلها تعملان، تشاهدان ضمات وأذناها تسمعان قُبلات، رآها باكية في عمر الزهرات، تتخبأ كعادتها وراء الجدران،

لم يعرف ماذا يرسم على وجهه، فترك الهم هو من يشق قسماته والضيق ليحتل تعابيره، أنزل ذات السنتين من فوق فخذه همس في أُذنها

- "شوق"، هاتي "يقين".

أشار نحو المختبئة فهرولت إليها وهي ترسم بسمة البراءة

- "يقين" .. "يقين"

والآن قد عادت الحاسة الثالثة، تحس بلمساتها الواهنة على يدها، شعرت بها كلسعة عقرب سمه سرى في جسدها، دفعتها عنها وركضت ناحية.

والآن بدأت التروس تتحرك أكثر، أمعاؤها ورئتاها تتحركان وفجأة تفتحت عيونها وأفرغت ما في جوفها كله، عادت لمرقدها، ثم بدأت في

الاستيعاب، فتحت عيونها ثانيةً لتبصر انعكاس أنوار السماء على لحيته التي لازالت تحتفظ بسوادها، شعرت بذراعيه العريضين يحيطاها، التقى سواد عيونها بسواده، هل كان كابوسًا انقلب لحلم، همس باسمها، خرجت الحروف مرتجفة :

- "يقين"!

اتبعها بضمة لم تعلم كم طالت، تساءلت .. أتريد أن تبتعد عنه الآن، أم تريد الاختباء داخله للأبد، رغم البلل والبرد كان دافئًا، كان التحامهما دافئًا، كما كان دافئًا يوم الألم، يوم تقطع الوصال بين قلوبهم، أبوها يحتضنها بالشجى، أبوها يضمها ثم يطبع القبلة على جبينها، هل هي حقيقة أم بقايا حلُم وستستيقظ

الآن وتذرف العيون بالدمع!

- "يقين" .. أجيبيني..

قالها بخوف حقيقي، كاد يفقد ابنته، مهما كانت حِملًا كاد يفقدها، لكنها قطعة منه .. هكذا هتفت به نفسه.

كانت كل ذراتها ترفض إلا قطعة، قطعة تلطخت بدفيء اللحظة، همست بصوت متحشرج :

- احتـ.. احتضنني، أشعر بالبرد، احتضنني قبل أن أموت.

أجاب ندائها، ضمها بقوة، طبع قُبلًا أخرى، كادت تُسحق بين ذراعيه ولكن لا يهم.

كانت محرومة، مظلومة تطالب بأقل حقوقها، لم تشبع من ذلك الدفيء، لتستغله إذن قبل أن يختفي مرة أخرى، بللت عبراتها صدره واتخذت

دموعه بين خصلات ليلها ملجئًا.

******

تهالكت على أحد كراسي المشفى، لا تدرك ما يحدث حولها, فحوصات عادية أجرتها وملابس ساترة أعطوها لها فارتدتها، يسكن بين يديها معطف ذاك الشاب الطويل، لا تعرف أين هو والآخر المُصاب، أين "يقين"، أين أبوها،

تخاف تلك الوحدة وإن كان حولها الكثيرون، والسؤال الأهم هل هم بخير؟!

انتشلها من شرودها تنحنح أحدهم بتردد، رفعت بصرها له، أنه صاحب المعطف!

- هل أنتِ بخير؟

قالها وهو يفكر، إلى أين يأخذها في تلك الساعة من الليل، سيد "خلف" لم يأتي بعد ولم

يتصل، لا يعرف كيف يصل إليه، رغم القلق يبدو هادئًا..

نهضت بحرج تمد له معطفه ممتنة:

- معطفك... شكرًا.

- ابقيه معكِ، قد تبردين.

- ولكن!

- بدون ولكن.. ابقيه معك يا...

قالها بإصرار، وهو يشير لها بالجلوس، جلست فقد كانت متعبة بحق، قد عاشت أيامًا عصيبة.

- "شوْق".

لم يعقب فقالت سائلة:

- هل تعرف أبي؟

جلس على المقعد الذي بجانبها، عقله مع ذاك المستلقي بين يدي الأطباء.

- سيد "خلف"؟ .. نعم أعرفه.

انتبهت جوارحها كلها لكلماته، التفتت له ببدنها كله، نطقت بلهفة تتمنى إجابة تريح قلبها ولو قليلًا:

- أين هو؟، هل تعرف مكانه؟

صمت لدقائق ولم يجبها، علمه علمها، كلاهما ينتظر على بقايا أمل.

فـهمت فـعـادت تـنظر لـلفـراغ، تـكبح دمـعاتـهـا الـيـائـسة.

سمع حشرجتهـا الـتـي تُـنبئ عن غيـث ضعف سيـحل مـن جديـد.

- لا تـقـلـقـي، سيأتـون قـريـبًا، وسيقـوم "مـحسن" هـو الآخـر.

هـل كـان يـواسيـهـا أم يـواسي نـفسه، مـا شأنـهـا هي بــ"محسن".

ألقى عليها نظرة أمل ثم هتف بمرح مصطنع:

- هل تريدين معرفة الذي حدث!

ها قد جاء دور لسانه الثرثار، فليحكي الحكاية، أليسا رفاق الانتظار؟!

أومأت له، لا تعرف لِمَ يعاملها كطفلة!

- بدأت الحكاية عندما ذهبت لسيد "خلف" بخوخاتي الجميلة.

كان يتحدث بفخر ممزوجًا ببعض المرح يريد أن يخفف عليها.

- وليس أي خوخات، بل نوع مميز لا تأكله إلا الجميلات!

لا تعلم لماذا خجلت، استطرد :

- ذهبتُ لأجد الباب مفتوح، بحثت عن سيد "خلف" فوجدته يجلس شاردًا في إحدى غرفكما الأنيقة، ينظر في ورقة

شريرة! علمتُ فيما بعد أنها ورقة تهديد بكما، وإذا أبلغنا الشرطة فلن نراكما مجددًا!، أخبريني ما الذي فعلناه؟!

مازال يحدثها كطفلة يحكي لها حكاية قبل النوم! لم تستاء، نظرت له مستفهمة فأكمل بغرور:

- جاء مستر "آمن" الحكيم العبقري، وظل

يحدثه حتى عرف منه الرواية كلها، استمع لِما يكنه في صدره من أسرار وحكايات، أعترف بأخطائه المأساوية، كانت الصدمة قوية، شعر بعظيم خطأه، ظن أن يوم عقابه قد جاء بفقدكما أنتما الاثنتين دفعتًا واحدة!

صمت ثم نهض فجأة، احضر بعض العصير والـ"مولتو"، عاد

لمكانه بجوارها وأعطاها لها فأخذتها صائعة حَرِجة بسبب صراخ معدتها.

- اقنعته أن أمامه الفرصة لتصحيح كل شيء، عرفنا مكانكما بسبب نباهتي.

صمت، فابتسمت تتعجب من ثقته تلك، ارتشف بعضًا من عصيره وأكمل:

- وهنا جاءت مهمة "محسن"، فهو يعرف

المكان جيدًا، جاء أكثر من مرة يبحث في المخازن المهجورة بالقرب من القناة حتى سمع صخبة أدلته عن موقعكما.

تذكرت يوم الصخبة، عندما حمتها "يقين"، أين أنتِ يا "يقين"!

- لم نستطع الدخول بالسيارة، فقررنا أن ينتظر بها سيد "خلف" في الخارج لأي حالة

طوارئ وأدخل أنا و"محسن" وبعض رفاقي، لم يكن العدد كبيرًا لحسن حظنا، وقد كنّا تمرنّا على يد أبيك كيف استخدام السلاح، ولكن للأسف "محسن" لم ينتظر واندفع سابقًا لنا فحدث ما حدث، لقد تعجل كثيرًا.

أنهى كلماته بلوم ناظَرا بقلق لغرفة العمليات، حل الهدوء

لبعض الوقت، الدقائق تمر ببطيء، كل منهما ينتظر الفرج.

- لكن ... لا تقلقي، سيكونون بخير، أنا أثق في ذلك.

كانت ثقته في الله كبيرة، تدفق لقلبها بعضًا منها فاطمأنت.

- شكرًا .. شكرًا لك على كل شيء، شكرًا أستاذ "آمن".

قالتها بنبرة هادئة فأسرع يجيبها :

- لا تشكريني، واسمي "آمن" فقط .. "آمن" الثرثار ..

أطرقت ضاحكة بخفوت وهي تتحسس اسمه على لسانها، تُطمئنها ضحكاته، تمتن لوجوده، لقد جعلها آمنة حقًا.

******

حينما عاد وعيها بالكامل وأصبحت تشعر

بكل شيء حولها، أصرت عليه أن يُنزلها، سارت بجانبه، كانت مبتلة وهواء الفجر كان باردًا، لاحظ الرجفة فخلع بذلته الجافة وأحاطها بها، دغدغ أنفها عطر الماضي، عطره المفضل لأمها، ألم يتخلى عنه بعد؟ يبدو أنها ليست الوحيدة المتمسكة بالذكرى هنا!

كان عقل كلاهما مليء بالأسئلة، الاتهامات، اللوم، والعتاب، ولكن الألسنة كانت متحجرة لازالت تأبى الكلام.

- السيارة تعطلت، يجب أن نكمل المسير حتى نصل للمدينة أو أي شارع رئيسي.

قالها بعد دقائق من المسير، الطريق مظلم إلا من أضواء السماء والهدوء طاغي إلا من

صفافير السفن البعيدة التي تؤنسهما ولو قليلًا.

كانت الظروف كلها مُهيئة لحديث سنين، النجوم مجتمعة والقمر في كبد السماء، كلهم شهود وحضور ينتظرون بدأ المحكمة!

- أين ذهب الـــ .... .

سألت بخفوت وصوت مبحوح، لا تعرف بماذا تسميه

- لا أعلم بالتأكيد هرب بطريقةٍ ما..

انتظرت التفسير فأكمل لا يعرف أيتكلم بفخر أم خجل:

- عندما حطمت الزجاج وأخرجتك وتأكدت من.. من أنكِ مازلتِ.. مازلتِ تتنفسين، كان قد اختفى!

قال آخر كلماته بصعوبة، لا يستطيع إدراك أنها أوشكت أن

تموت بين يديه منذ دقائق، تموت وهي تمقته! تموت وقد ظلمها، أكمل بكلمات غريبة عليه وعليها:

- لم يهمني سواكِ.

اخترقت الكلمة أذنيها، لولا عدم وجود غيرهما لَمَا صدقت خروجها من بين أسنانه!

- عندما شعرت أنكَ ستفقدني؟

قالتها بلوم وهي تنظر له بطرف عينها فأجاب بصوت يتجلى فيه الخوف والندم.

- لقد علمت حجم خطئي، نعم يا "يقين"، عندما فقدتكما بمنتهى البساطة، أنتِ أُخذتِ من جانبي، وأختكِ من قلب بيتي، شعرت أن هذا عقابي من الله.

- جيد!

قالتها بسخرية ثم أكملت بمرارة وهي تهتز :

- جيد، جيد حقًا يا سيد "خلف"، ها أنت استرجعتنا، لنعود لبيتك الآن، ونكمل حياتنا، أو تكملا أنتما حياتكما إن صدقت، هيا نسرع لتعود ابنتك الوحيدة إلى أحضانك، وأعود أنا إلى غرفتي، أعود لأسمعك وأنت

تدللها، أعود لأموت كل يوم، وأنت القاتل سيدي!

استُفز من طريقة كلامها فهتف ناظرًا لها بحدة:

- "يقين"، هل يمكننا طي تلك الصفحة!، ألا تتذكرين نفسك، ألم تري نفسك وأنت تصدين كل محاولاتي معك! حتى أختك بنيتِ أمامها سورًا وحصون! لماذا تكرهينها؟!، لماذا

تصرين أن تعيشي على الأخطاء ولا تجتازينها أبدًا، نعم أخطأت وها أنا أعترف، لا يوجد إنسان بلا خطأ، ماذا تريدين أكثر من ذلك؟!

تألم قلبها لكلامه، لمعت الدموع وهي تتساقط على وجنتيها، شعر أنه أفسد الأمر، كان يجب عليه أن يسيطر على نفسه، يكفي أخطاء، كاد يتحدث بهدوء هذه

المرة ولكنها سبقته، ألجمت لسانه، وقالت بصوتٍ مجروح :

- تعترف!، تعترف وأنت ترفع صوتك، تصيح فيّ وتلوم، نعم أكرهها بسببك .. بسببك أنت.

شعرت بخطأ ارتكبته لتوها، هي لا تكره "شوْق" بل كانت .. كانت تكرهها.

ابتعدت عنه خطوة وهي تهمس بين دموعها :

- لا أريد سوى أن أبتعد عنك .. وتبتعد عني.

******

انفتح باب غرفة العمليات، خرج الطبيب، فهبّ "آمن" نحوه تاركًا ورائه تلك الطفلة التي غشاها النوم بعدما أُغلقت جفونها رغمًا عنها، ركض للطبيب قائلًا بلهفةٍ تُقطر خوف :

- كيف وضع "محسن"؟

أجابه بنبرة تقريرية معتادة :

- لا تقلق، أنهينا العملية وهو في طريقه لغرفة العناية المركزة، لم تتضرر كثير من الأعضاء، فعلنا ما بوسعنا.

ارتاح قليلًا وظل يسأله عن موعد استيقاظه وتعافيه.

عاد يجلس بجانب "شوْق" التي استفاقت عندما

قام من جنبها، تضاخم حرجها، كيف لها أن تنام دون أن تشعر هكذا!

- أبخير؟

كان سؤالًا من كلمة واحدة ولكنه يحمل بين حروفه الكثير، أليس هو من أنقذ أختها.. أختها التي لا تعرف أهي بخير أم لا، هل تم إنقاذها فعلًا!

- نعم الحمد لله.

الوقت يتأخر، لمتى سيظلان جالسان هنا، ليس معه مفتاح بيتها وحتى لو، يخاف أن تبقى وحدها، الأرض ملطخة بآثار دماء مدام "نادية"، لا يجب أن تعرف ما حدث.

- أبوكِ كان يغرقني أسئلة، ألا تتساءلين كيف عرفنا موقعكما بالضبط!

لسانه لا يدعه وشأنه، ثرثار حقًا يا "آمن".. هكذا فكرت

قالت تعيد كلام البطل مبتسمة:

- كيف حددتم مكاننا؟

- لالا، لا تتحمسي لم يكن الأمر بهذه الصعوبة!

قال ضاحكا ثم فرك يديه وكأنه سيبدأ اختراعًا جديدًا، طفق يحكي:

- عندما دخل أبيك البيت وجد ورقة تحمل تهديدًا، تلك الورقة الشريرة التي اخبرتك عنها، المهم.. أنها كانت تحوى رابط لحساب مجهول يمكننا التواصل بالخاطفين عن طريقه، أصررت على سيد "خلف" أن يحدثهم ويخبرهم أنه سيتنازل ولكن بعد أن يسمع اصواتكما ويتأكد أنكما بخير.

صمت هنية، بينما انعقد حاجبيها، هما لم يُحدثا أحدًا! لاحظ استغرابها فأسرع مفسرًا:

- لا تتعجبي، تلك الغرفة كانت بها كاميرا للمراقبة، بعثوا لنا تسجيل لكما لنطمأن، احزري ماذا كان به!

حركت رأسها خجلة! ماذا رأى؟، انفجر

ضاحكًا وهو يتذكر حالهما.

- كنتما كطفلتين يتشاجران على قطعة حلوى! ما بكما يا آنسة! ظننت أن لسيد "خلف" فتاتين من حديد ولكنني اخطأت الظن! فليعطيه الله العون.

ضحكت بخفوت فأكمل بجد:

- وبينما أنتما تتشاجران كان هناك من

هو غاضب أيضًا تم طرده من العصابة لسببٍ ما، بعث لنا أنه يريد أن ينتقم، وأنكما بالتأكيد في الاسماعيلية.

رسم على وجهه بسمه باردة وقال بسخرية، و"شوْق" يأكلها الفضول تريد أن تعرف بقية القصة

- أذهلني!!، شعرت لوهلة أن الاسماعيلية

بـنـايـة مـن شقـتـين!،
ولـكـني انـتـبـهت لـصوت
بـاخرة فـي الـتـسجيل،
وهكذا عرفـنـا أنـكـما
بـقـرب الـقـنـاة.

ظلّت تـنظر إلـيـه بـفخر
ثـم سرقـهـا صوت! صوت صدر
من علـى بُـعد أقـدام، صوت
لـم تـسمعه إلا فـي بـكاء
وشجار، صوت.. ولـيس أي
صوت، صوت "يـقـين" قـد
جاء الـفـرج، صوت أختـهـا
وجزء مـن قـلـبـهـا، كـانـت

منه مرفوضة، مقهورة، وظنت أنها القاهرة، اسمها "شوْق"، لم يشتاقوا لها كما اشتاقت لهم، اسمها "شوْق"، غرقت في الشوق، بل كانت المُغرقة، اسمها "شوق"، لكنها لم تكتفِ، حتى حان الوقت، ليته لا ينتهي، قد جاء وقت التلاقِ.

هبت باللهفة تحتضن أختها، الجزء الذي ضاع

منها قد عاد، "يقين" لم تتخلى، "يقين" لم تتركها، حمدًا لله ..
هكذا همست في نفسها ألف مرة.

امتزجا في عناق طويل، لم يخلوا من الدموع ولا من الفرحة وإن لم تكن مكتملة، كانت القلوب تدنو من بعضها أكثر بعدما تخلصت من الاستحياء، حان وقت

الترابط وإن تباعدت المسافات.

دخل "خلف" لينهض "آمن" يستقبله بعد أن ارتاح أخيرًا واطمئن قلبه، أسنده حتى جلس مكانه، كان متعبًا بحق، همس في أذن "آمن" بحرج:

- أخرج، أدفع أجرة السيارة وسعر مكالمة الإسعاف، سيارتي تحطمت، هاتفي ومحفظتي قد غرقوا.

- تحطم وغرق!، ألم يشتعل شيءٌ سيدي.

قالها ثم شعر بسخافته، لقد اعتاد عليه زيادة عن اللازم!

- حدث حريق ضخم بالفعل، اذهب وسأحكي لك كل شيء في وقت لاحق.

قالها مبتسماً متذكرًا النار التي تأججت بينه وبين "يقين" أكثر مما كانت، يشعر بثقل وهم المحاولة معها مرة

أخرى بل مرات خصيصًا مع ذلك المخ الجامد الذي تحمله، يتذمر الآن وقد ورثته منه!

شعر بـ"شوْق" وهي تثب عليه، تحيطه بذراعيها وتبكي.. تبكي الفقد، الألم، الخوف وكل ما اعتراها الأيام السابقة وهي بعيدة عنه.

جلست بجانبه بعد أن هدأت، جلست بجانبها "يقين" بدورها وقد

خرجت لتوها من الفحوصات، وجهها مدهون بمادة ما ومازال متورمًا.
أرادت أن تسأل عن "محسن"، ولكن خلف سبقها، أنصتت له وهو يسأل ذاك الـ"آمن"، أجابه بعد أن جلس هو الآخر قبالتهم، حكى كل شيء، أخبرهم بتأخر استيقاظ "محسن"، فعصف بها القلق، تريد أن

تطمئن عليه، قد خاطر بحياته وتأذى لأجلها، همست في أُذن "شوْق" ثم نهضت دون مقدمات، اتجهت تسأل عن غرفته وإن كان بمكانها رؤيته.

دخلت وظلت واقفة على بعد مناسب تبصر الأسلاك المتصلة به وتسمع صوت جهاز رسم قلبه، كان يرسم النبضات، ولكنه لم يرسم اليقين..

يقينه بأن الإسراع بإنقاذها هو فرصته، فرصته الوحيدة لتعويض تأخره عن "عمر".

- "محسن"، لا يمكنك أن تموت الآن، استيقظ هيا، لتعرف أنك لم تتأخر، ولن تتأخر، حق "عمر" آتٍ في الطريق .. لا يمكن أن يصل ولا يجدك.

قالتها بثقه أنه يسمعها، مشكلته ليست

مشكلة أعضاء قد تضررت، بل شك مميت يحتاج بعض اليقين.

- أتعرف!، أنت لم تتأخر أول مرة، نعم أنا لا أهذو، كان نصيبه، هذا قدره، حتى لو كنت بجانبه طوال الوقت، كان ليموت يا "محسن" حتى لو كنت ملتصقًا به ولا تفارقه لحظة، كان ليموت، حتى لو أُصبتما أنتما معًا

كان ليموت هو وتنجو أنتَ، لأن هذا وقته وليس لك به دخل، أتفهم، هيا قُم .. قُم لترى بذرة موته، قم لتشاهد الظلم ينهدم، ظلم الشركة، وظلمي أنا أيضًا، دماء "عمر" يا "محسن" لم ولن تُهدر سدًا.

ضغطت على آخر الحروف، ثم لمعت عيناها ودمعت .. دمعت عندما وقعت

على دمعة أخرى، دمعة ملطخة بالعسل!

******

باتوا ما تبقى من ليلتهم في إحدى الفنادق القريبة من المشفى، أصرت "شوْق" أن تقيم مع "يقين" في نفس الغرفة والثانية لم تعترض، صمم "آمن" أن يمكث مع "محسن" في المستشفى، أما "خلف" فبعث من ينظف البيت

ويرتبه بعد الإعصار الذي حل به.

تمددت كلٌ منهما على سرير منفصل، لم يلبثا كثيرًا حتى دخلوا في سُبات عميق، استيقظت "يقين" أكثر من مرة على صوت "شوق" الخائفة من احد كوابيسها، وفي آخر مرة كانت الشمس قد اتخذت مكانها فوق مسرح السماء، وقفت تربت عليها وعندما عادت

لمنامها، اتجهت ناحية
الشرفة، كان الجو
باردًا فارتدت شيئًا
ثقيلًا مما جلبه أبيها
بعد بعض اتصالاته
اليسيرة، وقفت تراقب
البحر الذي لازال
هادئًّا، قضت أيامًا في
الإسماعيلية ولأول مرة
ترى البحر فيها، ظلت
تتأمل تبحث عن تلك
المعاني التي يتغنى
بها الجميع، ولكن

عقلها كان مشغولًا، ما مصير الأيام القادمة.

ارتمت على السرير مرة أخرى، طفقت تفكر في شخص ما، وما مصير أيامه هو الآخر، غزى رأسها بضع دقائق لكنها أزاحت الفكرة واغمضت عينيها.

فتحتها مرة آخري وقد مرّت الساعات وتلاشت الدقائق، استيقظ "محسن" الذي القت عليه

نظرة، اطمأنوا عليه جميعًا، وارتاحوا عندما جاء أخيه الذي كان يسكن في محافظة أخرى ليعتني به، ركبوا ما يعود بهم إلى القاهرة، ومن القاهرة للبيت الأكثر قهرّا، قضت فترة فيه برفقه "شوْق" التي كانت تطير من الفرحة، بالتأكيد لم يخبروها بما حدث مع ماما " نادية".

كانت تقضي الوقت كله مع "يقين"، عاد لها مرحها ولم تتوقف عن الثرثرة، كانت "يقين" تتفاعل معها وتجاريها ولكن شيئًا ما كان يخنقها، كانت منطفئة ترى الذكرى في كل زاوية وعلى كل أثاث، الذكرى التي توقظ الألم داخلها، نعم كان أبيها غائبًا ولكن أثره في كل مكان، كان هناك ما يحيط عنقها بذراعه،

ظلت مثقلة إلى أبعد حد، لا تستطيع استعادة نفسها، ولا روحها التي وجدتها ومن ثم فقدتها في الإسماعيلية.

تمددت تقرأ الاخبار المتناثرة في كل مكان عن الامساك بمن يدعى "هاشم الجبلاوي" و"كاظم أمين" وعصابته والتأكد من وفاة "سالم الجبلاوي" المسئولين عن مقتل "عمر توفيق" وخطف

بنتيّ السيد "خلف" محامى القضية، والشروع في قتل "محسن الحسيني".

خفق قلبها كلما وقعت عينيها على اسمه، تتساءل كيف حاله الآن.

استمرت جلسات المحكمة، تبرأت فيها الشركة عن الأسماء المذكورة سابقًا، لم تغلق ولكنها دفعت أموالًا طائلة.

زفرت بضيق من هذا الخبر، متى يأتي حق "عمر" كاملًا!

زفرت مرة أخرى, نهضت جالسة، أغلقت صفحات الاخبار على هاتفها، استدعت رقمًا ما، خطت بعض كلمات مترددة، نظرت لـــ"شوْق" بذنب، ولكن ما باليد حيلة، عيشها هنا موت، لا تستطيع تهميش نفسها أكثر من ذلك، مسحت على

جبينها بحيرة، شرت قليلًا ثم خبأت هاتفها عندما أبصرت "شوْق" تقترب منها تهتف ببهجة:

- أغلقت لتوي مع "رقية"، آتية يوم الجمعة القادمة بإذن الله.

رمقتها بنظرة أسف لم تفهمها ثم سحبتها لتتمدد على السرير

تتوسد فخذها، ظلت تمسح على رأسها وجبينها

- لا أصدق أن أغلى اثنتين في حياتي سيكونان بجانبي.

همست والراحة بادية على وجهها مغمضة العيون، لم ترى الدمع المترقرق على تلك الأمنية التي هدمتها بقرارها.

- أنا آسفة يا "شوق".

قالتها بحزن حقيقي،
ابتسمت "شوْق" وقالت
بطيبة :
-"يقين" لا تتأسفي قد
أغلقت صفحات الماضي،
يكفيني أنك بجانبي
الآن.
كانت تجلدها وهي لا
تدري.
- آسفة يا "شوق"
ولكن لا أستطيع.
بدأ سيل الدموع، نظرت
لها "شوق" بشفقة وهي لا

تفهم، احتضنتها وجففت لها دمعها.

- لا تحزني، لقد نسيت كل شيء.

- استمتعي مع "رقية"، ولا تجعلي شيء يعكر عليك حياتك، حسنًا؟

- حسنًا.

قالتها بحب، نهضت "يقين" ممسكة هاتفها مدعية أنها عطشى..

ابتعدت، استعادت ربطة جأشها، طفقت تردد الدوافع والأسباب، أعادت طبع الكلمات ثم ضغطت إرسال.

« أريد العودة الإسماعيلية، لن اتنازل عن ذلك، اعتبرها خطوتك الأولى في إصلاح أخطائك »

******

ظلت تعديات القضية الحالية تزيد من

راحتها رويدا، تخلصت من ذلك المسخ أخيرًا ولم تتضرر في ذات الوقت، خطئها لا يُغفر، ولكن الحمد لله لم تتأذى أيًا من الفتاتين، يمكنها أن تعيش حياة جديدة على بياض، لديها عملها، والشخص الذي سيصبح زوجها بعد أيام لن تُقطع لقمة عيشة، الحمد لله.

هكذا رددت قبل أن ينفتح باب المكتب ويندفع تجاهها "خلف" يسحبها من شعرها أمامه، ظلت تتأوه، قلبها يتزلزل، ترى مصيرها وهي خلف القضبان.

أدخلها مكتبه وألقاها على أحد المقاعد، أغلق الباب وجلس على كرسيه أمامها، زمجر هاتفًا :

- ما أسمك يا "شذى"!

انعقد لسانها، يرتعد بدنها، لا تستطيع الحديث

كرر سؤاله بنبرة مشتعلة فنطقت بحروف مرتعشة :

- "شذى أحمد السيد" ..

هوى بكفه المتكور على المكتب محدثًا اصطدامًا، هتف يستحقرها ويسب غفلته :

- أتخدعينني أم تخدعين نفسك، أسمك الكامل يا جرزة.

بدأت دموعها تنهمر، تعض على شفتيها في حسرة، ماذا كان يمكنها أن تفعل، كاد يفقد بناته بسببها، دقات قلبها تتسارع، قالت بحرقة:

- اسمي "شذى السيد الجبلاوي"، نعم أنا تلك العصفورة، سهلت عليهم

الكثير، لست سوى غبية وخائنة.

لم تكن بخير، طفقت تتشنج، تبكي وتبكي، تخاف، تشعر بقلبها سيتوقف، صرخ فيها:

- كيف لك أن تخونني، تتجسسين عليّ وترسلين أخباري لهم، وفوق ذلك لا تملكين عقلًا.

اخرج من جيبه هاتفًا ضغط على شاشته عدة ضغطات ثم ألقاه لها:

- أنظري يا مغفلة، اسمك وكل معلوماتك تزين هاتفه، كان يستعد ليلقي بكِ في أقرب سلة قمامة!

زادت حالتها سوءً، هل لم تثق به بالتأكيد ولكن لم تتوقع أن يسلمها بتلك السهولة حتى وإن مات!

- سامحـ.. سامحني سيدي، كنت مجبرة.

ظلت ترددها، ليس لها سبيل، قلبها كاد يخرج من مكانه، كاد يغشى عليها من الفزع.

هدأ قليلًا وهو يراها تنهار أمامه، حالها كان صعبًا. قال بعد قليل من الصمت الذي لا يخلو من بكائها.

- اهدئي، لا اريدك أن تنهارين الآن، احكِ لي كل شيء أولًا.

رمقها بغضب وقالها بنبرة لا تخلو الاستحقار مرة أخرى.

نطقت راجية تضغط على قلبها، صدرها يرتفع ويهبط في تسارع.

- أيمكنني .. أخذ .. دوائي .. من حقيبتي.

- انتظري.

خرج يجلب لها الحقيبة، ألقاها عليها ثم جلس مكانه، أسرعت تأخذ الدواء، وعندما خفّت

ضربات قلبها بدأت تسرد بين الخوف، الألم والندم، حياتها تنهدم أمامها.

- أنظر يا سيدي ..
عائلة الجبلاوي منقسمة، منهم من هم فوق الساحة، الذين يتحكمون بالتجارة والشركات وكل شيء، ومنهم العاديون مثلي ومثل "إياد" خاطبي، عقدنا منذ فترة، يعمل "إياد" في

أحد المنافذ الصغيرة التابعة للشركة، يعمل ليل نهار لكي يوفر مصاريف زواجنا.

صمتت هنية تتذكر ضغطه عن نفسه ثم استطردت بألم:

- منذ أن مات "عمر" ووُكِلت لتلك القضية يا سيد "خلف" وذاك القذر يراسلني، في أول الأمر كان يغريني بأموال ومناصب وكنت أرفض دون

تفكير حتى تحولت طريقته وبدأ يهددني، ظل يهددني ليل نهار، ويستبذني أيضًا، كان يهددني بعمل "إياد" ومن ثم حياته كلها، خشيت عليه وتجمد عقلي، لم أستطع ان أتحدث من الخوف، حتى أنني لم أخبر "إياد"، لم أعرف كيف أتصرف، كنت لا أنام الليل ولا أقضي ساعة هانئة، فقبلت مرغمة؛ قال لي أن أراقب الوضع

فقط وإذا شعرت بخطر أخبره ولكني لم أتوقع أن يختطف البنات.

اختنقت مرة أخرى، تضع نفسها في مكانهما كل ثانية، الذنب يأكلها ..

- آسفة يا سيدي، كنت مجبرة، كنت مذلولة، سامحني أرجوك.

عادت تبكي، رمقها وهو يفكر، لا يريد أن يظلمها، ألم يقل

لـــ"يـقـين" مـنـذ أيـام ألا يـوجـد إنـسـان بـلا خطأ!

- كـان يـمـكـنـك أن تـخـبـريـنـي وأنـا سأساعدك فـي سريـة، كـان يـمـكـنـك خداعهم أو فـعـل أي شـيء، كـان يـمـكـنـك استغلال الـصـفـيـحـة الـتـي فـي رأسك!!

هـتـف لائـمًـا ولـكـنـه تـذكـر نـفـسـه عـنـدمـا خُـطِـفـت بـنـاتـه، تـجـمـد مـثـلـهـا ولـم يـقـدر عـلـى الـتـفـكـيـر، لـولا

"آمن" الذي ظهر بالوقت المناسب.

- لن استطيع الوثوق بكِ ثانيةً، هيا ارحلي الآن، سأتصرف لكِ ولـ"إياد".

نطق ولكنها لم تصدق ما قاله لتوه، كادت تقبل له يداه، ظلت تشكر وتعتذر، تشكر وتعتذر منه حتى بُح صوتها، لملمت حاجيتها ورحلت،

فبالتأكيد لن يدعها تعمل في مكتبه مجددًا.

أما هو فنظر في هاتفه الذي اهتز منذ دقائق، قرأ كلمات وصلته من "يقين" وعقله يرتج، يحتله سؤال.. ما هو القرار الصائب!

******

تأكدت من سُبات "شوْق"، جرّت حقيبتها التي لا تحمل الكثير، تسير على

أمل إجاد متعلقاتها وملابسها في النُزل.

جلست بجواره، تعجبت موافقته، لن تقرر الخطأ مرتين، لتجعله هو من يقلها بنفسه.

كان صامتًا، لا تعلم أنه وافق لكي يستغل وجودها طوال الطريق جانبه ليتحدث ويفرغ مكنون صدره كله، وليتها تفعل المثل، والآن السؤال الأهم، ما الذي جعله

يفكر هكذا فجأة بعد سنين من الغفلان أو لنقُل التغافل، كان يعلم أن هناك معضلة في وسط بيته، هناك من تكرهه ولا تعتبره أباها، لكنه كان متقاعسًا، يأتي الواقع يزحزح بعضًا من راحته فيطرده بعيدًا ويكمل هنيئًا، طالما كره الهم، وتلك المعضلات التي تريد المثابرة.

وها هو قد امتلأ من كلام "آمن" الكثير، لا ينتهي حديثه ولا يتلاشى إصراره، بإمكانه إصلاح كل شيء، لم يفت الأوان ولا مجال للهرب، عليه أن يصلح ما أفسده، خاصةً بعد الصفعة التي تلقاها.

- "يقين"، هل يمكننا الحديث قليلًا؟

لم تجب

- أنا آسف.

أوقف السيارة جانبًا فالحديث سيطول

- على ماذا الأسف!

قالتها مستنكرة

- على كل صيحة، وكل دمعة، وكل ألم.

كان يتحدث بهدوء، قد عاهدها في نفسه ألا يغضب مجددًا.

- أنتظر منكِ أن تسأليني "ومن قال لك أنني كنت أتألم ؟"، أو حتى تلوميني " إن كنت

تعرف فما الذي كنت تنتظره!"، أو حتى تنفي وجودي كاذبة أنك لم تتألمي ولم تعبئي بي أساسًا، أنتظر منك ما لا ينتهي ومعك الحق كله.

كان يلوث جرحها الذي لم ولن يندمل، كانت تراقب الظلام جانبها وتستمع له وغصة الألم تأكلها.

- لا أقدر أن أقول لكِ أنني تغيرت، ولا أن

أعدك بالكثير، ولكنني
أقر وأعترف، أنا أسوء
أب في هذه الحياة، بلا
لا استحق، كنت جاهل
ومتغافل، أكره طبعي
ذاك، أمقت عدم
المسئولة والضعف الذي
يجتاحُني في وقت
الأزمات، كانت أزمة أمك
قاتلة يا "يقين"، كنتُ
كسير ومن ثَمّ تحولت
لوحش، كنتِ الضحية، لم
استيقظ إلا بعدما هشمتك
الحقيقة الأكثر ..

سوادًا تتجلى أمام عيوني.

بدأ "خلف" يذرف دموعًا، وكل حياته الباطلة تتكشف أمامه، بعين البصيرة التي فقدها عقابًا على أفعاله.

- والآن اسأليني لِمَ الآن ترى، وكنت أعمى، لِمَ الآن تشعر وكنت عديم الإحساس، كنت ومازلت المخطئ الوحيد وسبب دمارنا، كانت المشكلة

والحل أمامي، كانوا أمامي وبين يدي وفي لحظة رأيتهما وأدركت أن كل شيء قد يضيع أكثر مما ضاع، ثم جاءت نفسي تقول ليت، ليتكما ترجعان فقط وأصلح كل شيء، ليتكما تعودان لنصبح أسرة سوية، تعرف الحب، تحس بالدفء، ليت الرباط يعود متينًا، أدركت شعورهم يوم العقاب عندما يتمنون فقط أن يرجعوا للوراء،

يصلحوا أخطائهم التي لا تُغتفر، وها أنا قد حصلت على فرصة .. كانت صفعة، بدأت بها ورُدت إليّ.

عض على شفتيه لما فعله يومها، يبصر سيْلان لامعان يتدفقان بصمت على خديها، كانت صامته، تغلق عينيها بألم، تقاوم الاختناق.

- أنا آسف يا "يقين" آسف يا حبيبتي، آسف

على كل ما فعلته بكِ، لا أعلم كيف يمكنك أن تسامحيني، كيف تسامحي شيطانًا، كيف تسامحي أبًا لم يجاهد أن يكون أباكِ.

كان صوته متجلجلًا وقد تخلى عن ثباته، أقترب منها فجأة، أحاط رأسها بكفيه الدافئتين، ضمها لقلبه المذنب، سمع حينها شهقات الألم، لم تعد تحتمل، بكت بأعلى

ما عندها، تَفَتت الكلمات، انسالت الصرخات، تحولت لشلال دمعات تقافز من المقلات، ضغط على رأسها يغرزه في صدره أكثر، ظلت تئن هي ويتفتت هو، في كل أيامها لم ترد إلا تلك الضمة، لم ترد غيرها، كانت جائعة للحب، لكنها لم تطلبه، لم تطلب الحب ولا الحضن، وكيف لها أن تفعل، كيف يُطلب الحضن

من الأب، كيف .. كيف، ذلك شيء لا يطلب ولا يُرجى، وكيف ترجو وهو سكنها ومسكنها، هو حصنها وملجئها، كانت تعيش وهو موجود ولكنه أبعد البعد عنها، تلك الحقيقة قهرته وقهرتها، كيف يهجر السكن ساكنه، كيف يطعن الملجأ لاجئه، كيف يهمل الأب ابنته، ومهما تعددت الأسباب واختلفت المبررات، ستظل هاوية،

خاوية، بالية، لا تجيب سؤال ولا تطفئ آلام.

كان يخبئ رأسها داخله، سمع حروفها الجريحة، بين شهقات وعبرات.

- قلبي يؤ.. يؤلمني، الشق داخلي يتسع، يقسمني نصفين .. كلما حاولت التناسي، التجاهل، التغافل أجده يبتلعني، لن أكذب عليك، أريد أن أُسامحك،

أريد ان أعيش دائمًا هنا .. هنا .. هنا للأبد.

كانت تضرب محل قلبه..

- لكني لم أجد المتسع، تظنني كنت أرفضك، لكني كنت أشعر بالرفض قبلك، أبي يرفضني، يصيح فيّ، ويهجرني.

- سامحيني، أعدك يا ابنتي، لن أعيد الكرة، أعدك، أعدك يا "يقين".

كان يبكي بكائها، كان يجيب صراخها، أفرغت فيه شلال عينها كله، همست قبل أن تبتعد عنه

- أعدك سأحاول ..

ولكني لا أضمن قلبي.

******

- ها هي المذكرة يا سيدة "رقية"!

ألقت لها المذكرة، ثم جلست بجانبها مبتئسة، جف دمعها وخفّ قهرها الذي أغرقها بعد رحيل

"يقين" مرة أخرى، ما صبّرها هو وعد أبيها بعودتها قريبًا، وكلامه أن يدعوها وشأنها قليلًا، كما أن وجود "رقية" خفف عنها الكثير، ظلت تطلب منها المذكرة، تصرفت وجاءت بها من أبيها بعدما تأكدت منها أنها لن تتعب مجددًا بسببها، وما زاد من طمأنينتها أن "رقية" لا يبدو عليها الحزن كما يبدو

الظفر برجوع حق "عمر" رويدًا، عاد وعاد معه حق الكثيرين، وغدًا يكونون أكثر ..

رب ضرة نافعة، لن نغير القدر، لعله خير، قدر الله ما شاء الله .. تلك كانت كلمات يقينها التي ترددت عليها مرة وراء أخرى، قالتها لنفسها حتى صبرت واحتسبت، كانت قوية.

لم تلتقفها من على حجرها ولكنها التفتت لـ"شوْق" تضربها في كتفها بخفة :

- ما بكِ يا وجه البومة، قلنا ستعود، تحبك وستعود.

ردت لها الضربة بغيظ فسقطت المذكرة على الأرض

- أنظري ما فعلتِ! ماذا أفعل بك الآن، بومة مزعجة!

هتفت بها وهي تميل لتعيدها، بينما أخرجت لها "شوْق" لسانها وظلت تميله يمين ويسار بسخرية.

ضحكت على شكلها، فاتبعتها الأخرى بمزيد من الضحكات حتى وقعت عيناها على بعض الحَب المتناثر على الأرض، أشارت مستفهمة:

- ما هذا؟!

- لا أعرف!

قالتها "رقية" وهي تلملمه بيدها من على الأرضية.

وضعته على الطاولة أمامها ثم لاحظت وقوع المزيد من بين يديها، من المذكرة!

التقطتها منها "شوْق" وقد تلبست شخصية المتحري الشهير "توغوموري"!

لاحظت ثقب في الغلاف الجلدي من ناحية

الورق، تتساقط منه تلك الحبوب، أمسكتها بوضعيه لا تجعل باقي البذور تقع، هرولت تجلب مقصًا وعُلبه صغيرة لتضعهم فيها، قد عثرت على الكنز!

عندما وجدت "رقية" المقص بين يديها هتفت فيها تحاول أخذ المذكرة منها:

- ما الذي تفعلينه!! هاتها.

- اصمتي أيتها الطفلة الحالمة.

أمسكت المقص، تستدعي مهاراتها، ثم أقامت شقًا طوليًا في الغلاف الجلدي المطوي، وجدت آثار للاصق!

قلبت المذكرة رأسًا على عقب وظلت تهزها حتى أفرغتها من البذور.

- ما الذي جاي بتلك البذور هنا.. ولماذا؟!

تساءلت "رقية" مُقطبة الجبين

- لا أعلم، انتظري أرى الناحية الثانية.

أعادت الكَرة، كان المقص حاميًا، كاد يقتل أختها يومًا ما.

هزت ولم يتساقط شيء، أخذتها منها "رقية"، تحسست بإصبعها فوجدت ورقة صغيرة مطوية، أخرجتها بمهل ترمقها العيون بدهشة وخوف في

آن واحد، ما الحقائق المخفية!

بدأت تقرأ بصوت مسموع:

« السلام عليكِ وعلى قلبكِ يا "رقية"، أو أيًا كان من يقرأ، لا أعرف بماذا أبدأ، الكلام كثير والحديث طويل..

قد تتساءلين، لماذا فعلت بكِ هذا، لماذا أعذبك معي، لماذا أذنب

في حق قلبك هكذا، ولكن في الحقيقة .. الحقيقة التي قد تبدو غير واقعية ولا حتى منطقية، وجدت يدي هي من تكتب لكِ..

كنت الأيام السابقة أشاركِ كل اخباري وأفعالي، حتى اعتدت وتماديت، ووجدت نفسي أكتب لكِ كل هذا ..

لقد نويت الآن أن انسخ كل شيء، أن أصحح خطئي،

أن أبعث لـ"محسن" كل ما حدث بدلًا منكِ، فإذا حدث وقرأتِ تلك كلماتي فاعلمي أن الوقت للأسف وبكل الأسى لم يسعفني، اضطررت يا "رقية"، أعلم أنك قوية ستنسي وتسامحيني..

اختفى صوتها مع انتهاء الوجه الأول للورقة، تحاول أن تتماسك، تنفذ الوصية هي قوية، ستنسى وتسامح .. أخذت منها

"شوق" الورقة وأكملت نيابة عنها

تلك البذور، التي ستجدينها داخل الغلاف الجلدي لظهر المذكرة، هي بذور طماطم مسرطنة ..

شهقت عند الكلمة، فهمت الآن معنى السهم لليمين، يمين المذكرة، لأنها مثل أي مذكرات حالية ظهرها على يدك اليمين، كأنها صنعت

للغرب فقط!، بالإضافة إلى يمين شجر الليمون، محاصيل القمح!، وما هو الكثير، كثير من البذور.. البذور المسرطنة!

أكملت :

... لاحظت وجودها بين بذور الطماطم الآتية من الشركة، تأكدت من مرضها كما يجب أن تتأكدي كذلك فتبعثيها

لمن يتأكد، فهي كافية لغلق الشركة وحبس المسؤولين!

بالتأكيد لم أصمت، ذهبت لهم وليتني ما ذهبت، قلبت الدنيا عليهم، ولكنهم طردوني ومن ثَمّ ظلوا يهددوني، ومن هنا بدأت الحكاية..

لم أعرف كيف أتصرف، لو رفعت قضية كانوا ليتخلصوا مني كما

تخلصوا بالفعل ولكن وقتها لم أكن لأستطع فعل ما فعلت.

بدأت فكرة الاسترداد تلعب في عقلي، بعثُ فداني وطلبتها، كانت التهديدات قد اختفت قليلًا عندما اطمأنوا أنني تراجعت ولم أجد من يساعدني، ولكن عندما وصل لهم خبر الشحنة وما أنويه، شنوا عليّ هجومًا ضاريًا،

كنت قد بدأت أكتب كل شيء وأسجل، لعلكم تستطيعون فضحهم والخلاص منهم، وأخذ حقوق كل من تعب من أسعارهم او أُضِرّ بسبب بذورهم.

وزعوا الشحنة على المحتاجين، وأخبري "محسن" أن يرعى أمي، أخبرتها أنني لم أموت سدًا، عرفوها أنني لن ارتاح وهي حزينة تبكي.

أخبري "محسن" أنه

أغلى الغاليين عندي، رفض قلبي أن أُعرضه للخطر، يكفي أن أموت أنا، لعل آخرين يحيوا بعدي.

أخبريه أنه أخي وصديقي ورفيقي وكل أهلي، أخبريه أن لا ذنب له في شيء، فأنا أعرفه أكثر من نفسي، أكاد أجزم أن الندم والذنب يقتله في الثانية ألف مرة، قولي له أن ذلك قدري، وأنه

بـريء، بـريء من كل شيء
إلا تـعذيـبه لـنفسه، عيشي
يـا "رقـية" وأخـبريـه أن
يـحيـا، الأسبـاب والـدوافـع
لا تـنـتهى لـكي تـحيـوا ولا
تـعلقـوا أنـفسكم بـنفسي،
ولـكن الـسبب الأكـبر أنـني
لـن أرتـاح إلا بـعد تـنفيـذ
الـوصية، بـاستكمـال
حيـاتـكم، وتـخليص الـنـاس
مـن فسـادهم .»

******

- "يـقيـن"!

قالتها متفاجئة، متعجبة، مبتهجة، لتقفز الأخرى في حضنها باكية

- "صُدفة".. توحشتك، أحتاجك يا "صُدفة".

جلستا وسط الزهور مثل المرة السابقة، مرت الدقائق والساعات وهي تحكي لها كل دقيقة وثانية منذ أن اختفت فجأة حتى عادت الإسماعيلية، مرورًا بالقتل والاختطاف، سردت

كلام أبيها وأفعاله كلها، ثم قصت حكاية حياتها بأكملها، فرّغت عليها المشاعر والأحداث جميعها.

ظلت "صُدفة" تستمع، ولها بدل الأذن ألف، تنصت بالعاطفة أحيانًا وتبكي وتتأثر، تُحَّكم العقل أوقات كثيرة وتُكَّوْن داخلها الرأي والحُكم، تتساءل مع كل قضية من المُخطئ ومن

الصواب، التزمت بالحيادية التامة ثم أخذت دورها في الكلام وطفقت تتحدث :

- قبل أي شيء، هل يمكنك اخباري كم سعة قلبك، عقلك أو حتى روحك يا "يقين"، كيف تحبسي كل ذلك داخلك يا حبيبتي!

اشارت ناحية قلبها

- أتعلمين، كلكم مخطئون يا "يقين"، حتى

أنـتِ! ، أخطئتِ فـي حق نـفسك!

استنكرت "يـقـين" وكـادت تـبـرر ولـكن "صُدفـة" استطردت :

- أنـا لـن اتـحدث عن أخطائـهمـا - أبـيك وأختك - لأنـهمـا بـالـفعل ذكـروها واعتـرفـا بـهـا، ولـكن سأتـحدث عنك، اسمعيـني لـلآخر، أحـببـتك بـحق يـا "يـقـين" ولا أبـغي سوى راحتك وسعـادتـك.

ابتسمت لها بحنان وحب فقابلتها ببسمة مشابهة.

- أعلم أن حياتك كانت صعبة، عسيرة وبها من الحزن الكثير، تألمتِ وبكيتِ ولم تجدي من يربت عليك ولا من يستمع لأنين روحك، أعلم كل ذلك وأشعر بك، ولكنك نسيتِ شيء ما يا "يقين"، تفصيلة دقيقة لكنها الأهم، نسيتِ أن

ما الحياة إلا امتحان، به من الأسئلة اليسيرة ومنها المعقدة، ربك ليس ظالمًا حاشاه، ربك يعلم كم أنت قوية، وضع لك اختبارك المناسب، ويعلم أن بمقدورك اجتيازه.

لا يوجد راحة كاملة ولا سعادة أبدية في تلك الدنيا يا "يقين"، نحن نأتي لنسعى في حياتنا، نجاهد نفسنا، نُبتلى

ويأتينا العسر، نعيش أيامًا صعبة، ونقف أمام اختبارات معقدة، ولكن أتعلمين ما الذي يدفعنا للاستمرار، للجهاد وعدم القنوت يا "يقين" .. هو اليقين يا حبيبتي، اليقين بأننا نقدر ونستطيع، اليقين أن بعد كل ألم فرحة وإن تأخرت، أن مع كل عقبة وسقوط هناك قيام ونهوض، أن لكل حدث حكمة .. حكمة

موجودة أمامنا وحولنا ولكننا نعمى أحيانًا، أو لا نراها إلا بعد حين، الكرب طويل ولكن الفرج آتٍ.. آتٍ لا محالة.

احتوت يداها بين راحتيها، أكملت مبتسمة بدفيء:

- لقد أخطأت في حق نفسك عندما غفلت عن كل هذا، ثم بدأت تحبسي وتسجلي أفعال البشر

داخلك، البشر الذين سيظلون ينتقدوكِ مهما كنتِ، عندما استنكرت زميلتك جمال شعرك، لِمَ لمْ يأتي ببالك أن لا أحد يحصل على كل شيء، أرزاقنا متساوية، ولكن اختلف توزيعها، أراكِ غير راضية عن شكلك ولا جمالك، ولكن صدقًا أراكِ جميلة، جميلة وبهية أكثر من أجمل وردة في هذا الحقل، في حين أن جمالهم هذا - إن

اعتبرناه جمال - قد يكون مزيف أو حتى قشرة تخفي كثير من القبح في الداخل، الجمال ليس في الشكل فقط، الروح الجميلة الطيبة العفوة المحبة تفوق أي جمال، القلب الأبيض الذي لا يحمل حقد ولا حسد هو أجمل من أي شيء.. ثم ألا تكفيكِ شهامتك تلك، لا أستطيع إدراك كيف صفعت ذلك العفريت!

ضحكا معًا ثم قالت "يقين" غير مصدقة :

- أنا أيضًا لا أعرف .. كفي هي من فعلتها !

- بل شهامتك، وحبك لأختك، هيا اعترفي!

قالتها بنبرة محقق وهي ترفع سبابتها أمام وجهها، ضحكت "يقين" وهي لا تصدق أنها تضحك من الأساس، رفعت كفيها كالمذنبة :

- أعترف يا حضرة المحقق.

- بم؟!

سألت مؤكدة فأجابت متذمرة:

- لماذا تصعبين عليّ الأمر، نعم أحب "شوْق".

- حسنًا، سجلي يا أيتها الوينكا الحمراء، عميلتي الأولى تحب أختها ولكنها تستصعب الاعتراف.

قاطعتها متعجبة:

- عميلتك!

فغر ثغرها ثم تضاحكت قائلة :

- ألم أخبرك! لقد درست طب النفس يا أيتها الكعكة الطرية، لم أرد أن أقول مريضتي فجعلتك عميلتي .. لا تغضبي، كلنا مرضى نفسيون بطريقة أو بأخرى.

زادت الضحكات وتعالت .. كعكة طرية! لم تكذب "صُدفة"!

- حسنًا دعيني أكمل .. أنت تحبين أختك يا "يقين" وحتى لو مؤخرًا، لِمَ لا تحاولين تنظيف قلبك تجاهها، لِمَ لا تمسحين كل الذكري السيئة وكل الظلم، لقد تأكدت من حسن نيتها كما أنها اعترفت بخطئها، "شوْق" تأكلها

الطيبة والندم، أغبطك عليها.

تفاقم الشعور بالندم نحو "شوْق" داخلها، كانت ظالمة بالفعل، ليس لـ"شوْق" يد في أي شيء. ليست سوى طفلة مسكينة حت

ى لو كانت مدللة، فهي حرمت من الكثير وها هي تصر على أن تحرمها من نفسها، من الأخت.

قالت بنبرة خافتة تتأرجح بين الرهبة والرغبة :

- أنا لا أريد الابتعاد عنها، لوهلة شعرت أنها تنتمي لي وأنتمي لها، يوم الطلقات شعرت أني ملكها الوحيد، ولكني لا أريد العودة للبيت.

تفهمتها "صدفة"

- حسنًا .. لن تعودي الآن، ابقي في البلد كم

يوم، وتعالي لي لأني اشتقت إليكِ.

قالت ثم قامت تحتضنها قبل أن تودعها، ستجعلها تعود، تعود بقدميها والشوق يدفعها. حالتها ليست صعبة للدرجة، تكرار الكلام سيكون كافيًا، ليست عنيدة ولا تصر على أخطائها.

ودعتها "يقين" ورحلت وهي تفكر في كلامها،

تجده منطقيًا، فهي مع كل الذي تعرضت له مازالت حية، تتنفس وتروح وتأتي، حتى ولو بخدوش وكسور فهي حية، ولعل يحدث ما يجبر كل شيء، سارت متفائلة لأول مرة، تهتف في نفسها سأعود يا "شوْق" سأعود، انتظريني لأتعافى، وأكون أخت سليمة بقلب سليم ليس بقايا قلب، انتظري قلبي ليُشفى

ويأتي ليحملك داخله، داخله للأبد.

حثت خطاها وقراراتها تتوالى، ستذهب للمشفى القابع فيه "محسن" ستطمئن عليه، تأخذ مفتاح الصيدلية ولو بالإكراه، ستعمل، ستتعالج، ستستعيد نفسها .. بإذن الله.

******

وفي منتصف الشتاء

« وقد جاء في آخر الأنباء، إغلاق شركة "القمحة" للبذور والأعلاف والحكم على بعض المسؤولين عنها بالحبس أعوامًا عديدة، مع قدر ليس باليسير من الغرامات، وذلك بعد الكشف عن متاجرتهم لبذورٍ مريضة..

ولمزيدٍ من التفاصيل يرجو الدخول على موقعنا الإلكتروني.. »

ظهرت البُشرة على وجهها للحظات، فقد جاء الوقت الذي ترى فيه الصورة كلها، الأحداث أمامها، تبصر نتائج الشقاء!، تحمد وتشكر مبتهجة، ياتُرى هل وصل الخبر لـ"محسن"؟

- هل أخبرت "محسن" ؟

ابتسم .. لا يعلم أنها قد تتغير هكذا في بضع شهور، تنظر إليه وهي تحدثه , تبتسم وتبدو أكثر إشراقًا، وها هم عائدون للقاهرة! أمر لا يُصدق حقًا، زادت بسمته وهو يتذكر آخر اتصال، تخطى سؤالها قائلًا بنبرة سعيدة :

- يريد أن يُكتب كتابكما! يبدو أنه

يستثقل الخطوبة ..
يقول لا داعي للانتظار.

ابتسمت حتى دمعت، تورد وجهها واحمرت وجنتاها خجلًا، أضحى لقلبها جناحين، ضحك على شكلها، تذكر أيام خطوبته، ترحم على "أروى"، يريد أن يحتفظ بتلك اللحظات الهادئة.

- قلت له أنني موافق على كل ما تريدينه، ما رأيكِ؟

لم تجيب، انعقد لسانها، وبدأت تبكي .. ولكن ليس البكاء المعتاد، بل بكاء فرحة، مؤلم ولكن بلذة، تستشعرها لأول مرة.

أوقف السيارة، أمسك برأسها بين يديه وطبع قُبلة على جبينها، أخذها بين ذراعيه يربت عليها بحنان، صار يعرف كيف يتعامل معها، خاصة بعد مكالمة تلك

الـــ"صُدفـة"، كـانـت مكـالـمـة سريـة طويـلـة بـحق، عرَّفـت فـيـهـا عن نـفـسها بـأنـهـا طـبـيـبـة ابـنـتـه، لامـتـه بـشدة، وأمـلـت عـلـيـه مـا يـلـزم فـعـلـه، أطاعـهـا صـائـعًا، يـريـد أسرةً سويـة.

- مـبـارك يـا جمـيـلـتـي الـصـغـيـرة.

كـان دافـئًـا رغـم الــبـرد الـطاغي، علاقـتـهـمـا أصبحـت أكـثر دفـئًـا مـنـذ أن بـدأ

يحدثها كل يوم يطمئن عليها وهي في الإسماعيلية، في أول الأمر لم تتقبل ولكن كلام "صدفة" عن البر، عن واجبها كابنة، عن صلة الرحم .. غيَّر رأيها وإن لم يغير ما في قلبها كثيرًا.

أما الآن فبدأ قلبها يتخلص مما فيه رويدًا عندما استشعرت اهتمامه الصادق، عندما بدأ

يرويها بحبه المفضل لديها، عندما أصبح يأتي الإسماعيلية ولا يكتفي بالمكالمات، يأتي ليضمها ويمسح على رأسها، تعود للنُزل لتجده مليء برسائل الاعتذار والحب، كان حنونًا ولم تستطع الثبات أمامه، طفقت تلين وتنتظره، تنتظر ضمته ورسائله.

ثم بدأت تتوالى نبضات الفرحة، تدق باب قلبها المسكين .. بل الذي كان، تلّوْن بالحب حينما عاد "محسن" للصيدلية، كان يقضي ساعات قليلة يتحاكيان فيها عن رحلات العلاج، هي مع "صُدفة" وهو بين المشفى لجرح بدنه، وطبيب نفسي لعلاج وهمه.

كان كلًا منهما يربت على قلب الآخر، يهمسان

باليقين والأمل، كانا متشابهان، وكانت بذرة الحب داخل كلًا منهما تنموا بخفة، وعندما تفتحت وردتها داخله، طلب يدها رغم حالته الصحية ووضعه المادي، لكنه تعلَّم.. لن يتأخر مجددًا.

لمع خاتم خطبتها الذهبي البسيط في يمناها، رضيت بالقليل وأصرت، يكفيها حبه

وتلك النظرة لها في عينه.
أكملت السيارة طريقها نحو القاهرة، طفقت تتذكر تلك الاحتفالية الصغيرة التي أقامتها لها "صُدفة" في حقل زهورها، كانت الزهور هي أكثر الحضور تلوح بالوداع مع رحيل الصيف، وشجرة الياسمين الفتية التي تفقد أزهارها رويدًا،

الروائح العطرية
والمشاهد الخلابة دامت
ملكة الصورة، حتى
الشمس كانت سعيدة فلم
تقسو عليهم تلك المرة،
الأوراق تتطاير فقد قرب
الخريف حينها وتصبغت
المشاهد بالأحمر، كان
يومًا بهيًا وكانت هي
الأبهى .. الأبهى والأجمل
بفستانها بلون الخريف
ونبضات قلبها الفَرِحة،
القلب الذي تعافى، وها
هو يهرول، يريد أن

يشارك أختها السعادة وتكتمل البهجة.

******

رن جرس نهاية اليوم الدراسي ليطغى على صوت ثرثرة الطلاب، ويقطع شرح بعض المعلمين.

لملمت حاجياتها وانطلقا هي وصديقتها نحو البوابة، اليوم يومها، يومها المميز، ومع ذلك فهو ملطخ بذكرى مؤلمة، ولازالت

تعيشه بنصف سعادة، أو لعلها أقل من ذلك.

- "شوْق" .. أريد أن أرى البسمة، يبدوا أنني لا أكفيكِ.

قالتها "رقية" بصوت يحمل من الشفق، اكتشفت الآن أنها أقوى من "شوْق"، تعبت لفترة ولكنها استعادت نفسها وعادت لصوابها واجتازت، "شوْق" تبدو بخير أيضًا، لازالت طفلة

تمرح وتضحك وتثرثر، ولكن هناك شيئًا ما كُسر داخلها أو لعله انطفئ، لا يلاحظه إلا من يحفظها ويعرفها حق المعرفة.

لم تجبها "شوْق"، قلبها مع شخص آخر بعيد، أصر على البعض، ولكنها تعيش على أمل أنه سيأتي يومًا ما ولو بعد حين!

رُسم على وجهها شبح ابتسامة، كان هلالًا يرفض أن يكتمل يوم بدره.

- أريد أن أرى الابتسامة أنا أيضًا.

جاء الصوت من خلفهما، لا تعلم كم شهر مر لم تسمعه فيه! التفتت مسرعة، تخشى أن يكون خيالًا، طيف من صنع عقلها المشتاق، نظرت للواقفة خلفها والدموع تلمع على زيتون

عيونها، هتفت غير مصدقة :

- "يقين "! ... "يقين" لقد عدتِ!

لا تقدر .. لا تقدر على التماسك أكثر، انفجرت باكية غير مصدقة أن الواقفة أمامها لا يفصل بينهما سوى خطوات، تلك السمراء .. السمراء ذات النمش والحاجبين السوداوين المنمقين، تلك صاحبة التنورة

الشتوية السوداء، حجاب "صُدفة"، وشال صوفي متدرج الألوان، لوحة راقية، أزرق وسماوي وزهري، اندمجت ألوان خيوطه وامتزجت مع بعضها، يلتف حولها يحتضنها، تحمل بين يديها مثيله .. بل توأمه.

دمعت عيناها، اقتربت منها تدثرها به، احتضنتها، بل ضمدتها،

أسكنتها داخل قلبها المتلهف، همست في أذنها بين العبرات :

- كل عام وأنتِ بخير، كل عام وأنتِ.. وأنتِ أختي يا "شوْق".

زاد طوفان الدمعات، حتى استعادت "يقين" تماسكها، ابعدت عنها "شوق" خطوة، جففت دموعها المرهفة براحة يديها، عدلّت لها شالها وأحكمته تقيها برد

شتائها المفضل،
أوقفتها بجانبها ثم دنت من "رقية" تنظر لها بأسف :

- أعتذر عما بدر مني.

مدت أناملها تمسك يدها المستقرة بجوارها

- أعتذر .. كنتُ فظة بعض الشيء.

هتفت "رقية" بنبرة تحمل بين طياتها السخرية :

- بعض الشيء!، كنتِ فظة كثيرًا عزيزتي.

كانت تريد أن تصرخ في وجهها، فهي سبب كل ما مرت به صديقتها المقربة، ولكنها تراجعت وعزفت عن الأمر بعدما خطفتها نظرة "شوْق" الدامعة، فهمت أنه حان طي الصفحات الماضية، لنبدأ حياة جديدة.

- ولكن .. حسنًا، لقد سامحتك.

التفت "يقين" لـ"شوْق" بعد أن تخلصت من هذا الحمل، لازالت لا تحب "رقية"، تحول الحنق لغيرة.

- هيا يا "شوْق" ينتظرك الكثير.

قالتها بعد أن تشابكت الأيادي، اقتربت "شوْق" من أُذنها تهمس برجاء،

أومأت بمضض أختفته،
فهتفت "شوق" بفرحة :

- هيا يا "رقية" معنا.

ساروا حتى وجدوا "خلف" في انتظارهنْ، ركبنْ معه، قطعوا طرقًا جديدة تحت تساؤلات "شوْق" الفضولية، لقد استعادت نفسها أخيرًا، أقلهما إلى بيت قد يبدو غريب على "شوْق" ولكنه محفور في ذكرى أختها،

استقبلتهم شجرة الياسمين التي فقدت أزهارها، ولكن لا بأس، الربيع آتٍ لا محالة.

أمسكت "يقين" بمفتاح البيت، فتحت، ثم غمضت عيون أختها بيديها، دخلت بها ودخل "خلف" و"رقية" خلفهما، رحب بهم ريح أمها في البيت، فتحت عيونها لتقع على شموع بعدد سنين عمرها، أقاموا

يوم ميلادها في جو من الحب والامتنان، الفرحة والسرور، اللهفة والشوق.

كانت البسمات هنا وهناك، وروح "شوْق" المرحة تُحلّي الأجواء، تتشبث بهدية أختها ولا تريد أن تتركها، وهل لها أغلى منها؟

أهداها أبوها شيئًا هو الآخر، تفحصتها بعيون لامعة، كاميرا زهرية

جميلة، مبهجة ولطيفة مثلها.

جاء ببالها فكرة،
فأعطت الكاميرا لأبيها مرة أخرى، همست في أُذنه، أضاءت الأنوار ثم استقرت بجانب "يقين" وأشارت للكاميرا، رسمت علي وجهها البسمة،
فقامت يقين بالمثل،
احتضنت "شوق" جانبها،
ثم أُلتُقِطت صورة ..

صورة يزيلها الفرحة

تحتويها البهجة عنوانها سعادة.

******

« بعد سنة وبعض الشهور »

انزاحت ستائر الظلام أخيرًا لتطل الشمس بهية راقية، تخطو نحو صدر السماء لتشهد علي أيام انزال من عليها السواد.

أريج الفل والياسمين
أضحي طاغيًا، ساد طاردًا
ريح الكره والشرور.

الحر تبدل برد، ومن ثم
حضر الصيف مرة ثانية،
اجتزنا الخريف ومن ثم
الشتاء والآن نحن في
منتصف الربيع.

ماء الدمع أمسى زخات
مطر، تقل وتزيد
أحيانًا.

وبعد ليلة ماطرة،
أنارت الغرفة،

فاستيقظت متثائبة،
ولكنها مبتسمة، أزالت
من عليها الغطاء،
وطفقت تتأمل الراقدة
جانبها يغشوها النعاس،
هي ليست بجانبها، بل
ملتصقة بها، لم يفترقا
منذ يومها، عاشت كل
واحدة في قلب الأخرى
ولم تبتعد.
كانت تتوسد ذراعها،
أما الذراع الأخرى
فتحركت، تزيح بأناملها

شعرة ذهبية اتخذت من فمها مسكنًا.

مسحت علي وجهها برقة والبسمة تزين ثغرها الصغير، اجتمع الأختان أخيرًا، في البيت القديم، إرثهما الغالي من أمهما الراحلة.

صغير.. ولكنه يمتلأ بـــ"أروى"، بدفئها، وذكراها..

الذكري ليست دائما مؤلمة، يمكننا أن

نتقبلها بطريقة ما،
وعندما تعود تطرق علي
أبواب عقولنا،
نستقبلها ببسمة، دمعة
مترحمة، صدقة، او دعوة
صادقة.

وأخيرًا، تكشف حجاب
العيون، كان يخفي
وراءه حقل ليمون،
تثاءبت، أغمضت عينيها
مرة أخرى، اقتربت
تحتضن المتأملة ثم
همست بنبرة ناعسة :

- "يوكا" .. هل جاءت السادسة؟

- "شوْق"، قلت لكِ مليون مرة لا تناديني هكذا، لم تأتي السادسة بعد ولكنك ستستيقظين الآن.

قالتها بغضب مصطنع وهي تضيق عينيها لتتقلب الأخرى ساخرة:

- ها هي "يقين" القديمة تعود مرة أخرى، أخبريها أن تنام

وتستيقظ "يوكا" بدالها.

دفعتها "يقين" قائلة بخبث يتبعه ضحكة شريرة :

- هكذا إذن، قابليني إن أخبرتك بماذا حلمت!

هبت جالسة ترجوها أن تخبرها ولكنها لم تنطق بكلمة إلا بعدما وعدتها ألا تناديها بهذا الاسم مجددًا..

جلست "يقين" بدورها ثم بدى على تقاسيمها التأثر، نطقت بخفوت :

- لقد رأيت أمي..

اندفعت دمعة من عين "شوق" بمجرد سماعها كلمة (أمي) ولكن "يقين" أسرعت تجففها هاتفة بشجن :

- لقد كانت سعيدة يا "شوْق"، فَرِحة بنا نحن الاثنتين، يكفينا بكاء، لا بكاء بعد اليوم.

أنهت كلماتها ثم ضمت أختها المسكينة، تشعر الآن بما حصلت عليه وقد حُرمت منه أختها.

أومأت "شوْق" برضا ثم نهضت كلا منهما ترتدي ملابسها.

"شوْق" إلى جامعتها، فقد انتصف عامها الجامعي الأول في كلية الهندسة و"يقين" إلى عملها في الصيدلية .. صيدلية "الحسيني".

وقفت أمام المرآة ترتدي حجابها الذي أصبح أكثر طولًا مما كان، تفحصت باستحسان بشرتها التي تحسنت كثيرًا بعد قليل من الاهتمام، وملابسها أيضًا التي أصبحت أكثر احتشامًا من ذي قبل، وذلك بعد محاضرات طويلة على لسان "شوْق" قد حفظتها من كلام "رقية".

اصطفت الأختان تصليان الضحى، وبعدما انتها، أمسكت "يقين" بيد أختها وهما ينزلان إلى الأسفل كالعادة، فهي فتاتها الصغيرة التي حرمت منها طويلًا، لاحظت "شوْق" شيئًا غريبًا فتهتف متعجبة :

- ألازلتِ ترتديها في اليمين؟!

- ما هي؟

قالتها "يقين" غير مدركة حتى رفعت "شوْق" يدها اليمني تشير إلى خاتم الخطبة المُزين لها، تورد وجهها خجلًا ثم سارعت تخلعه لتضعه في مكانه الصحيح .. بنصرها الأيسر!

ابتسمت "شوق" علي خجل أختها، ثم جاء ببالها مكالمة أبيها الأخيرة.

استقبلهما "خلف" بسيارته السوداء

الجديدة أسفل المنزل، مازالت القواضي تتوالى خصيصًا بعد انتهاء قضية احتكار البذور، ومازال يبيت في المكتب كعادته.

قابلهما ببسمة واسعة وحضن دافئ، اكتشف الآن أن قلبه متسع لكلتيهما، ليس لواحدة فقط.

أوصل "شوق" للمدرسة ثم انطلق بسيارته إلى

الاسماعيلية كما يفعل
كل أسبوع او بضعة
أيام، فهي لا تقدر على
البعد عن "صُدفة"
وجلساتها، وبالتأكد
"محسن".
كل مرة يُهيأ لها أن
الطريق يطول أكثر
وأكتر، أو لعله الشوق.
ولكنها هانت، أيام
قليلة فقط ويجتمعا -
هي ومحسن - في مكان
واحد، في بيت جميل في

الاسماعيلية، ولكن ما يشغلها هو عدم قدرتها على ترك "شوْق" وأنها تريد أن تشبع من بيت أمها ولو قليلًا قبل زفافها المرتقب، ستتركها على الله، وكل شيء سيمر بخير.

- "يقين".

ناداها أبوها فنظرت له مستفهمة

- كم تبقى في قلبك لم يسامحني بعد؟

قالها بنبرة لاتزال نادمة ينتظر اليوم الذي تسامحه فيه بكامل قلبها :

- دعني أفكر..

سامحتك بنسبة خمسة وتسعون بالمئة!

قالتها ضاحكة، لم تعد تكرهه، خف قلبها كثيرًا وتخلص مما فيه، لن تكذب، لقد جاهد معها كثيرًا، أصبحت أميرته المدللة حتى كادت تغار

"شوْق" ولكنه اعتدل، كلما تذكر أنه سترحل عنه قريبًا، بل عن القاهرة كلها يشعر بنغزة في قلبه، وزادت تلك النغزة مع اتصالات "آمن"، قال وقد تذكر شيئًا:

- أتذكرين "آمن"؟

- ذاك الشاب السخيف!

قالتها وهي تمط شفتيها ليرد عليها مقهقهًا:

- ليس سخيفًا يا "يقين"، بالعكس هو ذكي ومرح وخفيف الظل كثيرًا.

رمقته بطرف عينها

- حقًا!

سخرت في نفسها من أفعاله، كل شهر تجد سلة فاكهة عجيبة أمام باب البيت، مبعوثة منه لشخص يسمى "شوْقي"، وعندما رمقت "شوْق" أول مرة في شك، وجدا ورقة

مطوية مخطوطٌ عليها « لا تذهب رأسك يمين أو يسار، ألم تسمعي عن شاب يسمى "شوقي" من قبل!، ما بك يا فتاة؟ أما زلتِ تتشاجرين مع أختك؟

حسنًا، جدك "مندل" بعث لك تلك الخوخات، المرة الآتية سيأتي بالبازلاء، ولكن لا تنسي، تلك خوخات مميزات لا تأكلها سوى الجميلات. »

لقد صدق فعلًا، كانت المرة الثانية مليئة بالبازلاء!

تستطيع رؤية الاهتمام والسعادة في عين أختها حتى وإن كان يثير حنقها.

- حدثني منذ يومين، يريد خطبة "شوْق".

اتسعت عينيها، لم تتوقع أن يكون بهذه السرعة.

- ماذا!، ولكن .. لكن "شوْق" لازالت صغيرة!

أومأ متفقًا معها، بالفعل ابنته مازالت صغيرة، "آمن" نفسه ليس جاهزًا بعد .. هكذا أخبره.

- أعرف، قال أنه كلام مبدئي، حتى يكون جاهزًا. يمكنني أن أخبره أن ينتظر، وننتظر نحن أيضًا، ولكن

الأهم أريدك أن تعرفي رأيها.

ابتسمت ببلاهة هي تعرف رأيها بالفعل، رمقها ينتظر الإجابة

- حسنًا، سأفعل.

حل الصمت وظل كلا منهما يراقب الطريق حوله، مرت الدقائق حتى وصلًا أخيرًا، توقف عند الصيدلية، كادت تودعه وترحل ولكنه أمسك يدها برقة قائلاً :

- انتظري .

- نعم يا أبي.

مد يده الأخرى تضمان كفيها بحنان

- أريد أن أخبرك فقط أنني أحبك يا .. "يقين"، طوال حياتي كنت أحبك حتى عندما كنت بعيد، حبك كان بداخلي وإن كان ساكنًا، لا أعلم كيف كنت قاسيًا هكذا، كيف كان قلبي متحجرًا صلبًا، أندم كل

لحظة على ما فعلته، لا أريد سوى أن تسامحيني من كل قلبك.

جففت دمعة انسالت نتاج كلماته، دمعة قد خانت العهد، ابتسمت بحب حقيقي وهمست بخفوت والعفو ينبض نبضاته:

- ما فعلته في السنتين الماضيتين كان كافيًا يا أبي.. أنا أيضًا، اكتشفت أنني كنت مخطئة عندما أوصدت كل

الأبواب، عندما لم أواجهك، فقد علمتني الأيام أن الكلمات المحبوسة تلتهم صاحبها، تحرقه رويدًا رويدًا، حتى يصير بقايا إنسان، قنبلة موقوتة، تنفجر وتحرق ما حولها.

أنا اخطأت في حق نفسي وفي حقك أنت و"شوْق" ويجب أن أعتذر.

صمتت هنية، لا تصدق أن الكلمات تلك قد تخرج

منها في يوم، أضافت بمرح قبل أن تغادر السيارة.

- كله بفضل الله ومن ثم "صُدفة" كن ممتنًا لها، سأبيت معها اليوم، اعتني بـ"شوْق" ولا تتركها وحدها.

غادر هو الآخر السيارة، ضمها داخله بحب وأسف، ثم عاد لسيارته ورحل.

أما هي فسارت يلهفها الحنين، تخطوا تجاه الصيدلية.

استقبلتها اللهفة ممزوجة بالعسل، دنى منها مقبلًا جبينها ومن ثم ظهر كفها، فقد وصلت أميرة حياته.

- لماذا أتعبتِ نفسكِ؟

- لن أتركك.

قالتها بحزم ثم تبدل بخجل

- كما أنني

....

لم تستطع قولها فعدلّت :

- كما أنني أريد أن أعمل.

ابتسم وقد فهم مرادها ثم قال بخبث :

- وأنا أيضًا اشتقتكِ.

بمجرد أن تفوه بها اشتعلت خجلًا مرة أخرى، ثم دارت متجهة لباب الصيدلية، بينما هو

يضحك بصخب علي حركاتها الهاربة هتفت قبل أن تخرج :

- أنا مخطئة أنني جئت لأساعدك، مع السلامة سأذهب لـــ "صدفة".

خرجت، لم تكمل ثواني، ولجت ثانيةً

- لن أتأخر، فقد أريد أن أعمل.....

ضحك حتي كاد يختنق، أمسك يدها قائلاً بحزم مصطنع :

- لا، لن تغادري!
ابقي معي، أريد أن أرتاح.

أنهى كلماته مستعطفًا فقابلته بقلق حقيقي

- هل آلمك جرحك مجددًا؟!

عاد لضحكاته العالية، صمت فجأة، اقترب أكثر، همس سابحًا في ملامحها المحببة لقلبه، يتذكر أول لقاء وإن كان مُبهمًا، يتذكر كلماتها

عندما رأى فيها "عمر"، لازالت حروفها في المستشفى نغمة ناعمة تسري في أذنه، وفرحتها التي حاولت إخفائها يوم تعافيه وعودته للصيدلية، لا ينسى حديثها عن الأمل، ويوم علاجها باليقين، ولا دمعاتها التي حفظها، ذاك الألم الذي يشعر به عندما تبكي فجأة حينما تتذكر شيئًا أو ترى موقفًا، ونفس الدمعات

الـفَـرِحة عندمـا تــتجلى الــبـهـجة عـلـى صفـحة وجـهـهـا .. وجـهـهـا الـسـاكـن فــي قــلـبـه :

- أحـبـك يــا "يـقـيـن"، ومـع كـل نــبـضة يــفـتـعلـهـا قــلـبـي يـخـبـرنــي فــيـهـا بــحبـك .. أحـبـك يــا جـمـيـلـة قــلـبــي.

******

بــعد سـنـتـين مـن الــحـب، الألــفـة، والــسعـادة، لــيـست سعـادة لــكـونـهـا حـيـاة

يسيرة وهنيئة، بل سعادة اجتياز الأوقات الصعبة العسيرة بالصبر، السعي، واليقين..

اليقين بأن اليسر والعسر صديقان لا يفترقان، يقين بأن الحياة ليست سوداء تمامًا ولا ناصعة البياض.. هي بيْن بيْن، يتمازج فيها هذا وذلك.

وقفت تراقب أمواج الصباح الهادئة، خلا المكان إلا منهما،
يشاهدان الشمس تخرج من مكمنها بمهل، يحيطها الأزرق، يضمها بحنان،
تمتزج الألوان، مشهد قد يتجلى كل يوم، ولكنه سيظل مميز، مختلف،
يسرق الأنظار وتهوى به القلوب.

أحاطها بذراعه، يتحسس على صاحب النبض

الصغير، ثمرة زهور حبهما الآتي في الطريق.

- ما أول ما سنعلمه لـــ "عمر" ؟

قالها بابتسامه واسعة تتراقص في عيونه الفرحة، اجابت بابتسامة أخرى فاتنة، تسكن يدها اليمني فوق يده على جنينها، تستشعر النبضات المرهفة، بدأت الكلمات

تنسال من فيهها، كلمات هي غنيمة حياتها

- سنعلمه اليقين،

سنحثه على البحث عنه، عدم الاستسلام إلا وهو بين يديه، بداخل قلبه الصغير، ينبض وينبض يهديه الكثير..

سأعلمه أن الكلمات نبضات، والنبضات كلمات، فما يُسَيّر حياتنا إلا بعض نبضات.

منها يروينا بالحب،
ومنها يسقينا الأمل

منها يخدش قلوبنا،
ومنها يطبب آلامنا

منها يعيش معنا لفترة
ثم - بدون أسف - يأتي
الفراق

ومنها متقلب، مثل
الفرحة .. لا تستمر،
تروح وتجيئ.

ومنها لا حياة بدونه ولا
طعم ولا طريق

سأعلمه أن يسعى ويجاهد
حتى ينبض قلبه
باليقين..

ومع الساعات والسنين
سيأتي لا محالة
سيأتي
سيأتي

يقين النبضات..

- تمت بحمد الله
-

٣:٢٠ ص فجر الأحد ٤ / ١٠ / ٢٠٢٠

أتمنى من كل قلبي أن تعجبك الرواية، وأن تصل لقلبك الرسالة، لا أعلم كيف ستصلك الرواية، ولكني أنتظر كل الآراء ومن كل مكان وبأي طريقة.

دمت بود، بحب، دمت بكل خير ♥

ياسمين يوسف

- شكر خاص -

شكرًا لكل من قرأ، تابع، شارك، رافقني رحلتي الأولى ..

شكرًا لكل كلمة حلوة، رأي مبهج، دعوة، مباركة، مزاح، ضحكة جميلة، وحتى دمعة متأثرة ..

شكرًا لكنّ واحدة واحدة، يامن بقيتن بجانبي ولم تفارقني لحظة، من شد على يدي حين يئست، من

شجعني حين تعبت، من زرع الثقة في نفسي حين أُحبطت ..

شكرًا لكنّ، والشكر لم ولن يكفي ..

بفضلكنّ بعد الله ختمت روايتي الأولى

جزاكنّ الله خيرًا وبركة.

شكر خاص لحبة القلب "چنى تامر"

أختي بل أكثر ..

من لو بدأت عنها الكلام
فلن أنتهي أبدًا
فلن أقول سوى أحبك
ورضيت بك أختًا يا
رفيقة الطريق.

شكر خاص لكائن الرقة
"رحمة أحمد"
لولاكِ لما خرجت هذه
الخاتمة أبدا.
لم تبدأي معي ولكنك
انهيتي معي، زرعتِ فيّ

الثقة ولولاكِ لما كنتُ انتهيت.

شكر للمبدعة "بيان الدكاك"
من وجهتني للطريق الصحيح، الامتنان لكِ لا ينتهي.

شكر لفريق قنابل كلام روايات، واحدة واحدة، بدونكنْ ما كنتُ، أحبكنّ من أعماق قلبي يا

صحبـتـي وعـائـلـتـي وبـيـتـي

♥

قنابل كلام روايات